المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ



الأحوال السياسية في مكة المكرمة من خلال كتاب بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى

لعبدالعزيز بن فهد المكي خلال الفترة من (٨٨٥ـ٩٢٢هـ/١٤٨٠ـ١٥١٦م)

The polititcal situations in Makkah mentioned in the book Bulugh alqira fi dhayl ithaf alwara bi akhbar um alqura

by Abd alaziz Bin Fahad Almakki
(٨٨٥-٩٢٢) A.H (١٤٨٠- ١٥١٦)AD

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب:

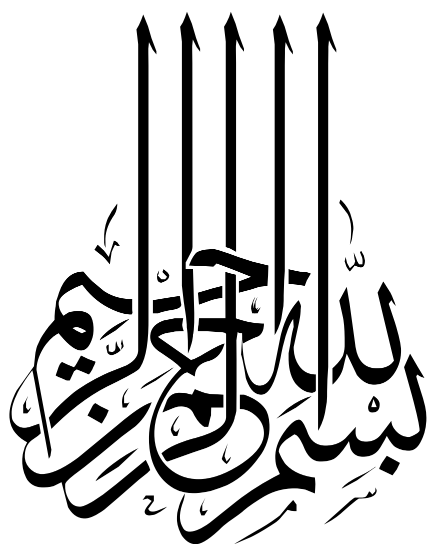
خميس بن رشيد الشهري

إشراف الدكتور

محمد بن صالح الطاسان

العام الجامعي

١٤٣٥ – ١٤٣٦هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك عبد الـــعزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ



الأحوال السياسية في مكة المكرمة من خلال كتاب بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى

لعبدالعزيز بن فهد المكي خلال الفترة من (٨٨٥ـ٩٢٢هـ/١٤٨٠ـ١٥١٦م)

The polititcal situations in Makkah mentioned in the book Bulugh alqira fi dhayl ithaf alwara bi akhbar um alqura

by Abd alaziz Bin Fahad Almakki
(٨٨٥-٩٢٢) A.H (١٤٨٠- ١٥١٦)AD

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب:

خميس بن رشيد الشهري

إشراف الدكتور:

محمد بن صالح الطاسان

العام الجامعي

١٤٣٥ – ١٤٣٦هـ

عـنــوان الـرســالــة

الاحوال السياسية في مكة المكرمة من خلال كتاب بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعبدالعزيز بن فهد المكي خلال الفترة (٨٨٥-٩٢٢هـ/١٤٨٠-١٥١٦م).

The POLITICAL SITUATIONS IN Makkah MENTIONED IN THE BOOK BULUGH ALQIRA FI DHAYL ITHAF ALWARA BI AKHBAR UM ALQURA BY Abdulaziz BIN FAHAD ALMAKKI (885-922A.H/1480-1516A.D)

إعـداد الـطــالـــب

خميس بن رشيد الشهري

تمت الموافقة على قبول هذه الـرسـالــة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ .

لـجـنــة الـمـنــاقـشــة والحكم على الرسالة

	الاسم	المرتبة العلمية	التخصص	التوقيع
عضو داخلي	زيني بن طلال الحازمي	أستاذ مشارك	تاريخ	
عضو خارجي	متعب بن حسين القثامي	أستاذ مشارك	تاريخ	
مشرف رئيس	محمد بن صالح الطاسان	أستاذ مشارك	تاريخ	

جامعة الملك عبد العزيز

٢٦ربيع الآخر١٤٣٦هـ -١٥ فبراير ٢٠١٥م

المستخلص

لمكة المكرمة أهمية دينية وتاريخية، لوجود بيت الله الحرام بها ، وكذلك لها أهمية ثقافية وعلى هذا الأساس تم اختيار موضوع دراستي وقد بدأت بتمهيد تاريخي عن حركة التأليف في مكة قبل عبد العزيز بن فهد، حيث كان يوجد الكثير من المؤلفات التي تناولت تاريخ هذا المكان، ثم تناولت تاريخ المؤلف نسبه ونشأته وشيوخه وتلاميذه ، ومؤلفاته، وأهمية ما كتبه عن مكة . ثم بدأت بالحياة السياسية لمكة من خلال ولاية الشريف محمد بن بركات والأحداث السياسية في عهده، ثم ولاية ابنه الشريف بركات وما تم خلالها من أحداث، ومن ثورات ضده، من قبل إخوته، وكذلك حركات القبائل في عهد ، وتأثيرها السياسي على مكة وأمنها، وبعدها تحدثت عن ولاية الشريف قايتباي بن محمد، ثم كتبت عن أحوال مكة السياسية الخارجية، وفيها العلاقة مع السلطنة المملوكية، من خلال حكم الشريف محمد بن بركات وابنه بركات، والصراعات في عهد الشريف بركات، ثم العلاقة مع موظفي ونواب السلطنة، وتضمن ذلك حملات السلطنة على مكة، وآثار هذه الحملات، وبعد ذلك تناولت نواب جدة، ثم نبذة مختصرة عن سور جدة، وقد اشتمل الكتاب على تفاصيل مهمة في تاريخ مكة السياسي وغيره، ويمتد لستة وثلاثين سنة وثمانية أشهر، وكان كتابه حافلاً بالأخبار متصلاً بأغلب علمائها، وأسلوبه سهل مع نقد هادئ، لكل ما لاحظه في مجتمعه، ورتَّب فيها أخبار الحوادث والمستجدات ترتيباً منظماً، حسب تسلسلها في السنة، وقد واجهت بعض المشكلات، منها عدم وجود مؤرخين معاصرين لابن فهد في مكة، فأخذت على عاتقي تتبع الأحداث السياسية في مكة ودراستها وتحليلها ومقارنتها بما وجدته في المصادر الأخرى؛ للوصول إلى نتائج تعطي صورة واضحة عن هذه الفترة السياسية في مكة من خلال هذا الكتاب.

Abstract

The holy city of Makkah has a great religious and historical importance because it's the city of Al-Masjid Al-Haram. It has a cultural importance, so I chose it as my thesis topic. I began writing about the history of authoring in Makkah before writer Abdul-Aziz Ibn Fahd, where there were many writings talking about the historical importance of that place. I took one of his writings as my study subject . I wrote about the biography of the author, his lineage, origins, sheikhs, students , his books and the significance of what he wrote about Makkah . After that I talked about the political life and actions in Makkah during the reign of Sharif Muhammad Ibn Barakat, then during the reign of his son Sharif Barakat, and the political actions and revolutions against him and his brothers. I also wrote about the tribes'movements took place during the same reign and how they affected the political and security status of Makkah . Later on I wrote about the reign of Sharif Qaitbay Ibn Mohamed.

After that I wrote about the foreign policies of Makkah including its relation with Mamluk Sultanate during the reign of Sharif Muhammad ibn Barakāt and during the reign of his son, how the conflicts were during the reign of Sharif Barakāt, the relationship with the sultanate's representatives and officials and the attacks of the sultanate on Makkah and their effects.

The book contains number of important details concerning Makkah 's political history and others over thirty six years and eight months. It is full of information referred to their scholars. It is characterized by its simplicity and constructive criticism for all what he observed in the society. It organizes incidents and events according to their sequence per year.

Throughout the research I found some problems such as the absence of historians contemporary to Ibn Fahd in Makkah so I traced the incidents, studied them, analyzed them and compared them to what I have found in other sources to reach the desired results that give a clear image of the political period in Makkah mentioned in this book.

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد الله المستعان في كل الأمور، والصلاة والسلام على الرسول الكريم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تعتبر مكة من أهم وأفضل البقاع على وجه الأرض، وأحبها إلى الله - عز وجل - وإلى رسوله الكريم محمد بن عبد الله ﷺ. وقد حباها الله - سبحانه وتعالى - بأن بعث فيها خاتم الرسل، وأنزل بها أفضل كتبه. ومن النعم على هذا البلد الأمين، أن قيَّض له رجالاً من أهله يحفظون تاريخه للأجيال القادمة، ضمن مؤلفات منوعة. وقد وقع الاختيار على كتاب: «**بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى**» للعز ابن فهد المكي، الذي يعد إحدى الوثائق المهمة في تاريخ مكة المكرمة، وشاهد عيان لما يجري بها من أحداث.

ولقد أخذت هذه الدراسة الجانب السياسي؛ لما له من أهمية وتأثير في باقي الجوانب؛ لذلك انصبت الدراسة على دراسة العلاقات السياسية التي ارتبطت بها مكة مع الدول المجاورة، خصوصاً الدولة المملوكية التي قامت بواجب الدفاع عن الحرمين الشريفين في ذلك الوقت؛ ولكن هذه الدولة في حالة لا تحسد عليها من التفكك والضعف والمشكلات الداخلية، التي انعكست على علاقتها بمكة وولاتها؛ الأمر الذي جعل الحجاز مستهدفاً من قِبل القبائل من جهة، والغزو البرتغالي من جهة أخري.

هذا بالإضافة لما يشمله البحث من محاولة لإلقاء الضَّوء على علاقات مكة في ذلك الوقت مع القوى الإسلامية، وكان للعز عبد العزيز النظرة الثاقبة في رؤيته الشمولية عن الأوضاع السياسية للقوى السائدة، إضافة لرصده للصراعات القبلية وأثرها على الأوضاع السائدة بمكة، والخصومات التي كانت بين الأشراف على إمارة مكة؛ حتى

يسلَم الحجاج من أذى بعض الأشراف، ومن يتحالفون معهم من قبائل تبحث عن مكاسب سياسية واقتصادية. فما كان من العز عبد العزيز إلا أن رصد في تاريخه سياسة الدولة المملوكية لمكة والخاصة جداً، والتي تقوم على منافع اقتصادية لسد العجز الذي تعاني منه في مصر؛ سواء عجز مالي أو إسكات الثورات الداخلية، التي كثيراً ما يقوم بها المماليك الجلبان.

أما خطة الدراسة فكانت تحتوي على تمهيد وفصلين يندرج تحتها عدد من المباحث بالإضافة إلى خاتمة وقائمة من المصادر والمراجع والدوريات.

يناقش التمهيد حركة التأليف في مكة قبل العز عبد العزيز بن فهد، وما كتب من مؤلَّفات في تاريخ مكة؛ مما جعل العز عبد العزيز يقوم بالتذييل على كتاب والده.

واستمراراً لذلك قام ابنه جار الله بعمل الذيل الثاني على كتاب جده ووالده العز عبد العزيز.

ثم تناول التمهيد حياة المؤلف، ونسبه، وشيوخه، وتلاميذه، ثم رحلاته التي أثرت على حياته العلميّة، والتي تعدَّدت، مثل رحلته إلى المدينة المنورة، ومصر، والشام.

ثم تناولت وصف الكتاب ومصادره، وما ورد به من أخبار سياسية واقتصادية، ثم منهجه، وما ارتبط به من دور في عقيدته التي أثرت في تناول الأحداث.

الفصل الأول: كان بعنوان: الأحوال السياسية الداخلية لإمارة مكة المكرمة، ويضم الفصل خمسة مباحث.

ناقش المبحث الأول: الشريف محمد بن بركات وتوليه إمارة مكة المكرمة.

والمبحث الثاني: تولي الشريف بركات بن محمد وحركات التمرد في عهده: يتناول حركات العصيان التي تعرضت لها إمارة مكة، سواء من الأشراف، أو من القبائل.

المبحث الثالث : الشريف قايتباي بن محمد وتوليه إمارة مكة المكرمة .

والمبحث الرابع: الشريف بركات وتوليه إمارة مكة للمرة الثانية، والتمردات وأثرها على إمارة مكة المكرمة أمنيّاً ودينيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً.

والمبحث الخامس: يضم أشراف مكة وعلاقاتهم بالقبائل ويندرج تحته: الشريف محمد بن بركات وعلاقاته بالقبائل، ثم الشريف بركات بن محمد وعلاقاته بالقبائل، ومن ثم علاقة القبائل بالسلطنة المملوكية، وأثر هذه العلاقة على طريق الحاج.

أما الفصل الثاني وعنوانه: الأحوال السياسية الخارجية لإمارة مكة المكرمة. فتم على عدد من النقاط: أولاً: العلاقة مع السلطنة المملوكية، ويندرج تحت هذا المبحث: علاقة الشريف محمد بن بركات بالسلطنة المملوكية، ، ثم علاقة الشريف بركات بن محمد بالسلطنة المملوكية. ثم العلاقة المملوكية الحجازية وسط الصراع بين أشراف مكة . والمبحث الثاني : يضم العلاقات مع موظفي ونواب السلطنة المملوكية، وعملية فرض السيطرة على الحجاز، والحملات مثل: حملة قيت الرجبي، وحملة خاير بك إينال، ثم دراسة أثر هذه الحملات اجتماعياً واقتصادياً وأمنياً. ثم تحدثت عن مظاهر العلاقة بين أمراء الحاج والأشراف.

واختتمت الدراسة بخاتمة حاولت فيها ذكر ما توصلت إليه الدراسة من نتائج لفترة تاريخية فاصلة في التاريخ المكي. ثم أوردت قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها وكانت خير معين لي في الدراسة.

أما بالنسبة لأهم مصادر الدراسة فتنحصر في كتاب " بلوغ القرى في الذيل على إتحاف الورى بأخبار أم القرى " فهذا الكتاب يشمل عصب الدراسة، فقد أخذ المؤلف على عاتقه استكمال ما انتهى به والده، فقدم صورة حية عن الأحداث الجارية، إضافة إلى الوثائق والمراسم السلطانية التي استطاع الاطلاع عليها، وسماع قراءتها في الحطيم بالمسجد الحرام، إلى جانب المشاهدة، وهي عماد المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها العز عبد العزيز، كما كان للعز مصادر أخرى، مثل الروايات الشفهية التي سمعها من

مصادرها الأصلية، لذلك كان هذا الكتاب ذو فائدة عظيمة؛ ويعتبر هذا الكتاب كنز من المعلومات المكية التي انفرد بها المؤلف.

كما اعتمدت الدراسة على كتاب "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، المتوفى عام ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م يعتبر من أهم المؤلفات التي اعتنت بالترجمة لمشاهير القرن التاسع الهجري. فبالرجوع إليه أضاف الكثير لما ذكره كتاب بلوغ القرى، وسد الثغرات لأغلب التراجم الواردة عند العز عبد العزيز. كما اتَّسم أسلوب السخاوي بالشمولية في حديثه عن الشخصيات، فيذكر المناصب التي تولاها، وشيوخه في طلب العلم، ورحلاته، وما اتصف به من الفضائل، وصفته الشخصية.

ومن المصادر المكية الأخرى التي تم الاستعانة بها في الدراسة كتابه: "غاية المرام بأخبار البلد الحرام" للعز عبد العزيز، وهو كتاب قيم، حيث اهتم فيه المؤلف بالأحداث التاريخية المكية، فكنت أقوم بالاستعانة به لاستكمال بعض الأحداث التي وردت في بلوغ القرى وفيها غموض.

كما أفادت الدراسة من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام " لتقي الدين الفاسي " فهو كتاب قيِّم في جزءين، اهتم فيه بالكتابة عن مكة وقدسية الحرم الشريف من قبل البعثة النبوية، وما ورد في ذلك من الأقوال المأثورة، وأيضاً بالحديث عن عمارة الكعبة المعظَّمة، واهتمام الحكام بها، كما تحدث عن الحرم عموماً، والمسجد الحرام من وجهة نظر حضارية، حيث تتبع المنشآت المعمارية جميعها بالتفصيل.

وتعتبر هذه المصادر من أهم مصادر البحث التي تمدّ البحث بالمعلومات المتنوعة عن مكة، إضافة إلى مصادر أخرى منها. " بدائع الزهور في وقائع الدهور " لمؤلفه ابن إياس المصري، الذي كان يكتب عن الأحداث التاريخية وفق النظام الحولي؛ حيث تناول الأحداث التي جرت في مصر، وأثرها على مكة، وما كان يجري للأشراف في مصر عند مجيئهم لطلب مدد سياسي أو اقتصادي، كما كان للكتاب أهمية في رصد

الحملات العسكرية التي خرجت من مصر إلى البلد الحرام، فكان خير معين للتعرف على الكثير من الأحداث التي صاحبت الإعداد للحملات وتجهيزها، وموقف السلطة السياسية في مصر من أمراء مكة المكرمة.

وكذلك اعتمدت في الدراسة على عدد من المراجع الحديثة التي تناقش تاريخ مكة؛ وخصوصاً التي تتحدث عن الجانب السياسي، خاصة حياة محمد بن بركات، وبركات بن محمد، إضافة إلى القواميس الجغرافية التي كانت خير معين في التعرف على مواقع الأحداث؛ وخصوصاً كتاب عاتق البلادي، وسيرد في نهاية الدراسة قائمة بجميع المصادر والمراجع التي أفادت الدراسة.

وفي الختام فإنني أرى من الواجب أن أسند الفضل إلى أصحابه وذويه، الذين وقفوا بجانبي وساعدوني على إتمام دراستي هذه، فالشكرُ أولاً لله - سبحانه وتعالى-، ثم إلى الأستاذ الدكتور: محمد بن صالح الطاسان، المشرف على الرسالة، والذي كان خير معين لي على إتمام رسالتي، وكان لا يألو جهداً على إسداء ملاحظاته لي، وتوجيهي إلى ما يعينني ويساعدني على إخراجها بهذا الوجه؛ الذي أتمنى من الله أن تكون مفيدة للقارئ والمطلع لهذه الفترة من تاريخ مكة، من خلال كتاب بلوغ القرى فله مني جزيل الشكر والامتنان.

حركة التأليف في مكة قبل العز عبدالعزيز بن فهد:

يعتبر القرن التاسع الهجري من أكثر القرون ازدهاراً بمكة المكرمة في ميدان الكتابة التاريخية، ففيه ظهر أعظم المؤرخين المكيين، الذين جمعوا أخبار مكة، ورتبوها على مناهج عديدة من مختلف المصادر المكية وغيرها، وتفنَّنوا في عرضها على أساليب متنوعة، فلم لم يتركوا شاردة ولا واردة من أخبار البلد الحرام ورجالاته إلا وجمعوها وعرضوها، ببراعة المؤرخين الراسخين في علم التاريخ. فكان من أشهرهم على الإطلاق في أول القرن التاسع الهجري التقي الفاسي (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) صاحب كتابي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، وغيرهما من عشرات المؤلفات التاريخية. والفاسي هو: محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن، تقي الدين أبو عبد الله، وأبو الطيب الإدريسي، الحافظ، الفقيه، المؤرخ، قاضي المالكية بمكة، مفيد البلاد الحجازية وعالمها، العلامة الناقد، النسابه. ولد في ليلة الجمعة العشرين من ربيع الأول سنة ٧٧٥هـ بمكة، وقضى نشأته الأولى بالمدينة المنورة ، ثم رجع إلى مكة المكرمة وهو شاب، فبدأ في طلب العلم على الشيوخ المكيين والمجاورين، وفي سنة ٧٨٩هـ حفظ القرآن، وصلى بالناس التراويح بالمسجد الحرام، وتفقَّه بالفقه المالكي، ثم رحل في طلب الحديث إلى مصر والشام واليمن وغيرها، وبرع في التاريخ، وتقدم حتى أصبح ممن يشار إليه بالبنان في هذين العِلمين [1]. توفي الحافظ تقي الدين الفاسي الحسني – رحمه الله – في ثاني شوال سنة

---

(١) الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد السيد، مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج١، ص ٣٣١، النجم ابن فهد.(النجم عمر بن محمد بن فهد المكي): الدر الكمين بذيل =

٨٣٢هـ ، وتأسف على وفاته كبار العلماء، من ذلك أمير المؤمنين في الحديث في زمانه الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، فقال: كنت أوده وأعظمه، وأقوم معه في مهماته، ولقد ساءني موته، وأسفت على فقد مثله، [١] وقال – أي ابن حجر -: ولم يخلف بالحجاز بعده مثله[٢].

صنف الفاسي مصنفات كثيرة في مختلف العلوم، وعني بالحديث والتاريخ، فصنَّف في أخبار مكة، وأخبار وُلاتها، وأعلامها، مصنفات طِوال وقِصار؛ وقد بلغت مصنفاته في تاريخ مكة وأعلامها مع مختصراتها ثمانية عشر مصنفًا [٣]. وقد أحصى مصنفات الحافظ الفاسي جمعٌ من أهل العلم، فأحصى له: محمد الحبيب الهيلة اثنين وثلاثين مصنفًا، مابين مطبوع ومحفوظ، وأحسن في وصفها [٤]. وأحصى مصنفاته الدكتور فهد بن عبد العزيز الدامغ في رسالة للدكتوراه، وهي غير منشورة « تقي الدين الفاسي ومنهجه في التدوين التاريخي»، فذكر له ستًا وثلاثين مصنفًا، ذكر المطبوع منه والمخطوط، وأسهب وأحسن في وصفها [٥] . للحافظ تقي الدين الفاسي قدم السبق

= العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: عبد الملك بن دهيش ، دار خضر للطباعة ، بيروت، ١٤٢١هـ، ج١، ص ١٧ – ٢٥.

(١) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٩هـ، ج٣، ص ٤٢٩

(٢) ابن حجر: المصدر نفسه، ج٣، ص٤٢٩.

(٣) فهد بن عبد العزيز الدامغ: تقي الدين الفاسي و منهجه في التدوين التاريخي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام مجمد بن سعود بالرياض، ١٤١٢هـ، ص ١٤٢ – ١٤٥.

(٤) محمد الحبيب الهيلة: التاريخ و المؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة ، ١٩٩٤م، ص١١٦ – ١٢٥.

(٥) الدامغ: تقي الدين الفاسي، ص ١٤٢ – ١٤٥.

بالشمولية في حفظ تاريخ مكة وأخبار أعلامها في مصنفاته، وقد شهد له جمعٌ من أهل العلم بحفظه وضبطه لتاريخ مكة، وأخبار أعلامها، قال الحافظ محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي (ت٨٧١هـ): (الفاسي كان يسرد التواريخ سرد الفاتحة لا يتلعثم في ذلك)[(١)].

وقال الحافظ السخاوي (ت٩٠٢هـ) مؤلف كتاب الضوء اللامع: « تقي الدين الفاسي، اعتنى بأخبار بلده، فأحيى معالمها، وأوضح مجاهلها، وجدد مآثرها، وترجم أعيانها، فكتب لها تاريخًا حافلاً سماه: « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » في مجلدين، وعمل «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » في أربع مجلدات، ترجم فيه جماعة من حكام مكة، وولاتها، وقضاتها، وخطبائها، وأئمتها، ومؤذنيها، وجماعة من العلماء والرواة من أهلها، وكذا من سكنها سنين، أو مات بها، وجماعة لهم مآثر فيها، أو فيما أضيف له » [(٢)] .

وأطنب أيضًا في الثناء على مصنفاته التاريخية جمع من أهل العلم، منهم: الحافظ الخطيب جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشي(ت٨١٧هـ - ١٤١٤م) .

---

(١) ابن فهد: لحظ الألحاظ لذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٢٩٦.
أما محمد بن محمد بن فهد: ولد بمكة ٨١٢هـ / ١٤٠٩ م . وتوفي ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م. للمزيد انظر النجم عمر، (ابن فهد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد) إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٩٨٣م، ج١، ص ٨-١٣
الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص ١٤٧ – ١٤٨.

(٢) شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي – الشافعي نسبة إلى سخا شمال مصر هو مؤرخ وعالم حديث وتفسير وأدب شهير من أعلام مؤرخي عصر المماليك. ولد عام ٨٣١هـ وعاش في القاهرة، ومات بالمدينة المنورة سنة ٩٠٢هـ ،السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار الجيل، ٩٩٢م، ج٧، ص ١-٣٣.

والحافظ أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م) . وأديب اليمن القاضي ابن المقرئ شرف الدين إسماعيل أبو بكر (ت٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م) . والعلامة ابن الوزير محمد بن إبراهيم الحسني(ت٨٤٠هـ/ ١٤٣٦). و من أشهر كتبه التاريخية في سير الأعلام وأتقنها كتابه: « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين »، وقال عنه محمد الهيلة: « العقد الثمين، يُعتبر هذا الكتاب أكبر تآليف الفاسي التاريخية، جمع فيه تراجم المكيين من أقدم عصور التاريخ الإسلامي إلى عهده » [١].

وقال فهد الدامغ: « العقد الثمين »، هو أكبر مؤلفات الفاسي من حيث الحجم، بل هو أكبر المؤلفات في تاريخ مكة، وفي ذلك الوقت يُعد هذا الكتاب من أهم مؤلفات الفاسي، ومن أهم المؤلفات في تاريخ مكة، وتراجم أهلها إن لم يكن أهمها على الإطلاق، ولقد استفاد المعاصرون من الفاسي، وكذلك من جاؤا بعده، ولا زالوا ينتفعون من كتابه هذا الذي تميز بالأصالة والشمول، والعمق، وسدَّ به نقصًا في تاريخ أشرف بقاع الأرض مكة المكرمة [٢].

وقد شهد له الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): « الفاسي، كان حافظًا للأسماء والكنى، ذا معرفة تامة بالشيوخ والبلدان » [٣] .

وكان الفاسي يملي من حفظه المجلدات في معرفة أسماء الرجال، وتراجمهم، وطبقاتهم [٤].

---

(١) محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ١٢٣.

(٢) الدامغ: تقي الدين الفاسي، ص ١٤٢ - ١٤٥.

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ج٣ ص ٤٢٩ السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص ١٨.

(٤) ابن فهد: لحظ الألحاظ، ص ٢٩٦

وبحلول القرن العاشر ظهر ذيلين لكتاب " إتحاف الورى في أخبار أم القرى " للنجم عمر بن فهد.

الذيل الأول:

ألفه عبد العزيز العز بن النجم عمر بن فهد المكي (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م)، بدأ فيه حيث انتهى أبوه النجم عمر بن فهد، أي من سنة (٨٨٥هـ/ ١٤٥١م)، وانتهى فيه إلى سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، وعنوانه: " بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى". [1]

الذيل الثاني:

وضعه جار الله بن العز بن النجم بن فهد (ت ٩٥٤هـ / ١٤٥٧م) ولد بمكة يوم ٢٠ رجب سنة ٨٩١هـ اهتم به والده من عهد طفولته فوجهه نحو العلم والدرس . حفظ القرآن وأخذ عن والده كتبا كثيرة ، منها كتب الحديث ولازمه في الإقامة والرحلة توفي عبدالعزيز بن فهد أثناء رحلة ولده جار الله للشام عام ٩٢٣هـ ، وكان قد بدأ كتابه بأخبار سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، ووصل فيه إلى سنة (٩٤٩ هـ/ ١٥٤٢م). قبل وفاته ببضع سنين وعنوانه: " نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى " [2].

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: صلاح الدين بن خليل إبراهيم، عبد الرحمن بن حسين أبو الخيور، عليان بن عبد العالى المحلبدى، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ج١، ص٣٣-٣٤

(٢) جار الله بن فهد (جار الله بن العز بن النجم بن فهد المكي): نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ٢٠٠٠م، القسم الأول ص ٦-١٣.

وإن المطلع على ما أنتجه مؤرخوا مكة المكرمة خلال القرن العاشر الهجري يلاحظ أنهم تناولوا مجالات عديدة من الكتابة التاريخية [1]، فلم يتركوا باباً من أبواب التاريخ إلا طرقوه وتناولوه بالتأليف، وكانت تآليفهم عديدة، أحصاها ابن هيلة فبلغت المئات[2].

---

(١) انظر محمد عابد يوسف: " التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن العاشر الهجري، ومناهجهم " رسالة دكتوراة غير منشورة جامعة أم القرى، ١٤١٦هـ، ص١٠-١٩.

(٢) لقد أحصى محمد الحبيب الهيلة في كتابه " التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر " ثلاثمئة من مؤلفات المؤرخين المكيين خلال القرن العاشر الهجري، وهي كتب في التاريخ ومتعلقاته. انظر محمد حبيب الهيلة: التاريخ و المؤرخون، ص١٠٠

المؤلف ونسبه :

هو الحافظ عز الدين عبدالعزيز ابن فهد بن محمد المكي الشافعي [1]. ولد بمكة المكرمة في الثلث الأخير من ليلة السبت السادس والعشرين من شهر شوال سنة ٨٥٠ هـ الموافق ١٤/ ١/ ١٤٤٧م، وكان والده النجم عمر غائباً عن مكة بالقاهرة، وسموه علياً، أبا الخير، ثم غير لكون أبيه رأى في منامه قائلاً يقول له (إذا جاءك ذكر فسمه عبد العزيز أبا فارس " [2].

(١) هو الحافظ عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد العز أبو فارس، وأبو الخير ابن صاحبنا النجم أبي القاسم الهاشمي المكي الشافعي، ويعرف كسلفه ابن فهد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن سعد بن هاشم بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن القاسم بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن جعفر بن محمد ـ الشهير بابن الحنفية ـ ابن علي بن أبي طالب، المكي الهاشمي العلوي الشهير بابن فهد الشافعي ، ويتضح ذلك مما ذكره السخاوي في ترجمة نجم الدين بن فهد، وقد نبغ من هذه الأسرة المثقفة عدد من الحفاظ والمحدثين والمؤرخين، حملوا راية العلم، وأول من عرف في هذه الأسرة في بداية العصر المملوكي جمال الدين محمد بن عبد الله بن فهد القرشي المكي (ت٧٣٦هـ/ ١٣٢٥م)، ولجمال الدين من الأولاد محمد، وأحمد، ويحيي، وأم كلثوم، ولم ينجب أحد منهم سوى محمد فأنجب نجم الدين محمد بن محمد بن محمد (ت٨١٢هـ / ١٤٠٨م)، الذى ولد بمكة، ثم رحل إلى مصر وأقام بقرية أصفون الجبلين بالقرب من أسنا – من قرى الصعيد الأعلى على الشاطئ الغربي للنيل– ثم عاد إلى مكة، وحدث وأخذ عن الحافظ عز الدين أبو عمر عبد العزيز قاضي القضاة ابن جماعة، وهو والد العز ابن فهد، عمل بعلم الحديث ثم توالت الأسماء اللامعة في هذه الأسرة التي كان لها الدور الكبير في الفكر والدين والمكانة المرموقة السامية في الأوساط العلمية. للمزيد انظر الفاسى: العقد الثمين، ج٢، ص٧٩ – ٣٨٩، النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، ج٣، ص٢٠٧. ابن حجر العسقلاني: مصدر سابق، ج٢ ص٤١٦. ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج٧، ص٩٥، السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٩، ص٢٣١–٢٨١، النجم ابن فهد: معجم الشيوخ، تحقيق: محمد الزاهى، الرياض دار اليمامة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٨٠،

(٢) السخاوى: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٢٤.

نشأته العلمية في مكة المكرمة:

نشأ العز عبد العزيز في كنف والده وجده، فأحاطوه بعنايتهما منذ نعومة أظفاره، وكانا لهما الأثر الكبير في تثقيفه وتوجيهه، فلقَّناه مبادئ القراءة والكتابة وتعاليم الإسلام، فحفظ على يديهما القرآن الكريم والأربعين النووية [1]، والإرشاد مختصر الحاوي لابن المقري [2]، والنخبة في علم الحديث لابن حجر العسقلاني[3]. والألفية، والوردية[4] والأجرومية[5] في النحو وعرضهم بتمامهم على أبيه وجده.

---

(١) الأربعون النووية كتاب يضم ٤٢ حديثاً شريفاً، جمعه أبو زكريا يحي بن شرف النووي ت ٦٧٦هـ، و يعتني الكتاب بأهم أقوال وأفعال الرسول الكريم، وقد تحرى النووي الأحاديث الصحيحة في ذلك الكتاب، راجع النووي (محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف بن مري بن حسين النووي) الأربعون في مباني الإسلام، وقواعد الأحكام، تحقيق: الشيخ عبد العزيز السيروان، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠٤هـ، ص٣-٢٥.

(٢) من أشهر كتب المختصرات في الفقه الشافعي، كتبه العلامة إسماعيل بن المقري الزبيدي ت ٨٣٧هـ واختصر فيه كتاب الحاوي الصغير للقزويني، وجميع المهتمين بالمذهب الشافعي لهم عناية خاصة بذلك الكتاب، راجع ابن المقري (إسماعيل بن أبي بكر عبد الله): كتاب الإرشاد، المسمى إرشاد الغاوي إلى مسلك الحاوي، تحقيق: الوليد بن عبد الرحمن الربيعي، جدة، دار المنهاج ٢٠١٢م، ص٤-٧.

(٣) هو كتاب وضعه ابن حجر العسقلاني في علم مصطلح الحديث، و سماه: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ثم زاد عليه بعض الشروح الوافية في كتاب جديد أطلق عليه: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، راجع: ابن حجر العسقلاني: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبد الحميد بن قاسم الأعوج، بيروت، دار بن حزم، ٢٠٠٦م، ص١٢-١٣

(٤) الوردية كتاب في النحو عبارة عن منظومة شعرية كتبها القاضي عمر بن الوردي وتمتعت بحسن الرصف والبناء و شمولها لأهم أبواب النحو ولها عدد من الشروح، راجع ابن الوردي (القاضي عمر بن مظفر): التحفة الوردية، تحقيق: شرف الدين يحي العمريطي، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٩٦م، ص٤-٧.

(٥) الأجرومية كتاب خاص بعلم النحو و الصرف كتبه العالم الجليل أبي عبد الله محمد بن أجرم ت ٧٢٣هـ وللكتاب العديد من الشروح لفائدته العظيمة، راجع محمد محي الدين عبد الحميد: التحفة السنية بشرح =

شيوخه:

تتلمذ عبدالعزيز بن فهد على جماعة من أهل مكة ومن القادمين إليها مثل[1].

١- التقي أبو الفضل، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمي المكي (ت٨٧١هـ)[2]

٢- والده نجم الدين أبوالقاسم عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي(ت ٨٨٥هـ).

٣- شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد المخزومي، الشهير بالبامي (ت(٨٨٥/ ١٤٨٠هـ)[3] .الذ ي درس عليه ألفية النحو، والفقه.

٤- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى السخاوي، المعروف بابن القصبي المالكي ، وكتب إجازة له نظماً[4]، وسعى والد عبد العزيز أن يحصل ولده

= مقدمة الأجرومية، دار الطلائع للنشر والتوزيع ٢٠٠٤م، ص٦-١٥.

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٣٨-٤١.

(٢) التقي أبو الفضل محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمي المكي، ولد تقريبا عام ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م بمكة المكرمة وسمع من شيوخها منهم العز بن جماعة، والعفيف اليافعي والتقي عبد الرحمن البغدادي وغيرهم الكثير ورحل للقاهرة ودخلها وأجاز له الصلاح بن أبي عمرو والبهاء بن خليل وآخرون ورجع لمكة وتوفى بها عام ٨٧١هـ/ ١٤٠٨م ودفن بالمعلاة. للمزيد انظر: الغزي، الكواكب السائرة، ج١، ص٢٣٩، السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص٢٣١.

(٣) هو الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الفقيه أحمد بن قريش المعروف بالشمس ابن شهاب المخزومي البامي القاهري الشافعي ولد ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م، بالقاهرة ونشأ بها وتلقى العلم على مشايخ كثر مثل الشيخ جلال البلقيني و الوالي العراقي و القاياتي و البرماوي ثم سافر إلى مكة عام ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م ودرس بها وتصدى للفتوى حتى توفي عام ٨٨٥هـ١٤٨٠م، راجع السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٤٨-٤٩. وقد ذكر المعلمي: أن البامي كان يدرس في مكة الفقه و البلاغة و المنطق و اللغة العربية، المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص٥٧٢. الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٣٠.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٢٤، الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص٢٣٩، ابن العماد الحنبلي: =

على إجازات عديدة على يد علماء مكة المكرمة، وذلك ليتبوأ ابنه المكانة السامية، والمركز العلمي المرموق بين علماء عصره.

٥- شرف الدين أبو الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي [١]، الذي درس على يديه علم الحديث، وأجازه في كتاب مختصر فتح الباري شرح صحيح البخاري.

٦- زين الدين عبد الرحيم بن إبراهيم الأميوطي [٢] ، درس له علم الحديث و الفقه على المذهب الشافعي، ورغم ما قيل إلا أن العز عبد العزيز طلب المزيد للوصول إلى منابع العلم والمعرفة لذلك طلب الرحلة.

٧- برهان الدين إبراهيم بن علي الزمزمي (ت٨٦٤هـ) [٣].

= شذرات الذهب، ج٨،ص١٠١. و معنى أجازته، أي الإذن أو الشهادة، وقد جرت العادة أن يمنحها محدث أو فقيه أو عالم إلى من تأهل من أهل العلم للإفتاء والتدريس في أن يفتي ويدرس ويكتب له بذلك وذلك منذ عصر الدولة العباسية وحتى نهاية العصر العثماني، وقد تطور استخدامها في العصور المتأخرة حتى أصبحت للتفاخر والتباهي. للمزيد انظر زين العابدين بن شمس الله بن نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص١٧.

(١) شرف الدين محمد بن أبي بكر بن الحسين بن عمر بن محمد، أبو الفتح ، يُعرف بابن المراغي. ولد في المدينة المنورة عام ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، وتوفي عام ٨١٩هـ/ ١٤١٦م في مكة المكرمة، المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص١٨١. يقول: أنه توفي عام ٨٥٩هـ. فهناك خلط، فهل يعقل أنه درس عليه كل هذا في وعمره تسع سنوات.وقد يكون المقصد أنه قرأ من كتبه فلذلك يعتبر من شيوخه

(٢) هو العالم المحدث عبد الرحيم بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم اللخمي الأميوطي المكي الشافعي، ولد عام ٧٧٨هـ، ودرس على يد جماعة كبيرة من أهل العلم في مكة و القاهرة، وتفرغ للتدريس في مكة المكرمة حتى مات بها عام ٨٦٧هـ، راجع المعلمي: المرجع نفسه، ج١، ص١٦٤- ١٦٥.

(٣) برهان الدين إبراهيم بن علي ويعرف بالزمزمي نسبة إلى بئر زمزم لكونه كأبيه كان يلي أمرها، ولد عام ٧٧٧هـ/ ١٢٧٨م بمكة المكرمة ونشأ بها ودرس على يد شيوخها مثل الجمال بن ظهيرة والوالي العراقي وابن الجزري وآخرين وأجاز له عدة شيوخ منهم النشاوري، والتنوخي، والمليجي، وانفرد بمكة بعلم =

٨- الشيخ التقى أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن حسن الشمني [١]، الذي أخذ عنه شروحه للنخبة في علم الحديث لابن حجر العسقلاني.

٩- برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي في القاهرة [٢].

١٠- سراج الدين عمر بن حسين العبادي[٣].

١١- الشرف عبد الحق السنباطي [٤]. وكتابه الإرشاد، ثم سمّعه عليه إلا اليسير في

= الميقات، كما أنه يرع في علم الحساب والفقه والميقات وغير ذلك، لذلك أخذ عنه الكثير من علماء مكة، توفي عام ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م. للمزيد انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٨٦-٨٧، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٣٠٣.

(١) الشمني: هو أحمد بن محمد بن الحسن بن علي الشمني القسطنيني الأصل السكندري المولد ولد عام ٨٠١هـ، وتوفي عام ٨٧٢هـ، محدث و فقيه و نحوي ولد بالإسكندرية و تعلم بها ثم انتقل إلى القاهرة و عاش بها ومن أهم كتبه شرح المغني لابن هشام، ومزيل الخفا عن ألفاظ الشفا، و كمال الدراية في شرح النقابة في الفقه الحنفي، وهو من شيوخ السيوطي، راجع السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٢٤. و الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٣٠.

(٢) هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الخرباوي البقاعي ولد في البقاع في الشام عام ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م بقرية خربة روحة ثم تنقل في عدد من البلاد لتحصيل العلم مثل دمشق و القدس و القاهرة و مكة و المدينة الطائف، توفي عام ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م راجع السخاوي: الضوء اللامع، ج١،ص١٠١. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٣٣٩-٣٤٠.

(٣) هو سراج الدين عمر بن الحسين بن الحسن العبادي من مواليد القاهرة عام ٨٠٤ هـ. كان شيخ الشافعية في زمانه وقد درس بالأزهر الشريف وتوفي وقد جاوز الثمانين عاما وذلك عام ٨٨٥هـ، راجع أبي بكر العبادي (علي بن محمد الحدادي اليمني): السراج الوهاج لكل طالب محتاج، تحقيق: محمود حربي عبد الفتاح، القاهرة، جامعة الأزهر، ٢٠٠٣م، ص٤-٨.

(٤) الشرف عبد الحق السنباطي، ولد عام ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م بسنباط - إحدى قرى دلتا مصر - ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم، ثم أقدمه والده للقاهرة في عام ٨٥٥هـ / ١٤٥١م فحفظ بها العمدة والألفيتين والشاطبتين والمنهاج الأصلي، وتلخيص المفتاح والجعبرية في الفرائض، وعرض على خلق منهم الجلال البلقيني وابن الهمام، وابن الديرى، والولي السنباطي، وجد في الاشتغال فأجاز له ابن حجر العسقلاني، =

مجاورته [1]، وكان أحد القراء في تقسيم المنهاج.

١٢- شمس الدين محمد بن عبد المنعم الجوجرى [2]، قطعة من أول شرحه على الإرشاد، وكتبه بخطه، وكتاب الإرشاد كتاب في الفقه لابن المقري في أربعة مجلدات فأزيد، وقد ألف الجوجري شرحاً له في الفقه الشافعي، والتفسير، والقراءات.

١٣- محب الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر البصروي [3]

= والبدر العيني وآخرون وأجازوا له بالتدريس والإفتاء، وولى المناصب الجليلة في أماكن متعددة وتصدى للإقراء بالجامع الأزهر وغيره، وكثر الآخذون عنه، وحج معه أبيه وجاور بمكة والمدينة وأقرأ الطلبة بالمسجدين متوناً كثيرة ثم رجع إلى القاهرة فاستمر على الإقراء والإفتاء، واجتمع فيه كثير من الخصال الحميدة كالعلم والعمل والتواضع والحلم وطرح التكليف والتقشف ولا زال على ذلك إلى أن توفي بمكة سنة ٩٣١هـ / ١٥٢٤م. ودفن بالمعلاة " السخاوي: الضوء اللامع، ج٤،ص٣٧ العيدروس: تاريخ النور السافر، ص١٥٢-١٥٥، ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص١٧٩.

(١) هو كتاب الإرشاد من كتب علم الفقه وقد ذكر الغزي في كتابه أن الإمام عبد الحق السنباطي الشافعي كان خاتمة المسندين والقراء و شيخ الإسلام و الحبر البحر العلامة الفهامة، الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص٢٢١.

(٢) الشمس الجوجري: هو محمد بن عبد المنعم ابن أبي الطاهر إسماعيل الشمس بن نبيه الدين الجوجري، ثم القاهري الشافعي، ولد عام (٨٢١ ه - ١٤١٨ م) بجوجر - بليدة بمصر من جهة دمياط في كورة السمنودية - ثم تحول إلى القاهرة، وأخذ في تحصيل الدروس في عدد من مدارس القاهرة وبالمؤيديه إلى أن توفي عام (٨٨٩ هـ - ١٤٨٤ م) بالقاهرة. للمزيد انظر السخاوي: الضوء اللامع ج٨، ص١٢٣ - ١٢٦، ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٣٤٨، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٧٨.

(٣) محب الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر البصروي. ولد عام ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م ببصرى، وحفظ القرآن الكريم، وألفية ابن مالك، ثم رحل إلى دمشق عام٨١٢هـ/ ١٤٠٩م، فأخذ النحو عن العلاء القابوني، والفرائض وغيرها عن الشهاب بن الهائم، كما لازم البرهان بن خطيب فقيه دمشق؛ لذلك أخذ الفقه عنه، فأذن له بالإفتاء والتدريس. فكان البصروي علامة شاعراً شارحاً. توفي عام ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م. انظر السخاوي. الضوء اللامع. ج٧، ص٢٩٥-٢٩٧، الزركلي، الأعلام، ج١، ص٢٣٦.

١٤- برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة [١] قاضي قضاة الشافعية درس علي يديه الفقه.

١٥- ولي الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن قاضي عجلون (ت٨٦٥هـ) [٢].

١٦- فخر الدين أبو بكر بن ظهيرة (ت٨٨٩هـ) [٣].

---

(١) البرهان بن ظهيرة، هو أبو بكر بن علي بن أبي البركات محمد بن أبي السعود محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة، الفخر القرشي المكي الشافعي، شقيق البرهان وسائر أخوته، أمه أم الخير بنت العز محمد بن أحمد النويري ولد عام ٨٣٨هـ / ١٤٣٤هـ بمكة، ونشأ بها، فحفظ القرآن وغيره، والأربعين، والمنهاج، كلاهما للنووي، وابن الحاجب الأصلي، والتلخيص، وألفية الحديث وغيرهم، وسمع على جماعة من علماء مكة وغيرها، وأجاز له جماعة، ودخل القاهرة عام ٨٦٢هـ / ١٤٥٧م، وولى الخطابة بالمسجد الحرام، واستقر به، وأقره خاير بك في تدريس درسُه بالمسجد الحرام، والنظر على رباط كلاله، ورباط السدرة، وميضأة بركة، وعلى توزيعها، والإشراف على الدشيشة ، وقف الأشرف قايتباي، وتولية قضاة جدة بعد وفاة أخيه الكمال أبي البركات، وتفنن ودرس وأفتى، وحمدت سيرته توفي عام ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م. للمزيد انظر النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى،٤ج، ص٤٥٢ - ٥٦٤ - ٥٧٠ - ٦٢٢، السخاوي: الضوء اللامع، ج١ ص٥٨. ترجمة ١٥١، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٣٣٦.

(٢) ولي الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن شرف الزين ابن اللؤلؤي الدمشقي الشافعي ويعرف بابن قاضي عجلون، ولد عام ٧٨٥هـ/ ١٤٣٥م بدمشق ونشأ بها في كنف أبيه فحفظ القرآن الكريم وأخذ علم الفقه واللغة على يد شيوخها ووالده وسافر إلى القاهرة أكثر من مرة فأخذ يدرس على يد شيوخها مثل الجلال المحلي والشيخ الشرواني، ثم رحل مع ركب الحاج إلى مكة عام ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م. وكان فاضلا لطيف العشرة حسن الملتقى محباً في لقاء الأكابر سليم الفطرة، مات بدمشق عام ٨٦٥هـ/ ١٤٧٣م. انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص٨٧-٨٨.

(٣) أبو بكر بن علي بن أبي البركات محمد بن أبي السعود محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة الفخر القرشي المكي الشافعي، ولد بمكة عام ٨٠١هـ/ ١٤٣٤م ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم، ودرس النحو والأجروميه على أبو الفتح المراغي وجود القرآن وسمع على التقي ابن فهد، ورحل للمدينة المنورة ودرس على علماءها، وفي بيت المقدس على الجمال بن جماعة والتقي أبي بكر القلقشندي ورحل للقاهرة ودرس على يد شيوخها مثل الرشيدي وغيره ثم رحل إلى بلاد الشام وأخذ على يد شيوخها الكثير

=

١٧- نور الدين علي بن محمد الفاكهي درس علي يديه اللغة والحديث (ت٨٨٠هـ)[١].

١٨- شرف الدين أبو زكريا يحيى بن أحمد العلمي المالكي(ت٨٨٨هـ)[٢].

١٩-محي الدين عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد الوارث المالكي(ت٨٧٤هـ) [٣].

٢٠-الشريف نورالدين السمهودي فدرسه الفقه والحديث و التاريخ [٤].

= وأجازوا له بالتدريس والإفتاء، وولي الخطابة بالمسجد الحرام. ومات عام ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م للمزيد. انظر السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص٥٨-٦٠.

(١) نور الدين علي بن محمد الفاكهي: ولد عام ٨٣٦هـ/ ١٨٣٢م بمكة و مات بها عام ٨٨٠هـ/ ١٨٧٥م، وتعلم فيها علي يد كبار المشايخ ، و برع في اللغة والفقه، ودرس بالمسجد الحرام، و للمزيد من التفاصيل راجع ترجمته عند السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٣٢٤-٣٢٥.

(٢) يحيى بن أحمد بن عبد السلام بن رحمون، أبو زكريا بن الشهاب أبي العباس القسنطيني المغربي المالكي، نزيل مكة، يعرف بالعلمي، حفظ القرآن ببلده قسنطينة، واشتغل بها، ثم رحل للقاهرة، وأخذ عن علمائها، منهم: السخاوي، وأخذ صحيح مسلم عن الزين الزركشي ما بين قراءة وسماع، وحج عام ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م ورجع للقاهرة ودرس بجامع الأزهر وغيره، وانتفع به الكثير، ثم رحل لمكة المكرمة، وكان كثير التواضع، مات ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م. للمزيد. انظر السخاوي: مصدر سابق، ج١٠، ص٢١٦-٢١٧.

(٣) عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد الوارث بن محمد بن عبد الوارث بن عبد المنعم بن يحيى المحيوي، أبو البركات المصري ثم الدمشقي قاضيها المالكي، ولد عام ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م بمصر، ونشأ بها، وحفظ القرآن، ثم درس الحديث والفقه على يد الشيخ البساطي، وابن عمار، وأبي الفتح وغيرهم، وأجازوا له، وأخذ العربية عن الشمني، وابن الهمام، وقرأ عليه البخاري والموطأ؛ لذلك برع في الفقه وأصوله، والعربية وغير ذلك، وعمل في الإفتاء والتدريس، وكان فخم العبارة، قوي الحفيظة، زائد الشهامة، وتولى قضاء المالكية بدمشق إلى أن مات ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م ودفن بالمدرسة الصمصامة بدمشق.انظر السخاوي: مصدر سابق، ج٤، ص٢٦٩-٢٧٠.

(٤) السمهودي: هو علي بن عبد الله بن أحمد أبي الحسن علي بن عيسى بن محمد بن عيسى نور الدين أبو الحسن =

٢١- عبد الواحد بن إبراهيم بن عبد الواحد المرشدي المكي [(١)].

٢٢- شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي السلمي المنصوري القاهري الشهير بالهائم، أخذ عنه النحو والحديث [(٢)].

٢٣- شهاب الدين أحمد الشوائطي المقرئ [(٣)].

= بن الجمال الحشي السمهودي القاهري الشافعي، نزيل الحرمين، ويعرف بالشريف السمهودي، ولد في صفر عام ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م بسمهود – إحدى قرى مصر – ونشأ بها، وحفظ القرآن وكتباً، ولازم والده في قراءة عليه بحثاً مع شرحه للمحلى، وشرح البهجة، وجمع الجوامع، وغالب ألفية ابن مالك، وسمع عليه بعض كتب الحديث، وقدم القاهرة معه، ولازم الشمس الجوجري في الفقه وأصوله والعربية، وقرأ على الجلال المحلى بعض شروحه على المنهاج، وجمع الجوامع، ولازم الشرف المناوي وقرأ عليه الكثير، وعلى السعد الديري، وأذن له في التدريس، وقطن المدينة المنورة من عام ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م، ولازم فيها الشهاب الأبشيطى، وقرأ عليه تصانيفه وغيرها، وأذن له في التدريس، وانتفع به جماعة الطلبة في الحرمين، وألف عدة تآليف كثيرة، وتوفي بالمدينة المنورة عام ٩١١هـ / ١٥٠٥م للمزيد انظر السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٢٤٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨،ص٥٠-٥١.

(١) عبد الواحد المرشدي، هو عبد الواحد بن إبراهيم بن عبد الواحد المرشدي المكي، اشتغل على أبيه، كان مباركاً، وله عدة تآليف كالأربعين المكية في أحاديث الفقهاء الحنفية، وإرشاد المهتدي في مرويات المرشدي، سمع من السخاوي بمكة، توفي عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م انظر ابن فهد، بلوغ القرى، ج٣، ص ١٥٤٧،١٤٩٠. السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٩٤، الكتاني: فهرس الفهارس،ج١،ص١٢٥، ٤١٦، ٤١٧.

(٢) أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الدائم بن رشيد الدين بن عبد الدائم بن خليفة بن مظفر الشهاب السلمي المنصوري الشافعي، ويعرف بالهائم، ولد عام ٧٩٨هـ/ ١٣٨٧م بمدينة المنصورة ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل للقاهرة ودرس على الجمال الأقفهسي المالكي وغيره، ثم درس الفقه الشافعي على عيسى الأقفهسي، وألفية بن مالك على الشمس بن الجندي، ودرس النحو على البدر حسن القدسي، وكان شاعرا وأديبا، وصار في أواخر أيامه أحد شعراء القاهرة. وكان ظريفاً متواضعاً، ومات عام ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م. انظر السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص١٥٠-١٥١.

(٣) شهاب الدين أحمد الشوائطي المقري. ولد عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م ببلدة شوائطي قرب تعز ونشأ بها وحفظ الشاطبية وأخذ القراءات على يد الكثير من شيوخ اليمن مثل الشيخ عبد الله البنبي وعبد الرحمن بن هبة =

٢٤- محي الدين عبد القادر الحنبلي الحسني الفاسي (ت٨٩٨هـ) [(١)].

٢٥- شمس الدين محمد بن محمد علم الدين بن محمد السنباطي [(٢)].

٢٦- الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)[(٣)].

= الله الملحاني، ثم انتقل إلى مكة المكرمة عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م ثم سافر إلى المدينة المنورة أكثر من مرة وقرأ على ابن الجزري وأذن له بالإقراء وتفقه في المدينة على الجمال الكازروني وفي مكة بالشمسي الغزاني وعلى الشريف عبد الرحمن الفاسي والجمال بن ظهيرة والزين الطبري وغيرهم، ولقيه الإمام السخاوي يقول كان إماماً فاضلاً خيراً وملازما للعبادة والإقراء ومحباً للناس توفي ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م. انظر السخاوي: مصدر سابق، ج٢، ص٢٨-٢٩.

(١) محي الدين أبو صالح عبد القادر ابن قاضي القضاة سراج الدين أبي المكارم عبد اللطيف بن محمد الحسيني الفاسي الأصل المكي الحنبلي، ولد عام ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م بمكة المكرمة، وحفظ بها القرآن الكريم، وحفظ الشاطبية ومختصر ابن الحاجب، وتلا بالروايات السبع على الشيخ عمر الحموي البخاري نزل مكة، وأخذ الفقه عن العز الكناني، والعلا المرداوي، وأذن له في الإفتاء والتدريس عن الأمين الأقصرائي الحنفي، وسمع الحديث على أبي الفتح المراغي، وولي قضاء الحنابلة عام ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م ثم أضيف له قضاء المدينة المنورة عام ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م ودرس بالمسجد الحرام. توفي عام ٨٩٨هـ/ ١٤٨٤م. للمزيد انظر ابن العماد الحنبلي: مصدر سابق، ج٧، ص٣٦١-٣٦٢.

(٢) شمس الدين محمد بن محمد علم الدين بن محمد السنباطي، ولد عام٨١٦هـ/ ١٤١٣م بسنباط، إحدى مدن الدلتا، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، وعام ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م، رحل للقاهرة، وتعلم على يد شيوخها بالجامع الأزهر، ورافق كل من ابن فهد، والتقي القلقشندى، والبقاعي، فمن شيوخه: أبي القسم النويري، وابن حسان، والخضيري وغيرهم من الأئمة، ثم حج، وجاور وسمع بالحرمين بعض كتب الفقه، ورحل مع السخاوي إلى القدس، والخليل، والإسكندرية، وانتفع به الطلبة. وتوفي عام٨٩١هـ/ ١٤٨٦م. وللمزيد انظر السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص٢٧٢-٢٧٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني، هو أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الشافعي العسقلاني، ولد بالقاهرة عام ٧٧٣هـ/ ١٣٧٢م، انتقل أبيه إلى عسقلان بأرض فلسطين، ثم رجع إلى مصر، وحفظ القرآن الكريم، ومارس مهنة التجارة، وأحب نظم الشعر، وسمع بالقاهرة من السراج البلقيني، والحافظ ابن الملقن العراقي الذي أخذ عنه الفقه، ورحل إلى عدة مدن، وأخذ عن شيوخها، مثل: بلاد الشام، واليمن، ومكة المكرمة، =

٢٧ - الشيخ الزيني زكريا [١]. درس عبد العزيز على يديه الفقه الشافعي والتفسيروالقراءات ثم رجع إلى مكة [٢].

٢٨- الشيخ التقي محمد بن عوجان، فقرأ عليه كتابه الإسعاد بشرح الإرشاد، وهو أحد شروح كتاب الإرشاد في الفقه الشافعي [٣].

رحلاته العلمية خارج مكة المكرمة:

كان للعز عبد العزيز بن فهد رحلات عدة داخلية وخارجية؛ طلباً للعلم على وقد واجه صعوبات في أثناء رحلاته ولك رغبته لطلب العلم والاستزادة منه جعلته يتغلب عليها .

رحلته العلمية إلى المدينة المنورة:

لما اشتد عوده وترعرع كان لازماً عليه الرحلة في طلب العلم؛ إرضاء لشغفه العلمي، فأولى رحلاته في طلب العلم كانت إلى المدينة المنورة، نظراً لمكانتها العلمية؛ حيث

= وبرع في الفقه، والعربية، والأحاديث، ولذلك رحل إليه الناس من الأقطار، وانقطع في منزله للتصنيف؛ لذلك له عدة تصانيف في شتى العلوم، إلى أن توفي عام ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م. للمزيد انظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص٧-٢٣. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٢٧٠-٢٧٣.

(١) الزيني زكريا، هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الزين الأنصاري السنيكي القاهري الأزهري الشافعي القاضي، ولد عام ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م بسنبكة – قرية من قرى الشرقية – ونشأ بها، وحفظ القرآن وكان قد توفي عام ٩٢٦هـ / ١٥١٩م، للمزيد انظر السخاوى: الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٣٤ – ٢٣٦ ، العيدروس: النور السافر، ص١٢٠، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص ١٣٤- ١٣٦.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٥٥.

(٣) محمد بن عوجان: محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي المقدسي المصري الشافعي الشهير بابن عوجان. ولد ليلة السبت خامس في الحجة سنة اثنتين وعشرين وثمانمئة بالقدس الشريف، وحفظ القرآن العظيم، والشاطبية، والمنهاج للنووي، وتوفي عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م، انظر. الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص١١-١٧ .

كانت تزخر بالعلماء والشيوخ وطلاب العلم، وقد جاور شيوخ وعلماء في المدينة ثم عاد إلى مكة [1] وبعد أن التقى بعلماء الحجاز وحصل ماعندهم من علم ، رأى والده – عمر بن فهد – أن ولده العز عبد العزيز يحتاج إلى عقول أخرى تلاقح عقله وتفيده، فأغراه على الرحلة خارج الحجاز؛ طلباً للعلم فتعددت رحلاته.

رحلاته العلمية إلى مصر:

للحركة العلمية الدائبة في الجامع الأزهر والمدارس الأخرى التي تمتعت بها القاهرة، وكونها محط أنظار طلاب العلم؛ توجه العز عبد العزيز إلى الديار المصرية سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م يقول السخاوي: " فأكثر بالديار المصرية من القراءة والسماع، فذهب إلى شيخه الشمني، وأخذ منه مرة أخرى في شرحه لنظم أبيه للنخبة، والجدير بالذكر أن عبد العزيز بن فهد قد جالس الشمني عندما كان بمكة، وأخذ على يديه بعض علم الحديث، كما لازم الشيخ البقاعي في القاهرة، وأخذ عنه " [2]، و بعد رجوعه إلى مكة ومكوثه فترة فيها شدَّ رِحاله مرة أخرى إلى مصر عام ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م، وعن هذه الرحلة يقول عنه أستاذه السخاوي: " وقرأ عليّ في بحث ألفية الحديث مع غيرها من تصانيف، وحضر عندي في الإملاء وغيره، بل وقرأ على الشرف عبد الحق السنباطي [3]

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٢٥، ناصر بن سعد الرشيد: بنو فهد مؤرخو مكة المكرمة والتعريف بمخطوط النجم بن فهد " إتحاف الورى بأخبار أم القرى، بحث في دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثاني، الرياض ١٣٧٩هـ / ١٩٧٩م، ص ٧٥، الحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون، ص١٧١.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٢٥.

(٣) السخاوي: المصدر السابق، ج٤، ص٣٧ العيدروس: تاريخ النور السافر، ص١٥٢-١٥٥، ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص ١٧٩.

كتابه الإرشاد، ثم سمعه عليه إلا اليسير في مجاورته [1]، وكان أحد القرَّاء في تقسيم المنهاج على السراج العبادى[2]، ولكن لم يتهيأ إكماله، وقرأ على الشمس الجوجري [3] قطعة من أول شرحه على الإرشاد، وكتبه بخطه، وكتاب الإرشاد كتاب في الفقه لابن المقري، وقد ألف الجوجري شرحاً له، كما درس عبد العزيز بن فهد على يد الزيني زكريا [4] في الفقه الشافعي، والتفسير، والقراءات، ثم ورجع إلى مكة [5]، ولكن شدة الشوق للاستزادة أرجعته مرة ثالثة إلى القاهرة عام ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م، وعن هذه المرة يقول السخاوي: "فلازمني في السماع والقراءة، وكان مما قرأه علي قطعة من أول شرحي لألفية الحديث، وجميع شرح النخبة، وحضر كثير من مجالس الإملاء، واستملى بعضها، وأكمل الربع الأول من شرح الجوجري للإرشاد عليه، وحضر عنده تقسيم التنبيه، وتقسيم جميع ألفية ابن مالك، ثم رجع لمكة مرة ثالثة مع قافلة الحاج، فأقام ملازماً للاشتغال والإقبال على شأنه " [6].

---

(١) هو كتاب الإرشاد من كتب علم الفقه، وقد ذكر الغزي في كتابه أن الإمام عبد الحق السنباطي الشافعي كان خاتمة المسندين و القراء، وشيخ الإسلام، والحبر البحر العلامة الفهامة، الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص ٢٢١.

(٢) هو كتاب السراج الوهاج الموضح لكل طالب محتاج من كتب الفقه، راجع أبي بكر العبادي : السراج الوهاج لكل طالب محتاج، ص ٤-٨.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٣٤- ٢٣٦، العيدروس: النور السافر، ص١٢٠، ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص ١٣٤- ١٣٦.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص ١٢٣-١٢٦، ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص ٣٤٨، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٧٨.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٥٥.

(٦) السخاوي: المصدر السابق، ج٤، ص٢٥٥.

رحلته العلمية إلى الشام:

وبعد أن انتهى من مجالسة علماء مصر قرر الذهاب إلى الشام للإستفادة من علمائها ، فقام بزيارة مدنها عام ٨٧١هـ / ١٤٦٦م، ورحل لعدة مدن اشتهرت بالعلم مثل: القدس، والخليل، وسمع بالقدس الشريف، وبغزة، ونابلس، ودمشق، وبعلبك[١]، وحماة، وحلب وغيرها من جماعة، واجتهد في كل ذلك وتميز في الطلب [٢]، قرأ عليه كتاب الإرشاد، وكذلك قرأ على الشيخ المحب البصروي كتاب الإرشاد. وعاد العز عبد العزيز إلى مكة المكرمة، يقول أستاذه السخاوي: "ولما جاورت سنة ست وثمانين وثمانمئة والتي تليها أكثر من ملازمتي، بحيث قرأ علي ما كان في كتب والده من تصانيف، وهو شئ كثير.. وبرع في الحديث؛ طلباً وضبطاً، وكتب الطباق[٣]؛ بل كتب بخطه جملة من الكتب والأجزاء، وولع بالتخريج، وأذنت له في التدريس والإفادة والتحديث " [٤]، وبذلك يكون قد تخرج على يد شيوخ كثيرين [٥].

---

(١) بعلبك: مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وبعلبك اسم مركب من بعل اسم الإله وبك المكان الذي يعبد فيه، افتتح بعلبك أبو عبيدة بن الجراح سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م من فتح دمشق، فتحت صلحاً، وينسب لبعلبك جماعة من العلماء. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤، الحميري (محمد بن عبد المنعم ت٨٦٦هـ/ ١٤٦٣م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان ١٩٨٤م، ص١٠٩.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٥٥.

(٣) كتب الطباق: تعني الكتب التي تهتم بطبقة معينة من المجتمع أو جماعة معينة مشتركون في شئ خاص بهم، كفئة المحدثين أو الفقهاء الخ، وتحتوي تلك الكتب على أسمائهم و أحوالهم و مؤلفاتهم وأسماء تلاميذهم و شيوخهم، راجع السخاوي: الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، ص٩٦.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٢٦.

(٥) للمزيد عن هؤلاء الشيوخ انظر عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٣٨-٤١.

تلاميذه:

وفد إليه طلاب العلم؛ وخصوصاً أيام الحج ، فتخرج على يديه العلماء، وأجاز لبعض الطلبة منهم:

١ - ولده جار الله محمد تقي الدين بن العز عبد العزيز بن النجم عمر بن تقي الدين محمد بن فهد المكي الهاشمي الشافعي، ولد بمكة يوم٢٠ رجب سنة ٨٩١هـ / ٢٣ يوليو ١٤٨٦م، أمه من عائلة بني فهد، واسمها كمالية بنت المحب أبي بكر أحمد بن محمد بن فهد الهاشمية المكية، اهتم به والده العز من عهد طفولته، فوجهه نحو العلم والدرس؛ حتى أنه كان يصطحبه لحلقات العلم بالحرم المكي، والطفل لم يتجاوز الرابعة من عمره، حفظ جار الله القرآن، وأخذ عن والده كتباً كثيرة، منها كتب الحديث، ولازمه في الإقامة والرحلة؛ إذ رحل معه رحلاته العلمية كافة وغيرها [(١)]. وكان جار الله يعود من رحلاته العلمية بعلم غزير، ويزاد بجمعه من لقاءات الشيوخ وإجازاتهم ودروسهم، وتوفي العز عبد العزيز أثناء رحلة ولده جار الله للشام عام ٩٢٣هـ، وقدم لنا صديقه ابن طولون تفاصيل جمة عن حياة هذا التلميذ [(٢)].

٢ - ابن قاضي القضاة نجم الدين بن يعقوب[(٣)].

---

(١) للمزيد عن هذه الرحلات انظر جار الله بن العز ابن فهد : نيل المنى، ج١، ص٧-٨، السخاوي: الضوء اللامع،ج٣،ص٥٢.

(٢) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة،المؤسسة المصرية العامة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م،ج٢،ص٦-١٠، ١٤-١٩، ٥٨،٦٣.

(٣) ابن قاضي القضاة نجم الدين بن يعقوب، ولد عام ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م بالمدينة المنورة نشأ بها وحفظ القرآن الكريم، وعرض على جماعة من علماء المدينة، مثل أبي الفرج المراغي، والفقيه يحيى العلمي، وابن يونس حين مجاورتها بطيبة، فأخذ عنهم الحديث، واللغة، والفقه وغير ذلك، ورحل للقاهرة، وأخذ عن علمائها

=

٣- الشيخ أحمد المغربي[1].

٤- العالم الخطيب خصال الدين ابن الشيخ العلامة الخطيب برهان الدين عبد الصمد ابن جعفر القرشي الكازروني[2].

٥- الشيخ زين الدين عمر بن محمد بن علي ابن الشماع الشافعي الحلبي[3] ذكر في

= الكثير، ولم يزل يجتهد حتى ولي قضاة مكة المشرفة، وأفتى ودرس بالمسجد الحرام، وصار من أكابرها ومرجع أهلها، وتقدم عند أميرها، وقدم القاهرة فأكرمه السلطان الغوري بخلعة سنية، وإنعامات مرضية، ودخل القاهرة مرة أخرى مع الشريف أبي نمي بن بركات عام ٩١٨هـ/ ١٥١٢م. وعاد مع ركب الحاج المصري، وتوفي في نهاية شهر ذي القعدة عام ٩١٨هـ/ ١٥١٢م ودفن بمكة، للمزيد انظر السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بطبعه أسعد طرابزوني الحسيني، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ج٣، ص٦٥٩-٦٦١.

(١) الشيخ أحمد المغربي المالكي شيخ المالكية بدمشق، كان فاضلاً خيراً، ولي نظارة الجامع الأموي، فحمدت سيرته، وكان ينتدب للأوقاف فيعمرها، مع التوفير في المصارف، ووسع الطرقات إلى الجامع، فوسع باب البريد، ووسع سوق السلاح. انظر المحبي: خلاصة الأثر، ج١، ص٣٧٣.

(٢) العالم الخطيب خصال الدين ابن الشيخ العلامة الخطيب برهان الدين عبد الصمد بن جعفر القرشي الكازروني. كان أحد أئمة المسجد الحرام. انظر عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى. ج ٣، ص١٧٠٤.

(٣) الشيخ زين الدين عمر بن محمد بن علي الشماع الشافعي الحلبي، ولد سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥تقريباً، وأخذ عن الشيخ محي الدين ابن الآبار، وجلال الدين السيوطي، والقاضي جلال الدين النصيبي وغيرهم، حج وجاور بمكة مرات، وأخذ عن أستاذه العز عبد العزيز أثناء مجاورته للحرمين الشريفين، سافر في طلب الحديث وغيره إلى حماه وحمص ودمشق والقاهرة، وله مؤلفات كثيرة منها: مورد الظمآن في شعب الإيمان، الدر الملتقط من الرياض النضرة في فضائل العشرة، وعرف الند في منتخب مؤلفات ابن فهد، وغيرها، وكان محافظاً على السنة واقتفاء أثر السلف الصالح، وتوفي عام ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م ودفن بأنطاكية . انظر. ابن الشماع، القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: حسن إسماعيل مروة، وخلدون حسن مروة، خرج أحاديثه وقدم له: محمود الأرناؤوط، بيروت، دار صادر ١٤١٨هـ، ج١، ص٣-٩، الغزي: الكواكب السائرة، ج٢، ص٢٢٤-٢٢٧

مقدمة كتابه: (القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي) أنه طلب من العز ابن فهد أن يوقفه على كتاب بلوغ القرى أثناء مجاورته الأولى سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م قال: فامتنع من ذلك، ثم ذكر أن جار الله ابن العز ابن فهد أطلعه على الكتاب في مجاورته الثانية سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م أي قبل وفاة ابن الشماع بتسع سنوات[١].

٦- الوجيه عبد الرحمن بن الشيخ العلامة الصالح عفيف الدين عبد الله الملقب أبي كثير الحضرمي[٢].

٧- محمد بن طولون الصالحى، هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن على بن محمد الشهير بابن طولون الدمشقي الصالحى الحنفي، ولد بصالحية[٣] دمشق قرب مدرسة الحاجبية[٤] عام ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م، وسمع وقرأ على جماعة من فقهاء دمشق، منهم: القاضي نصر الدين بن دريق، والسراج بن الصيرفي، والجمال بن المبرد وغيرهم، كما أخذ من السيوطي وآخرين من أهل الحجاز، وكان ماهراً في النحو، والفقه، والحديث، وولي التدريس بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر، وإمامة السليمية بالصالحية[٥]، وكانت

(١) الغزي: الكواكب السائرة، ج٢، ص٢٢٤-٢٢٧.

(٢) الوجيه عبد الرحمن بن الشيخ العلامة الصالح عفيف الدين عبد الله الملقب أبا كثير الحضرمي. كان يدرس على ابن فهد فمما درس عليه: عمدة الأحكام للحافظ عبد الغني المقدسي. عندما كان الوجيه عبد الرحمن نزيل مكة. للمزيد انظر عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٨٠٧.

(٣) صالحية دمشق: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع بجوار جبل قاسيون من غوطة دمشق، وفيها قبور جماعة من الصالحين، للمزيد انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٩٠.

(٤) المدرسة الحاجبية: أنشأها الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير مبارك الأينالي دوادار سودون النوروزي (٨١٠-٨٧٩هـ/ ١٤٠٧-١٤٧٤م)، قبلي المدرسة العمرية بصالحية دمشق عندما كان والي نيابة دمشق، للمزيد، انظر: محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، عني بنشره وتحقيقه: جعفر الحسني، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٨م، ج١، ص٥٠١-٥٠٢.

(٥) المدرسة السليمية بالصالحية، تضم الصالحية عدة مدارس منذ أنشأها الملك الصالح إسماعيل =

أوقاته معمورة بالتدريس والإفادة والتأليف، وكتب بخطه كثيراً من الكتب، وكان واسع الباع في غالب العلوم المشهورة، وأخذ عنه جماعة من الأعيان، واستمر في التدريس إلى أن توفي عام ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م [1].

٨- الشهاب القسطلاني، هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك.. ابن علي القسطلانى الأصل المصري الشافعي، ولد ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م ونشأ وحفظ القرآن والشاطبية، والوردية في النحو، وأخذ عن علماء عصره، حج أكثر من مرة، وجاور سنة ٨٨٤ ـ ٨٩٤هـ/ ١٤٧٩-١٤٨٩م، وقرأ بمكة على زينب ابنة الشوبكي [2] السنن لابن ماجه وغيرها، وعلى النجم بن فهد وآخرين، وجلس للوعظ بمكة، ورجع مع الركب، وله مؤلفات عدة، وحج مرة أخرى عام ٨٩٧هـ / ١٤٩١م ثم رجع [3].

٩- محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن غازي العثماني المكناسي، [4] وقد تخرج على يديه العديد من الطلبة [5].

= (ت٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) للمزيد، انظر: محمد النعيمي: المرجع نفسه،ج١، ص٣١٦-٣٢٦.

(١) للمزيد انظر ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٢) زينب ابنة أحمد بن حمد بن موسى أم حبيبة، ابنة الشهاب الدمشقي الشوبكي المكي، ولدت في ليلة الاثنين ثاني عشر جمادى الثانية عام ٧٩٩هـ، ودرست على بعض علمائها، ثم أجاز لها جماعة، منهم: العراقي، والمراغي وغيره، وحدثت، وكانت خيرة مباركة كثيرة الصدق والعبادة والصيام والطواف، ت ٨٨٦هـ. انظر: عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج١، ص١٧٤.

(٣) للمزيد انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص١٠٣-١٠٤.

(٤) محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن غازي المكناسي، ولد بمكناسة الزيتون عام ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م، تربى في بيت علم وفقه وصلاح، وبعد أن أتم دراسته الأولية ارتحل إلى مدينة فاس عام ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤، وأخذ عن علمائها إلى أن أجيز له بالإفتاء. للمزيد انظر: ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، دراسة وتحقيق: عطا أبو رية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص ١٧-٢٦. الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٣٣٦.

(٥) للمزيد عن هؤلاء الطلبة انظر: عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،مقدمة التحقيق ج١، ص٤٢- ٤٤.

١٠- محمد بن محمد بن غازي القاضي، أخذ عن العز عبد العزيز أثناء رحلاته المتعددة إلى بلاد الشام وخصوصاً دمشق، وواصل محمد بن غازي في أخذه عن علماء عصره حتى تولى قضاء بعلبك والبقاع [(١)] مراراً إلى أن توفي بدمشق ٩٢٨هـ / ١٥٢١م ودفن بدمشق [(٢)]

١١- شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمار البوني ثم الحلبي [(٣)]. (لم يذكر السخاوي أي تدريس له). هؤلاء هم بعض من أخذوا عن العز عبد العزيز، وإن كان طلابه أكثر من ذلك؛ نظراً لكثرة رحلاته، وهو أحد أعلام مكة، لذلك كان يأخذ عنه الكثير من طلاب العلم من أهل مكة والمدينة والمدن التي رحل إليها، إلى جانب طلاب العلم القادمين عليه من باقي مدن العالم الإسلامي.

(إلى جانب تلاميذ آخرون لم نجد لهم ترجمة في المصادر التي بين أيدينا).

١-أبي اليمن بن الإمام أبي السعادات بن الإمام قاضي القضاة المحب الطبري[(٤)].

٢- القاضي جمال الدين محمد بن عز الدين أحمد بن العلامة زين الدين عبدالحق الشيباني القاهري.

٣- أحمد بن عمر بن أحمد بن محمد الحضرمي الشهير بأبي كثير كسلفه.

---

(١) البقاع، جمع بقعة، موضع قرب دمشق وهي أرض واسعة، فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة. للمزيد انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٧٠.

(٢) الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص ١٨.

(٣) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمار البوني ثم الحلبي، نزيل مكة المكرمة جمع مسند الإمام أبي عبد الرحمن الدارمي، وسمع على الشيخ أبو بكر الشيرازي وغيره، وذلك بصحن المسجد الحرام. انظر: العز عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣،ص١٧٨٢.

(٤) عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج١، ص ٤٢.

٤- الفقيه أبو السعود بن الشيخ محي الدين عبد القادر بن عبد الرحمن الشيباني.

٥- الإمام أبو الخير محمد بن الإمام أبو السعادات بن الإمام قاضي القضاة محب الدين الطبري.

٦- القاضي العالم شرف الدين يحيى بن القاضي العلامة الخطيب عز الدين، الشهير بالفايز بن قاضي القضاة فخر الدين أبي بكر بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي.

٧- شمس الدين محمد بن عبد القادر بن أبي بكر القرشي الحلبي، الشهير بالشماع.

٨- عبد القادر ابن العز بن فهد.

٩- العلامة فخر الدين أبو بكر الشيرازي.

١٠- الوجيه عبد الرحمن بن الشيخ العلامة الصالح عفيف الدين عبد الله، الملقب أبا كثير الحضرمي.

١١- الجمالي محمد، ويدعى جعفر ابن الشيخ كمال الدين الفضل بن عبدالقوي المكي المالكي.

١٢- أحمد ابن الإمام غازي.

١٣- محمد ابن الإمام غازي.

١٤- الشيخ أحمد المغربي.

١٥- الشهاب القسطلاني[١].

٤- عقيدته:

تبوأ العز عبدالعزيز مكانة رفيعة بين علماء عصره، وأشادوا بعلمه وطيب سمعته ولم نجد أن أحداً نال منه في شئ سواء من أمور دينه أو دنياه، أو شكك أحد في نزاهته

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٤٢-٤٣.

وعفته طيلة حياته التي قضاها في العلم والتعليم، وكان سنياً متمسكاً بمذهب أهل السنة والجماعة. وعلى الرغم من ذلك نجده متأثراً بعصره الذي سادت فيه الطرق الصوفية وتعاليمها، ولم يمنعه ذلك من الاعتدال أو عدم ذكر ما كان يجري من أفعال[1]. وأخذ العز عبد العزيز موقف من الصدقة موقفاً غير راضي إلا للحاجة، فعنها يقول"والله يغنينا والمسلمين من سعة فضله "[2]. ومن العادات التي انتشرت في مكة المكرمة والتي لم يشير إليها العز عبد العزيز بكلمات ينتقدها منها. عادة زفة المولد النبوي الشريف والتي كانت تعمل في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول من كل سنة، ويخرج فيها قاضي القضاة الشافعي وبقية الفقهاء، وربما شارك فيها الشريف، وكانت لها تقاليد خاصة بها، ويحمل لها أسمطه وما شابه ذلك [3]. وفي النهاية تدل هذه الأحداث على سلامة عقيدة العز عبد العزيز بن فهد وإنكاره لمثل هذه الأمور المنافية، مثل احتفالات الصوفية، وزفة المولد النبوي الشريف في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول من كل سنة، وكذلك المناداة على ظلة زمزم بالصلاة على الموتى من مشاهير العلماء والمجاورين والأشراف، ويمدحونهم ببعض الألفاظ والعبارات، والتهليلة عند قبر الميت، وإنشاد بعض المراثي [4]، وتمسكه بمذهب أهل السنة والجماعة. فمن ذلك

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٢٥، الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص ٢٣٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص ١٠٠ -١٠٢، البغدادي: هدية العارفين وآثار المصنفين، استانبول١٩٥٥م، ج٦،ص٥٨٣، الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٤، ناصر بن الرشيد: بنو فهد ومؤرخوا مكة، ص٧٤ – ٧٦ .

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج١، ص٤٥،

(٣) عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج١، ص٦١٧، ج٣، ص١٥١٩-١٥١٨، ولم ينكر ذلك، وهي من الأمور التي كان مسلم بها، حيث كانت الصوفية منتشرة في ذلك العصر.

(٤) عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق،ج١، ص٤٧.

ذكره حادثة الشيخ عبد الله الذي ادعى الصلاح، وجلس في جبل عرفة وتردد عليه العوام ونقل عنه كلام سيئ فقال: "قبحه الله تعالى ". وما قاله في التفريق في مكان الدفن بين سيدتين توفيتا: "ودفنت الأولى بالمعلاة عند تربة ابن جوشن، والثانية بأجياد بالقرب من بيت والدها. كما أن ذكره المتكرر لعادة بني مخزوم في الصلاة على أمواتهم عند الحجر الأسود، وهم بذلك يخالفون الجميع في صلاتهم على الأموات عند باب الكعبة، يعتبر من عدم الرضا عن ذلك؛ إذ لو كان الأمر عادياً لم يكن ليكرر ذكره في كل وفاة مخزومية. كما أنه نبّه على سنة الرسول ﷺ في سرعة وتعجيل دفن الميت في وفاة القاضي جمال الدين محمد بن القاضي نجم الدين بن ظهيرة، حيث قال عبدالعزيز بن فهد (وأخر دفنه لثاني تاريخه.. والسنة تعجيل الدفن وترك طلوع الجبل لرؤية الهلال). وعادة الدعاء للشريف بمكة فوق قبة زمزم أو ظلتها عند طوافه بالبيت الحرام، وكانت عادة ذي صيغة معروفة، وقد يكون الدعاء في كل شوط، ولا يخفى ما في ذلك من التشويش على بقية المصلين وغيرهم في المسجد الحرام. وكذلك ما كان يعمله بعض الأغنياء وغيرهم من الميسورين من عمل ترب خاصة، وقبب، وفساقي للدفن بها بعد الموت؛ بعكس الفقراء والضعفاء وغيرهم. وعادة الطواف بالشريف إذا مات سبعة أشواط حول الكعبة كأسلافه، [(١)].

٥- مؤلفاته:

وللعز عبد العزيز مؤلفات كثيرة قال عنها أستاذه المؤرخ السخاوي: وبرع في الحديث طلبا وضبطا [(٢)]، بل كتب بخطه جملة من الكتب والأجزاء، وتولع بالتخريج،

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٤٥- ٤٧.

(٢) السخاوي: الغاية في شرح الهداية، ص٩٦

والكشف، والتاريخ "[١]. وأكد على ذلك الغزي بقوله: " وصنف عدة كتب "[٢] وقال الشيلي: "كتب جملة من الكتب، وصنَّف الكثير من أكثر الفنون "[٣]، وما تعرفنا عليها من كتبه وهي:

١- بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى[٤].

٢- تتميم مشيخة الشريف السمهودي (مفقود)[٥].

٣- ترتيب طبقات القراء للذهبي (مفقود)[٦].

٤- الترغيب والاجتهاد في الباعث لذوي الهمم العليا على الجهاد (مفقود)[٧].

٥- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام [٨].

٦- الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغة (مفقود)[٩].

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤،ص٢٢٦.

(٢) الغزي: الكواكب السائرة، ج١،ص ٢٤٠.

(٣). الشيلي: السنا الباهر، ص ١٨٦.

(٤) موضوع الدراسة.

(٥) كتاب مفقود يذكر السخاوي، في الضوء اللامع ضمن ترجمة علي بن عبد الله السمهودي، أن الشريف السمهودي طلب من النجم بن فهد أن يخرج له مشيخة، فعملها له وعظمه في مقدمتها وأثنى عليه في خطبتها، ولكن النجم بن فهد توفي قبل إكمالها، فتممها ولده العز عبد العزيز وبيضها، فانتفع السمهودي بها وحدث بما فيها. انظر السخاوي: الضوء اللامع، ج٥،ص ٢٤٧، الشيلي: السنا الباهر، ص١٨٦، الغزي: الكواكب السائرة، ج١،ص٢٤٠، الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون،ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٦) الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص٢٤٠، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص١٠٢.

(٧) الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص٢٤٠، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٨، ص١٠٢.

(٨) الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص٢٤٠، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص١٠٢، البغدادي: هداية العارفين، ج٥، ص٥٨٣، الشماع: القبس الحاوي، ج١، ص٤٠٠، الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص١٧٧.

(٩) البغدادي: هدية العارفين، ج٥،ص٥٨٣.

٧- ذروة العز والمجد لمشايخ ابن فهد (مفقود)[١].

٨- رحلة العز عبد العزيز بن فهد في مجلد (مفقود) [٢]

٩- فهرس مرويات العز عبد العزيز بن فهد يشتمل على عدد كبير من الكتب التي درسها عبدالعزيز بن فهد، وبذلك تنطبق عليها تسمية " فهرسة "ولكن هذا المخطوط مفقود[٣]، وسماه: " الجوهر الفرد بمرويات العز بن فهد ".

١٠- معجم شيوخ إبراهيم بن محمد الطرابلسي الحبشي (مفقود)[٤].

١١ - معجم شيوخ العز بن فهد (مفقود)[٥].

١٢- نزهة الأبصار لما تألف من الأفكار ويسمى " التذكرة " (مفقود)[٦].

١٣- نزهة ذوي الأحلام بأخبار الخطباء والأئمة وقضاة البلد الحرام (مفقود)[٧].

١٤- النزهة السنية فيمايطلب من أخبار الملوك وخلفاء الديار المصرية [٨].

---

(١) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٤٢١، ج٢، ص٧٥٥، ٩٢٢.

(٢) الغزي:الكواكب السائرة،ج١، ص٢٤٠، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب،ج٨،ص ١٠٢.

(٣) البغدادي: هدية العارفين، ج٥، ص٥٨٣، الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص١٧٨.

(٤) عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص١٣، البغدادي: هدية العارفين، ج١،ص٥٨٣.

(٥) الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص٢٤٠، قال " وفيه نحو ألف شيخ " ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص ١٠١، المحبي: خلاصة الأثر، ج٢، ص٤٥٧.

(٦) الشماع: القبس الحاوي، ج١، ص٤٠٠، وقال فيه " له تذكرة في ستة أسفار "، المحبي: خلاصة الأثر، ج١، ص٥، البغدادي: إيضاح المكنون، ج٢، ص٦٣٤.

(٧) المحبي: خلاصة الأثر، ج٢، ص٥٤٧، البغدادي: إيضاح المكنون، ج٢، ص٦٣٩، الكتاني: فهرس الفهارس و ج٢، ص٧٥٥.

(٨) يوجد من هذا المخطوط أربع نسخ وهي)أ) نسخة بمكتبة الأسكوريال ضمن مجموع ١٧٠٧ (٢) وتقع في ١٦ ورقة (ب) نسخة بمكتبة الأسكوريال رقم ١٧٦٦ وتقع في ٥٩ ورقة (ج) نسخة بالمكتبة الوطنية النمساوية برقم ٢٤١٤ (mixt ٣،٧٧١) ضمن مجموع تبدأ من ورقة ١٨ إلى ٤٩أ (د) نسخة بمعهد =

١٥- جزء من المسلسل بالأولوية (مفقود)[(١)].

١٦- كتاب المسلسلات التي وقعت له [(٢)] مئة وعشرين مسلسل وقعت له سماها "العقود الغوالى في المسلسلات العوالى " (مفقود)[(٣)].

١٧- له " ثبت " في أربع مجلدات (مفقود)[(٤)].

١٨- له ثبت حاو لكل جليل وحقير لمن أخذ عنه (مفقود)[(٥)].

٦- أسرته:

عاش عز الدين عبد العزيز في بيئة علمية، فأبوه النجم عمر بن فهد العالم المحدث، وجده التقي ابن فهد الحافظ، وأمه مكية، واسمها عائشة [(٦)]. ومن أفضل ما قيل عن عائلة آل فهد ما قاله الشيخ الكتاني ت ١٣٨٢هـ :(وأنت إذا تأملت قلَّ أن تجد في بيت في الإسلام أربعة من الحفاظ في سلسلة واحدة من بيت واحد، يتوارثون الحفظ والإسناد غير هذا البيت العظيم)، وقال عنهم أيضاً: (وهم بيت كبير بمكة انقرضوا

= المخطوطات العربية تحت رقم للمزيد عن هذا المصدرانظر الحبيب الهيلة: مرجع سابق،ص١٧٨-١٧٩.

(١) الغزي: الكواكب السائرة،ج١،ص٢٤٠، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص١٠٢.

(٢) الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص٢٤٠، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص١٠٢.

(٣) الشماع: القبس الحاوي، ج١، ص٤٠٠.

(٤) الشماع: القبس الحاوي، ج١، ص٤٠٠.

(٥) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٦) عائشة: ابنة العفيف عبد الله بن محمد بن علي العجمي الأصل. ترجم لها السخاوي في" الضوء اللامع" فقال: عائشة ابنة عبد الله بن محمد بن علي بن عثمان أم عبد الله، وأم محمد، ابنة الشيخ عفيف الدين العجمي المكي أخت كمالية. تزوجها النجم عمر بن فهد واستولدها يحيى وعبد العزيز وغيرهما، ثم فارقت فبقيت أيماً على ولديها، وفجعت بأوّلها، فصبرت وتكررت زيارتها للمدينة وهي خيّرة صابرة. السخاوي: نفس المصدر، ج١٢،ص٧٦،الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص١٧٠.

اليوم)[1]. وجده هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فهد التقي أبو الفضل العلوي الأصفوني ثم المالكي الشافعي، والد النجم عمر وإخوته، ويعرف كسلفه بابن فهد[2]، ترجم لـه ابنه عمر في "الدر الكمين" فقال: سيدي والدي العلامة الحافظ تقي الدين أبو الفضل بن نجم الدين أبي النصر بن جمال الدين أبي الخير بن القاضي جمال الدين أبي عبد الله. ولد في عشية يوم الثلاثاء خامس شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين وسبعمئة بأصفون الجبلين من صعيد مصر الأعلى بالقرب من أسنا؛ لأن والده كان سافر إلى هناك في سنة بضع وسبعين وسبعمئة لمآثر موقوفة على والدته خديجة ابنة العلامة نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القرشي المخزومي الأصفوني وأولادها[3]، فتزوج هناك ابنة عم جده فاطمة بنت أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم القرشي المخزومي. واستمر هناك إلى أن بلغته وفاة أخيه عبد الرحمن في سنة ثلاث وتسعين وأن حالهم في مكة مضيع، فانتقل بولده وعياله في سنة خمس وتسعين إلى بلاده مكة المشرفة فاستوطنها

---

(١) الكتاني: فهرس الفهارس والإثبات، القاهرة ١٣٤٦هـ، ص٩١٠-٩١٢.

(٢) السخاوي: نفس المصدر، ج٩ ص ٢٨١.

(٣) والدته خديجة – وتدعى سعادة – ابنة عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمي المكي ٧٨٧ – ٨٦٠ هـ: ترجم لها ابنها الحافظ عمر بن فهد المكي (ت ٨٨٥ هـ) في كتابه "الدر الكمين بذيل العقد الثمين"، فقال: خديجة – وتدعى سعادة – ابنة عبد الرحمن بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمي المكي. وتقدم بقية نسبها في ولد ولدها أبي القاسم محمد بن أبي بكر أحمد. والدتي أم الفضل. ولدت في عشاء ليلة الأربعاء لسبع بقين من صفر سنة سبع وثمانين وسبع مئة بمكة. وتوفيت في عشاء ليلة الاثنين حادي عشر صفر سنة ٨٦٠ هـ بمكة، وصُلِّيَ عليها صبح ليلتها بالسباط المتصل بمقام إبراهيم الخليل بالمسجد الحرام، ودفنت بالمعلاة. انظر: عمر بن فهد: الدر الكمين بذيل العقد الثمين، ج٢، ص١٤١٨.

كعادة سلفه" [1]. وأقام قرابة الأربعين سنة لايشرب إلا ماء زمزم، ويصوم الاثنين والخميس والأيام البيض من كل شهر، وتاسوعاء وعاشوراء، والنصف من شعبان، والستة الأيام من شوال، يتصدق ويصل رحمه بالإحسان، ومات في صبح يوم السبت سابع ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وثمانمئة للهجرة، وصلي عليه بعد صلاة العصر عند باب الكعبة، ودفن بمقبرة أهله بجانب مصلبة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما [2]. ووالده هو الحافظ تقي الدين عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي ٨١٢هـ -٨٨٥هـ/ ١٤٠٩-١٤٨٠م، ترجم له صديقه السخاوي في "الضوء اللامع" فقال: عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد صاحبنا النجم أبي القاسم الهاشمي المكي الشافعي ويعرف كسلفه بابن فهد [3]. ولد في ليلة الجمعة سلخ جمادى الثانية سنة اثنتي عشرة وثمانمئة ونشأ بها، فحفظ القرآن، ثم كتاباً في الحديث ألفه له والده، ثم حفظ إلى أثناء الفرائض من الخرقي على مذهب أحمد، ثم حوله أبوه شافعياً، وتوفي في وقت الزوال من يوم الجمعة سابع رمضان سنة خمس وثمانين، وصلي عليه بعد عصرها، ثم دفن عند قبورهم، ورثاه السراج معمر المالكي ولد سنة ٨٤٨ هـ بمكة وحفظ القرآن ومتونا علمية مختلفة توفي

---

(١) راجع ترجمته في، السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص٢٨١، الشوكاني: البدر الطالع، ج٢،ص٢٥٩، ابن فهد: معجم الشيوخ، ص٢٨١، البغدادي: هدية العارفين، ج٢،ص٢٠٥.

(٢) مصلب ابن الزبير : عندما قتل ابن الزبير في حربه مع الحجاج بن يوسف الثقفي قطعت رأسه وأرسلت إلى الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان وأخذت جثته وصلبت على خشبة منكسة في الثنية اليمنى ثنية المدنيين او كداء كما يطلق عليها أهل مكة وبها مقابرهم في موضع معروف في زمن ابن فهد ثم مكث مدة مصلوبا إلى أن جاء الأمر بإنزاله ودفنه . الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢، ص٢٨٦. الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص٢٥٩.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٢٤-٢٢٦،ابن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص٨٥٤.

سنة ٨٩٧ هـ [١]، وغيره رحمه الله وإيانا وعوضنا وإياه خيراً .

وإخوته وهم أخوه عبدالله ومحمد وحفصة ويحيى بن عمر بن محمد بن فهد المكي (٨٤٨ – ٨٨٥هـ)، ترجم له السخاوي في "الضوء اللامع" فقال: يحيى بن عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد محيي الدين أبو زكريا بن النجم أبي القسم الهاشمي المكي الشافعي. ولد في ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وثمانمئة بمكة، ونشأ بها، فحفظ القرآن والشاطبية [٢] وألفية ابن مالك[٣]، وعرض على جماعة كجده، بل قرأها كلها عليهما وآخرين لكن على العادة، واعتنى به أبوه فأحضره وأسمعه كثيراً من شيوخ بلده والقادمين إليها، واستجاز له جماعة، وممن سمع عليه أبوالفتح المراغي[٤] والزين الأميوطي[٥]، وزار المدينة النبوية، والطائف، وزبيد[٦]، ثم

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٢٩، الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص ٨٢، البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٧٩٤.

(٢) متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، هي منظومة للإمام القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي الرعيني، واسمها الأصلي هو حرز الأماني ووجه التهاني، ولكنها اشتهرت بالشاطبية نسبة لناظمها. بلغ عدد أبياتها ١١٧٣ بيتاً، نظم فيها الشاطبي القراءات السبع المتواترة عن الأئمة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي. .

(٣) الألفية في النحو أحد أشهر المتون في علم النحو على الإطلاق، كتبها الشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجيالي المعروف بابن مالك النحوي ت ٦٧٢هـ، وهو كتاب جامع لمقاصد اللغة العربية، واسمه الحقيقي الخلاصة، ولكنها عرفت باسم الألفية لكونها ألف بيت من الرجز، وللكتاب العديد من الشروح كتبها علماء اللغة، راجع ابن مالك (جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبدالله الطائي الجياني) الخلاصة، القاهرة، المطبعة البهية ١٣٠٧هـ، ص٣-٥.

(٤) المعلمي، (عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم) أعلام المكيين، مكة، مؤسسة الفرقان،ج١، ص١٨١.

(٥) راجع المعلمي: المرجع نفسه، ج١، ص١٦٤- ١٦٥.

(٦) تقع مدينة زبيد، في موقع متوسط من سهل تهامة الذي يحتل القسم الغربي من اليمن، ويمتد من عدن =

إلى تعز، ثم إلى صنعاء، وفي الثانية إلى عدن، وسمع في جلها على جماعة، وفي زبيد على الفقيه علي الفتي[1] شيئاً من مصنفاته وغيرها، ورغب في السفر لراحة خاطره، وتفقه على يد نور الدين الفاكهي، وقرأ عليه في العربية والفرائض، وكان بصيراً بها، وكذا حضر مجالس البرهان بن ظهيرة، وأخيه الفخري، وقرأ على السيد السمهودي[2]، وفي علم الحساب على النور الزمزمي[3].

زواج صاحب الكتاب عبد العزيز بن فهد:

تزوج في ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ٨٨٦هـ / الموافق ٢٢/ ٤/ ١٤٨١م، من ابنة عمه كمالية بنت أبي بكر محب الدين أحمد، وكان دخوله بها في السابع والعشرين من الشهر المذكور ورزقه الله منها بأولاد وبنات[4].

الأبناء:

أشهرهم جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن فهد المكي ٨٩١- ٩٥٤هـ، ترجم له السخاوي في"الضوء اللامع" فقال: جار الله، ويسمى المحب أبا الفضل محمداً، ولكنه بجار الله أشهرمن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن

= جنوباً حتى حدود المملكة العربية السعودية شمالاً، وتبعد عن العاصمة صنعاء بحوالي " ٢٣٣ كم " باتجاه الجنوب الغربي، كما تبعد عن مدينة تعز بحوالي "١٦١كم " باتجاه الشمال الغربي، وعن مدينة الحديدة " ٩٥ كم " باتجاه الجنوب الشرقي، عبده ثابت العبسي: مدينة زبيد التاريخية بين الحفاظ والتنمية، جامعة الحديدة، بحث مقدم إلى المؤتمر الأول العلمي زبيد وصلاتها بالعالم، عام ٢٠٠٢م، ص١٢-١٤.

(١) علي بن محمد بن حسن بن صد يق نور الدين اليماني الشافعي، السخاوي:الضوء اللامع، ج٥، ص٢٩٧.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٢٤٥، العماد الحنبلي: شذرات الذهب،ج٨، ص٥٠-٥١.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٢٩١، البغدادي: ذيل كشف الظنون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٨م،ج٢، ص١٧٦.

(٤) حول هؤلاء الأولاد والبنات انظر عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٣٣-٣٤.

محمد الهاشمي المكي، ويعرف كسلفه بابن فهد سبط عم أبيه أبي بكر بن محمد بن فهد؛ أمه كمالية. ولد في ليلة السبت العشرين من شهر رجب سنة إحدى وتسعين وثمانمئة بمكة، ونشأ بها في كنف أبويه، وكان قد سمع علي بعد ذلك أشياء مثل: صحيح الإمام مسلم، وثلاثيات البخاري[1]، والربع الأول من تساعيات العز بن جماعة[2]، كل ذلك بعد المسلسل، وممن أجاز له الشمس محمد بن الشهاب البوصيري[3]، وغيره ممن سمع على ابن الكويك[4]. ولما عاد إلى مكة أكثر على والده من قراءة الكتب الكبار والأجزاء الصغار وانتفع بإرشاده، وخرج الأسانيد [5]. واستوفى ماعند مشايخ بلده من السماع،

---

(١) فالمقصود بثلاثيات الإمام البخاري – رحمه الله – هي الأحاديث التي يكون بين الإمام البخاري وبين النبي ﷺ ثلاثة أشخاص أعلى ما في صحيح البخاري من إسناد. وكما لا يخفى عليكم أن الإسناد العالي فيه ميزة القرب من النبي ﷺ. تصنيف أبي الخير محمد بن موسى بن عبد الله الصفار: ثلاثيات البخاري، مخطوط بالمكتبة الظاهرية، مجموع رقم ١٣٣، ص٩٨-١٠٤.

(٢) الحافظ الإمام قاضي القضاة عز الدين أبو عمر عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الأصل الدمشقي المولد، ثم المصري الشافعي، ولد في التاسع عشر المحرم سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م ومات بمكة عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م ،ودفن بالمعلاة. السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ، طبع على ذيل طبقات الحفاظ للذهبي القاهرة (د- ت) ص ٣٦٣-٣٦٤.

(٣) شمس الدين محمد بن إبراهيم الشهاب البوصيري الشافعي، كان خيراً، كثير النفع للطلبة، يحج كثيراً، ويقصد الأغنياء لنفع الفقراء، وربما استدان للفقراء على ذمته ويوفي الله عنه، مات عام ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م. انظر ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأنباء الغمر، ج٣، ص٢٦٣ ؛ ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص١٦٧-١٧٧. السخاوي: الضوء اللامع ج٦، ص٢٥٢. يوجد خلط فيذكر السخاوي " شمس الدين محمد بن إبراهيم الشهاب البوصيري "فكيف يجيز له وهو متوفي قبله.

(٤) سراج الدين أبو الطيب محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمود الربعي المعروف بابن الكويك.(ت ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م) السخاوي: الضوء اللامع ج٩ ص٩٩.

(٥) تخريج الحديث هو علم يطلق على من أخرج الحديث من أئمة وعلماء الحديث المعتبرين، ويعد علم تخريج الحديث أحد علوم السنة النبوية في الإسلام، راجع عبدالصمد بن بكر ابراهيم عابد: المدخل إلى تخريج =

ورحل إلى مصر ، والشام ، وبيت المقدس ، وحلب ، واليمن ، وأخذ بها وبغيرها من البلدان عن العديد من العلماء ورجع إلى مكة وتوفي بها ليلة الثلاثاء خامس عشر جمادى الأولى سنة ٩٥٤هـ .

ومن أبنائه أيضاً:

أبو جعفر محمد عمر نجم الدين بن عبد العزيز.

أم هانئ سعادة بنت عبد العزيز.

محمد غرس الدين أبو زكريا يحي بن عبد العزيز.

محمد أبو طاهر بن عبد العزيز.

عبد القادر محي الدين أبو صالح بن عبد العزيز.

فاطمة المدعوة ست قريش بنت عبد العزيز [١].

أما أقربائه فكثيرون؛ مما حدا بوالده النجم إلى تأليف كتاب في تراجم بني فهد والتعريف بهم، وسماه "بذل الجهد في من سمي بفهد أو ابن فهد" والكتاب مفقود[٢].

وفاته:

اختلفت المصادر في سنة وفاة العز عبد العزيز بن فهد، فذكر البعض أنه توفي عام ٩٢٠هـ / ١٥١٤م دون تحديد اليوم أو الشهر[٣]. وذكرت بعضها أنه توفي عام ٩٢١هـ / ١٥١٥م[٤]،

= الأحاديث والآثار والحكم عليها ، بيروت ، ٢٠٠٤م ، ص ٢٣ - ٣٧ .

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٣٣-٣٤.

(٢) البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٤٢١.

(٣) البغدادى: إيضاح الكنون، ج٢، ص٦٣٤.

(٤) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص١٠٠، ناصر بن سعد الرشيد: بنو فهد ومؤرخوا مكة، ص٧٥.

وقال البعض: أن وفاته كانت عام ٩٥٠هـ / ١٥٤٣م [١]، والأغلب أنه توفي في ١٨ من شهر جمادى الثاني لعام ٩٢٢هـ / الموافق ٢٢/ ٧/ ١٥١٦م، وهو ما ذكر في نهاية كتابه قيد الدراسة، حيث وصل في أخباره إلى يوم ١٤ جمادى الأولى من نفس السنة فقد قال: " أهل جمادى الأول ليلة الثلاثاء سنة ٩٢٢هـ. في يوم الجمعة رابع الشهر، وصلت مكة قافلة المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، آخر ما وجد من كتاب بلوغ القرى لذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، وهو بخط مؤلفه "[٢].

مصادره:

تختلف دراسة المصادر بين مؤرخ وآخر، فهناك بعض المؤرخين يؤرخون لفترة سابقة على عصرهم الذي يعيشون فيه، وهؤلاء يستخدمون مؤلفات المؤرخين في تلك الفترة ومن جاء بعدهم، وهناك مؤرخين يعتمدون على مصادر معاصرة له لم تكن من الكتب وهو حال صاحبنا ابن فهد في اعتماده على مصادره وهي كالتالي :

أ- المشاهدة والمعاينة:

تعتبر المشاهدة والمعاينة من المصادر الرئيسية للمؤرخ، حيث تتسم بالصدق والشفافية التاريخية، ومؤرخنا كثيرا ما شاهد الأحداث، وأخبرنا بها ضمن قوله: " فرحلنا إلى الزيمة [٣] فوصلناها الضحوة العالية فجلسنا عند البركة "[٤]. ولدى ابن

---

(١) عمر بن فهد: معجم الشيوخ، تحقيق: محمد الزاهى، الرياض دار اليمامة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص١٩.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٣، ص٢٠٣٠-٢٠٣١،الحبيب الهيلة:التاريخ والمؤرخون، ص١٧٢.

(٣) الزيمة، قرية بوادي نخلة من أرض مكة، وبها عين عذبة بوادي اليمانية، وفيها إمارة تابعة لمكة المكرمة، وتشتهر بجودة الموز، يمر بها طريق مكة الطائف (طريق السيل) على بعد ٤٥ كم منها. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٦٥، عاتق البلادى: معجم معالم الحجاز، ج٤، ص١٥٠.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٦٧٦.

فهد قدرة في دقة وصفه وسهولة شرحه للأحداث ونقدها وتحليلها حتى أصبح القارئ كأنما يعيش مع الأحداث في عصره . [١] ولدقة العز عبد العزيز في مشاهدته نجده يقول: " – في محرم ٩١٢هـ – حصل لي وولدي أربع شاشات وثلاث قمصان وإحرامان وخمس فوط، وكنت أحوج الناس لمنديلين أو واحد " [٢] وإن دلَّ على شئ فإنه يدل على الحرص على متابعة المشاهدة ليتأكد من مشاهدته. وكذلك أمانته في تدوين الحدث بلغت درجة عالية حيث أنه يروي الحدث كما بلغه (إن لم يكن حاضرا) ممن حضره ويشير في النهاية إلى أن ذلك بلغه ولم يكن هو حاضرا .

ب – الرواية الشفهية:

الروايات الشفهية (التاريخ الشفهي) من المصادر التاريخية الهامة التي يجب العناية بها، خاصة لمن يكتب عن تاريخ عصر قريب منه؛ لأن المؤرخ في مثل هذه الحالات يدوِّن ما لم يدركه أو يشهده من حوادث، ويترجم لمن لم يعاصرهم من أشخاص أو جزءاً يسيراً من حياتهم؛ مستعيناً بمن هم أكبر منه سناً، وهم شهود عيان أدركوا تلك الحوادث وعاصروا تلك الشخصيات، ولكن هذا التاريخ الشفهي ليس بالأمر السهل، فالناس عادة ما ينسون أشياء كثيرة ومهمة، وربما يعطون أهمية لأحداث عادية، أو يعيدون ترتيب الأحداث، وفي أحيان أخرى يعمدون إلى إبراز الذكريات الأليمة، أويعطون أنفسهم أدواراً مبالغاً فيها[٣].

(١) عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٣، ص١٥٠٤.

(٢) عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٣، ص١٥١٤.

(٣) روبرت بيركس: التاريخ الشفهي حديث عن الماضي، ترجمة عبد الله إبراهيم العسكر، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٣هـ/ ص١٨.

وجاءت الرواية الشفهية عند عبد العزيز بن فهد بعدة صيغ مثل: أخبرنا[1]، وتكلم القاضي كلاما عنيف فيما سمعت[2]، وفي هذا اليوم سمعنا بموت الشريف عنقا بن وبير الحسني . [3] وهذه الصيغ كلها تعبر على أخبار شفهية وردت عن العز عبد العزيز، ولا غرابة في ذلك؛ نظراً لكون العز عبد العزيز محدثاً قبل أن يكون مؤرخاً، ومكانة الرواية الشفهية عند المحدثين معروفة، فهي أعلى طرق التلقي والتحمل عندهم، لذلك استفاد العز عبد العزيز من الروايات الشفهية وتلافى أخطاءها.

ج – المراسيم السلطانية:

المراسيم مصدر تاريخي مهم يعد من أرقى وأوثق أنواع المصادر[4]، والعز عبد العزيز تنبَّه لأهميةهذا النوع من الوثائق، واستفاد منها بقدر المستطاع؛ حيث نجد الكثير من المراسيم والأوامر الصادرة من السلطان المملوكي إلى شريف مكة والقضاة ونائب جدة، وكانت هذه المراسيم ترد بصورة تكاد تكون دورية في موسم الحج، وبعضها يكون حسب الظروف السياسية بالبلاد. ولكي تأخذ هذه المراسيم طابع القوة والشرعية فقد كانت تُقرأ في المسجد الحرام علناً، عندما تصل إلى مكة، إما مع أمير الحاج أو تصل بيد قاصد، ويُستقبل حاملها بحفاوة، ويخرج له الشريف إلى الزاهر[5]. ثم يدخل مكة ويجتمع به بالمسجد الحرام، أو يرسل بالمراسيم إلى مكة؛

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٤٧٣.

(٢) عبدالعزيز بن فهد: مصدر سابق، ج١، ص١٧٠.

(٣) عبدالعزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٣، ص ١٦١٨.

(٤) عبد الرحمن عبد الله الشيخ: المدخل إلى علم التاريخ،الرياض، دار المريخ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ص١٥.

(٥) الزاهر، وادي على بعد ميلين من مكة على طريق التنعيم، وهو موضع على جانبي الطريق، وبه أثر دور وبساتين وأسواق، وكان الناس يعتنون به لأنه ممر الحجاج والمعتمرين، ويقال له " فخ " وباسمه المعركة التي حصلت بين العباسيين والعلويين في عهد الخليفة العباسي الهادي عام ١٦٩هـ / ٧٨٥م، ومعظم =

حيث تصل إلى أصحابها. وكثيراً ما أورد العز عبد العزيز نماذج من هذه المراسيم فيقول: "وصل بمكة أوراق ومراسيم من القاهرة وصلت إلى السيد بركات برّاً وبحراً" (١). ولأهمية المراسيم نجد العز عبد العزيز يقول: "ومعهما مرسومان له فيهما ولايته لقضاء الحنفية "(٢).

د – الرسائل الإخوانية (المراسلات):

نمت الرسائل الإخوانية نموّاً واسعاً؛ لكونها ذات سمات شخصية، فتتحدث عن الأخبار أو الوصف أو التهنئةوغيرها . وفي العصر المملوكي كثرت الرسائل؛ لكثرة الأخبار من شيوخه وأصحابه وولده، لإعلامه وإطلاعه على بعض الأمور والأخبار، ومثال ذلك: "ومن ذلك أوراق من ولدي محمد جار الله (٣). وكانت هذه الرسائل ذات أهمية لما تتضمنه من صراحة وصدق في الأحداث التي دونت فيها ودليل ذلك " وجاء لمكة أوراق من عرار(٤)، وأحمد بن أبي الخير الفاكهي(٥)، وهو معه، وصاحبه عبد

= سكانه من قبيلة حرب بعد نزوحهم إليه جماعياً. والزاهر، أحد أحياء مكة الغربية، محسوب من جرول، وهو حي جميل شجير واسع الشوارع المعبدة، وكان بستاناً للشريف عون الرفيق له عين تسقيه وبركة كبيرة، فصار اليوم حلقة الخضار والفواكه، وقسم منه بنى مستشفى للولادة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٧ –٢٣٨، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٤ ، ص٧٥٢-٧٥٣. انظر عاتق البلادى: أودية مكة المكرمة،مكة المكرمة، دار مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١٩.

(١)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٦٠٣.

(٢) عبد العزيز بن فهد: المصدر نفسه،ج٣، ص١٦٠٣.

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٤) عرار بن عجل بن رميح الحسني، من أولاد أبي نمي، وأخو زوجة الشريف بركات أم الكامل، كان شريف مكة بركات يثق به ويعتمد عليه ويرسله مع ابنه إلى سلاطين مصر، توفي في اسطنبول عام ٩٤٦هـ/ م، انظر عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١١٧٥، النهر والي: البرق اليماني في الفتح العثماني، منشورات المدينة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٦٦م، ص ٨٦-٩٢.

(٥) أحمد بن أبي الخير الفاكهي الأصل المكي الشافعي، ولد فِي شعبان عام ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م بمكة ونشأ بها، =

الغني المرشدى [1] بعد مضاربة كبيرة بمصر، وكان فيها أشد العسرة عليه، وفي ورقته إلى القاضي المالكي أن عبد الغني لم يحصل له شئ، وأنه أساء على كاتب السر وناظر الجيش وغيرهما، وبلغهم ذلك ومقته المصريون " [2] وبذلك نجد في هذه الرسائل أخبار وأحوال رجال الدولة وكبارها وتجارها، وأخبار بعض المدن والعواصم، وعامة الناس وأحوالهم، فجاءت الرسائل غزيرة لكتابة متنوعة لمصادر العز عبد العزيز.

= تتلمذ على يد السخاوي بمكة والمدينة وقرأ عليه بالقاهرة، كان حذق فطن متودد توفي عام ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م، للمزيد انظر السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٣٤، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٥، ص٢١٤.

(١) عبد الغني أبي بكر بن عبد الغني بن عبد الواحد.. المرشدي المكي الحنفي، نشأ بمكة، وحفظ القرآن الكريم، والكثير من كتب الحديث والفقه والتفسير علي يد علماء الحرم، منهم القاضي البرهاني، ويحي العلمي، والقاضي الحنبلي وغيرهم وأجازوه، كان حياً عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٤٧٦، السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤، ص ٢٤٧ -٢٤٨، الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٤١٧،٤١٦،١٢٥.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٤٧٦.

وصف الكتاب ومنهج المؤلف في سرد الأحداث:

١- وصف الكتاب:-

اشتمل الكتاب على تفاصيل مهمة في تاريخ مكةالديني والسياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، ويمتد لست وثلاثين سنة وثمانية أشهر، رواها العز عبد العزيز المؤرخ الأصيل المحدث، الذي عاش في مكة المكرمة متصلاً بأغلب علمائها، محترماً مقدراً من أهلها، بعيداً عن أهل السلطة وإغوائهم، فجاء كتابه حافلاً بالأخبار، ثريّاً بالمعلومات النادرة التي صاغها في لغة واضحة، وأسلوب سهل، مع نقد رصين هادئ لكل ما لاحظه في مجتمعه وأهله؛ مما يستحق النقد من وجهة النظر الدينية والأخلاقية، رتب فيها أخبار الحوادث والمستجدات ترتيباً منظماً ودقيقاً؛ حسب تسلسلها في السنة، وحسب تواليها في أيام الشهر، فجاء الكتاب مشتملاً على معطيات سياسية وحضارية[١].

أ- أخبار اجتماعية:

ذكر العز عبد العزيز أخبار العائلات بمكة المكرمة؛ سواء العائلات العلمية أو الثرية أو السياسية، إلى جانب التحركات الاجتماعية والاحتجاجية على السلطة بمكة وما يتبعها من مدن وغيرها، إلى جانب ذكره عادات أهل مكة في الزواج، والطلاق، والولادة، والختان، والأعياد، والوفيات. إلى جانب تناوله الأجناس التي استقرت بمكة من عبيد، وجواري، ومغاربة، وأتراك، ومصريين وغيرهم.

ب - أخبار اقتصادية:

اهتم العز عبد العزيز بما كان يجري بمكة من نشاط اقتصادي؛ نتيجة ازدهار ميناء

(١) الحبيب الهيلة: المؤرخون، ص١٧٣.

جدة، وما كان يؤخذ من التجارة، ألا وهي المكس[1] (الضرائب)، وأثر ذلك على ازدهار مكة اقتصادياً، كما تناول ما كان يفد على مكة من تجار من اليمن، والهند، والشام، ومصر بهدف التجارة؛ خاصة في موسم الحج والعمرة.

يعتبر كتاب "بلوغ القرى" سجل لعديد من الحرف والصناعات التي انتشرت في مكة، من دباغة، وتعدين، ومنسوجات، وعطور، والبناء، والتجارة، وصناعة الحلي والمجوهرات، كل ذلك أكسب أسواق مكة رواجاً كبيراً جعلها تحتل مكانة عظيمة؛ خصوصاً في موسم الحج والعمرة، كما جعل مكة مقصداً للتجار من مشارق الأرض ومغاربها. والدارس للأحوال الاقتصادية بمكة يجد في كتاب "بلوغ القرى " سجل لأسعار المواد الغذائية من ارتفاع وانخفاض، حسب الظروف السياسية والاقتصادية والمناخية، وتناول الأوضاع الاقتصادية في البلدان المجاورة، وخاصة مصر والشام واليمن، وأثر ذلك على مكة؛ لأن كثيراً من السلع تأتي إلى أسواق مكة من تلك

(١) المكوس: مفردها مكس وهي كلمة مشتقة من اللفظ السرياني Makso، ويقال أصل المكس في اللغة الجباية، وهي دراهم كانت تؤخذ من البائع للسلع في الأسواق في الجاهلية. وهي ضريبة تفرض على الإنتاج وعلى السلع الواردة والصادرة الموجودة في الموانئ، وفي عهد المماليك قررت على البيوت والحوانيت والخانات والأفران وغيرها، وهو كل ما تحصل من الأموال لديوان السلطان أو موظفي الدولة خارج عن الخراج الشرعي، انظر زين العابدين: معجم الألفاظ، ص٥٠٧ - ٥٠٨. وأبطل المكس عن الحجاج الذين ليس معهم بضاعة، وعاد الركب المصري والشامي، بعد رفع الظلم والخوف الذي وجده الناس من متولي مكة، وعوضه عن ذلك بأوقاف بالجيزة بمصر وغيرها. انظر المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٥، ص ٨٧-٨٨، ابن تغري بردي: (جمال الدين أبو المحاسن يوسف): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تحقيق: جمال الدين الشيال، فهيم محمد شلتوت، القاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م النجوم الزاهرة، ج٧،ص١٤٦، عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٣،ص٩٧. الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، أعده للنشر حمد الجاسر، الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج١،ص٦٠٢.

الأقطار. لذلك نجد ذكره لكثير من حالات الغلاء وأثرها على مكة.

جـ - أخبار ثقافية:

تناول في ثنايا الكتاب الكثير من أخبار العلماء ومؤلفاتهم ودروسهم ومناقشتهم العلمية، واختلافاتهم في الرأي، وأخذهم عن بعضهم بعضاً، والعلاقات بين مختلف فقهاء المذاهب الأربعة، كما ذكر الكثير من أخبار المجاورين وثقافتهم، وأثر أحد العلماء عليهم، إلى جانب دور المدارس والأربطة في ازدهار الحركة الثقافية، كما تناول دور النساء وإسهاماتهن في التعليم ودورهن الاجتماعي. وفي النهاية يعتبر كتاب العز عبد العزيز بن فهد "بلوغ القرى " حلقة مهمة في سلسلة كتب التاريخ المكي، وامتداداً وتكملة لمن سبقه، فهو ذيل على كتاب والده النجم عمر بن فهد " إتحاف الورى بأخبار أم القرى " المتوفى في رمضان عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م، وبذلك نجد العز عبد العزيز بن فهد قد سلك مسلك والده، حيث إن والده انتهى إلى عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م، وهي السنة التي توفي فيها النجم عمر بن فهد، لذلك بدأ من العام نفسه [١]، واستمر في تأليفه إلى شهر جمادى الأول سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م [٢]، أي حوالي ٣٦ سنة و٨ أشهر، لذلك جاء الكتاب عبارة عن وثيقة مطوله وشهادة عيان كتبت في تاريخ مكة المكرمة؛ لأن المؤلف رصد مجمل الحوادث التاريخية التفصيلية التي وقعت بمكة المكرمة لفترة مايقارب ٣٧ سنة، رسم فيها صورة واضحة المعالم لما كان يجرى في مكة المكرمة وباقي مدن الحجاز من حوادث سياسة واقتصادية واجتماعية وإدارية وثقافية، حيث سجلها في ثنايا الكتاب مستخدماً نظام التسلسل الحولي، فعندما ينتهي من عام يبدأ في العام الآخر بشهوره الاثني عشر، متناولاً كل شهر ما يجري فيه من أحداث،

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٧٩.

(٢) نفس المؤلف والمصدر، ج٣، ص٢٠٣٠.

ثم يختتم كل شهر بمن توفي فيه من أعلام. فاعتبر هذا الكتاب بلا شك من أهم مؤلَّفات العز عبد العزيز بن فهد التاريخية؛ إذ يحتل مكانة مرموقة بين كتب التاريخ التي صنفت في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي عن تاريخ مكة، وتزداد قيمة الكتاب بما وصفه مؤلفه من أحداث كان فيها شاهد عيان؛ حيث كان يدوِّن ما يشاهده، أو يسمعه، أو يطلع عليه من وثائق (مستندات)، والمراسيم السلطانية، أي الأوامر والتعليمات الصادرة من السلطان المملوكي إلى شريف مكة، وقاضي القضاة، والمحتسب، وبعض التجار وغيرهم. وكانت هذه المراسيم تُقرأ في المسجد الحرام علناً عندما تصل إلى مكة، إما مع أمير الحاج [1] أو تصل بيد قاصد، واهتم العز عبد العزيز اهتماماً كبيراً بهذه المراسيم، وكان غالباً ما يذكر مضمونها، وما تحتويه من تعليمات وتواريخها، وكان يشير إلى حضوره من عدمه، وذلك من أمانته. وهذه الأمانة هي ما تحتويه مؤلفات العز عبد العزيز؛ لذلك فهو موسوعة حافلة بحوادث مكة السياسية، والاقتصادية، والإدارية، والاجتماعية سواء لعصره أو لمن جاء بعده.

٢- منهج المؤلف في سرد الأحداث:

أوضح العز عبد العزيز بن فهد في مقدمة كتابه (بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى) السبب الذي دفعه للكتابة فيقول: "ولما كان الأمر كذلك،أحببت سلوك هذه المسالك، وأن أقتدي بوالدي وما ألفه قبلي، من حوادث بلدنا مكة المشرفة، ومآثرها لإحياء معالمها وإيضاح مجاهلها " [2]، ثم وضح بالمثال المنهج الذي سوف يسير عليه في كتابه، وهو بذلك يسير على نهج العلماء من قبله، فقال: "ويكون ذلك" -

---

(١)عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج١، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٧٩.

أي بلوغ القرى - "ذيلا على تاريخه المسمى" إتحاف الورى بأخبار أم القرى " فإنه رتبه على حوادث السنين من مولد النبي ﷺ إلى عام وفاة مؤلفه سنة خمس وثمانين وثمانمئة، لكنه اقتصر على الحوادث والوفيات جملة، فذكرها على الشهور مطولة ومفصلة، مع غيرها من المواليد، وإضافة بعضها للأسانيد "[1]، وهو بذلك اتبع من سبقه في الكتابة؛ ولكنه اعتمد على التفصيل أكثر. ومهما يكتب العز عبد العزيز فنجده انفرد بمنهج تميز به بين مؤرخي العصور الوسطى جمع بين سعة الأفق السياسي وعمق الوعي الاجتماعي، وبُعد النظرة الاقتصادية، بحيث جمع في كتابته بين التاريخ السياسي والتاريخ الاقتصادي، والتاريخ الاجتماعي للعصر الذي عاشه وأرَّخ له. لذلك نريد أن نسجل هذا الوعي والعمق وبعد النظر؛ لتوضيح المنهج العلمي الذي اتبعه هذا المؤرخ.

١- إن المتتبع لمنهج العز عبد العزيز في تدوين كتابه يجده اتبع نظام حوادث السنين والشهور والليالي، مطولة ومفصله، مع غيرها من المواليد، وإضافة بعضها للأسانيد، أي تدوين المعلومات أولاً بأول، مع مراعاة ذكر مصدره، والترتيب الزمني.

٢- اهتم بتسجيل الأيام التي وقعت بها بعض الحوادث المهمة، وهذه كثيراً ما يتضمنه كتابه، أما الأيام العادية التي لم تقع بها أية حوادث فإنه يهملها، مثال ذلك: ذكره ليلة الأحد ثاني شهر رمضان المعظم عام ٨٨٥هـ، ثم ينتقل إلى يوم الجمعة من نفس الشهر[2].

٣- اتسمت كتابته بالأسلوب النثري المسترسل؛ متجنباً الزخرفة اللفظية والألفاظ

---

(١) نفس المؤلف والمصدر والجزء والصفحة.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٨٠-٨٣.

الخشنة، لذلك جاءت عباراته واضحة، كما اهتم بإبراز المادة الخبرية في جمل قصيرة وعبارات قليلة غير مطولة.

٤- اتصف العز عبد العزيز بميزة ميَّزته على كثير من مؤرخي عصره، وهي ولعه بالاستقصاء، وحرصه على تقصي الحقائق والجري ورائها، يقول في ذلك: "في أواخر يوم الجمعة ثاني الشهر - ربيع الثاني سنة ٩١٥هـ - توجهت أنا والولدان جار الله وعبد القادر إلى الطائف" [(١)].

٥- يضاف إلى ذلك ميزة لها أهميتها، تبدو في كتاب العز عبد العزيز هي تقديره الفائق لأهمية العامل الاقتصادي في صنع أحداث التاريخ، مما جعله يعنى عناية فائقة بذكر الأحوال والمؤثرات الاقتصادية، وأثرها في المجتمع، من ذلك أنه في حوادث يوم الأربعاء من شهر شعبان عام ٨٨٦هـ / ١٤٨١م سرق مئة دينار [(٢)]. ويربط بين عدم استقرار الأمن وأثره على الأوضاع الاقتصادية فيقول في أحداث شهر جمادى الأول عام ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م: " وذكر لنا أنهم - أي أهل حلي [(٣)] - تعدوا على الجلاب [(٤)] وأخذوا منهم مالاً، لعله يكفي شر المفسدين، ويجعل العاقبة إلى خير " [(٥)].

---

(١) نفس المؤلف والمصدر، ج٣، ص١٦٧٦.

(٢) نفس المؤلف والمصدر ج١، ص١٥٩.

(٣) حلي: مدينة على ساحل البحر الأحمر بينها وبين مكة ثمانية أيام، وهي الآن مدينة ساحلية إلى الجنوب من مكة، وتبعد عن البحر بحوالي ثمانية كيلو مترات، وعن مكة بحوالي ٤٣٠ كم جنوباً، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٧، عاتق البلادي: بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات مكة المكرمة، دار مكة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص١٧٦- ١٩٥.

(٤) الجلاب، جمع الجلبة وهي مركب بحري، انظر الجزيري: الدرر، ج٣، ص٢٢٨٩.

(٥) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٨٤.

٦- كما اهتم العز عبد العزيز بالجانب المعماري لمكة، حيث جعل كتابه سجلاً حافلاً لكل آثار مكة من أبواب الحرم، والمدارس وغير ذلك، وتأكيداً على ذلك يقول: "ومآثرها لإحياء معالمها وإيضاح مجاهلها " [١] لذلك أورد الكثير من أوضاع الوديان والعيون والآبار، وغيرها من معالم مكة المكرمة.

٧- اهتم العز عبد العزيز بالأوضاع العلمية بمكة المكرمة، وخصوصاً ما كان يجري من حوارات وجدل داخل المسجد الحرام ومدارسها؛ مما كان له أكبر الأثر في إثراء الحياة الثقافية بمكة.

٨- كما اهتم العز عبد العزيز فجعل كتابه سجلاً حافلاً لما وقع بمكة من مجاعات وكوارث طبيعية [٢]، جراء ندرة المطر أو السيول، ورصد الأضرار التي ألحقت بالحرم والكعبة، وأثر ذلك على أهالي مكة من مجاعات وارتفاع الأسعار [٣].

٩- أما الأخبار الخارجية فاحتلت مكانة كبيرة في موسوعة العز عبد العزيز بن فهد، حيث ركَّز على أخبار بلاد الهند، واستقرار الأوضاع بها، وأثر ذلك على إرسال سفنهم المحملة بالتجارة إلى أهل مكة [٤]، وكذلك اليمن أولى المحطات التجارية للسفن القادمة من الهند، ثم يتتبع خط سير السفن إلى جدة، ثم يورد أخبار الشام، وما يجري بها من أحداث، وما يأتي منها مع ركب الحج، ثم يفرد في كتابه للأوضاع التي تجري في مصر، وخصوصاً القاهرة مركز الخلافة والسلطة، فنجد الكثير من الأخبار التي تتنبأ

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٧٩.

(٢) نفس المؤلف والمصدر، ج٢، ص١١٠٨، ج٣، ص١٥٩٦، ١٥٩٩-١٦٠٠.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص٨٠٥ – ٨٠٦ – ٨١٧.

(٤) عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢، ص٧٨٧.

ببداية النهاية للحكم المملوكي. ثم يرصد ما يأتي من مصر من أخبار وتقارير وموارد اقتصادية وخلافه، لذلك نجد العز يطلق العنان لقلمه في كل ما يراه محتاجاً للنقد في الأحداث التي تدور حوله وغيرها. لذلك نرى أن كتاب "بلوغ القرى" وثيقة تاريخية صادقة، سجلها لنا مؤرِّخ اتَّسم بالموضوعية التاريخية في تناوله للأحداث، فقدم ثروة علمية عظيمة الأثر، واقعية الغرض والمضمون.

الفصل الأول

أحوال مكة المكرمة السياسية الداخلية

مدخل تاريخي:

أولاً: الشريف محمد بن بركات وتوليه إمارة مكة المكرمة.

ثانياً: الشريف بركات بن محمد وحركات التمرد في عهده:

أ- تولية الشريف بركات بن محمد وتوليه للمرة الأولى.

ب- تمرد الشريف هزاع بن محمد (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م).

ج _ تمرد الشريف أحمد بن محمد (جازان) (٩٠٧هـ/ ١٥٠١م).

ثالثاً : الشريف قايتباي بن محمد وتوليه إمارة مكة المكرمة.

رابعا : الشريف بركات وتوليه إمارة مكة المكرمة مرة ثانية:

أ- تمرد الأشراف وخروجهم على الشريف بركات (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م).

ب -تأثير حركات التمردات والصراعات على السلطة على الأوضاع الداخلية العامة لمكة. أ-أمنياً. ب- دينياً ج- اجتماعياً. د- اقتصادياً.

خامسا – علاقة أشراف مكة بالقبائل:

أ- الشريف محمد بن بركات وعلاقاته بالقبائل:

ب- الشريف بركات بن محمد وعلاقاته بالقبائل:

ج- علاقة القبائل بالسلطنة المملوكية وتأثير ذلك على طريق الحاج:

مدخل تاريخي:

أولاً: الشريف محمد بن بركات وتوليه إمارة مكة المكرمة.

تعد ولاية العهد واحدة من أهم المشكلات المؤرقة التي أرقت إمارة مكة المكرمة، بل وأقضت مضاجع أشرافها، وذلك نتيجة لما تحدثه تلك الولاية من مشكلات وتوترات عقب وفاة كل شريف، فنرى الشريف بركات بن حسن بن عجلان (٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م)[١] تؤرقه إمارة مكة، ويؤرقه مستقبلها السياسي، وخوفه من أن تنفصم عن كل ما أحدثه من تطورات لتلك الإمارة، وكانت كل تلك التخوفات راجعة إلى شعوره بدنو أجله، وأنه لم يعد قادراً على الإمساك بزمام الأمور، وعجزه عن إدارتها، وهذا العجز قد جاء نتيجة لما يمكنه أن نسميه ثورة داخلية أو تمرد، أو تحالف ضده. تلك التحالف المتآلف من القواد العمرة[٢] التابعون لذوي حميضة[٣]، والأشراف من ذوي ابن أبي نمي، وجميعهم طالبوا بتولية الشريف أحمد بن إبراهيم بن

---

(١) بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسني المكي، ولد بالخشافة بالقرب من جدة سنة ٨٠١هـ، وقيل التي بعدها، ونشأ بمكة في كنف والده، وحفظ القرآن، وكانت وفاته عام (٨٥٩هـ)، وله بمكة مآثر منها: تجديد بئرين بوادي الآبار، وعمر البئر التي بطوى، واستأجر بمكة رباط بنت التاج وعمره عمارة، وأوقف منافعه على الفقراء، ابن فهد، عمر بن محمد الهاشمي المكي: الدر الكمين بذيل العقد الثمين، ص٦٤٧.

(٢) القواد العمرة: ينسبون إلى عمر بن أبي سعود مولى الشريف أبي سعيد بن علي بن قتادة أمير مكة. عمر بن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٤، ص ٥٥٠.

(٣) ذوى حميضة: موالي الشريف حميضة بن أبي نمي الأول، والحميضات والعمرة ظل اسمهم مرتبطاً بمكة منذ حوالي القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج ٤، ص٥٢.

حسن بن عجلان آل قتادة الحسني. ولكن عندما فشل الشريف بركات بن حسن بن عجلان في درء مثل هذه الحركة والقضاء عليها، حاول استمالتهم بالمال وتهدئة روعهم، فقدم أربعة آلاف دينار للقواد، وثلاثة آلاف دينار أخرى للشريف أحمد بن إبراهيم[1]. وبعد أن زالت تلك الحركة في ربيع الأول عام (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، سارع الشريف بركات إلى جاني بك[2] نائب السلطنة المملوكية في جدة (مشد جدة) [3] وطلب منه أن يخطب له ودّ السلطان المملوكي الأشرف إينال[4] في القاهرة، ويسأله

(١) عمر بن فهد: الدر المكين ج١ ص ٤٣٠ – ٤٣١. المشيقح، إبراهيم بن حمود: تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال "الدر الكمين" لابن فهد(د – ت) ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، ص٢٧.

(٢)جانبك الظاهري جقمق الجركسي الدوادار شاد جُدة، اشتراه الظاهر جقمق من أحد باعة العبيد عام ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م واعتقه، وصيره خاصكياً والخاصكية لفظ مملوكي وهو نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان وهم صغارا ويجعلهم في حرسه الخاص انظر مصطفى عبدالكريم الخطيب : معجم المصطلحات والالقاب التاريخية ، ص ١٥٧ . ثم شاد لجُدة عام ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م، فنهض بخبرته في الظلم لما لم يصل إليه من قبله، وعاد بشئ كثير له وللسلطان، فزاد عنده حظوة وظهرت له كفاءته، ولا زال أمره فيها في نمو وزيادة وعظم حتى قيل له: نائب جُدة، وتوفي عام ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م.انظر البقاعي: إظهار العصر، دراسة وتحقيق: محمد سالم بن شديد العوفي، الرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م القسم الثالث، ص ١٦٨. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٥٧ – ٥٨.

(٣)مشد: وتعني مفتش، ويسمى متوليها شاد، ويضاف إليها جهة الاختصاص مثل شاد العمائر....الخ. المقريزي، أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٥٦م،ج ا، ق ١، ص١٠٥ ،هامش ٢

(٤) الأشرف إينال: هو إينال الأجرود العلاني الناصري فرج، تولى السلطة في مصر سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م ودام ملكه إلى أن توفي سنة ٨٦٥هـ- ١٤٦٠هـ. ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج١، ١٧٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١٦، ص ٥٧ ؛الملطي، عبد الباسط بن خلي: نزهة الأساطين فيمن ولي من السلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين علي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٣٧. ابن العماد الحنبلي: مصدر سابق، ج ٧، ص٣٠٤.

تولية ابنه الشريف محمد بن بركات أمر مكة المكرمة بدلا منه[1]، وقد سارع جاني بك واهتم بالأمر، وذلك لخوفه من نفس الأمر الذى ساور الشريف بركات بن حسن، وهو خوفه من سيطرة وتنازع الأشراف على السلطة بعد وفاته. هذا وقد تحقق ما تمناه كلاً من الشريف بركات وجان بك، فقد حملت رسالة السلطان لهما الموافقة على تولية الشريف محمد بن بركات إمارة مكة المكرمة، ولكن هذه الموافقة قد جاءت مرهونة بدفع مبلغ خمسين ألف دينار للخزانة السلطانية إلى جانب مبالغ أخرى لرجال الدولة المملوكية بمصر، ولولد وزوجة السلطان[2] . وكان قد تعهد الشريف محمد بن بركات بدفع المبلغ الذى التزم به والده للسلطان المملوكي إينال، ولكن والده الشريف بركات كانت قد وافته المنية قبل وصول موافقة السلطان المملوكي بيوم واحد[3]، وذلك بأرض خالد من وادي مر[4]، وهذا الأمر ربما يبدو للعيان، ويوضح مدى حرص السلطان

(١) عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٣٠

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج١٦، ص٩٢. المشيقح: تاريخ أم القرى، ص٢٨. مورتيل، ريتشارد: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، جامعة الملك سعود، عمادة شئون المكتبات،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١٥١.

(٣) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج١، ص١٨٨، عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٣١٧، الجزيري: الدر الفرائد ، ص٥٨٣. ابن ظهيرة القرشي (جمال الدين محمد جار الله محمد نور الدين بن أبى بكر علي):- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ص٣٢٢.

(٤) وادي مر: هو مر الظهران من نواحي مكة المكرمة، ويعد من أكبر أودية الحجاز، وهو عبارة عن بقعة فيها عدة قرى ومياه،وهوز اليوم وادي فاطمة أو الجموم ، ويمر شمال مكة المكرمة بـ٢٢كيلو متر، ويجلب منها ومن الطائف الخضار والثمار إلى مكة. وعندها يجتمع وادي النخلتين-أبي الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر): تقويم البلدان، تحقيق: م.رينود، م سلان باريس،١٨٤٠م، ص٩٥. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٤٩. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٨، ص١٠.

المملوكي على الحفاظ على أمن مكة المكرمة وحدودها من أعمال ينبع[1]، ونبط[2]، والحوراء[3] وما فوق ذلك من الشام وما وراءها من اليمن والبلاد الشرقية، وما حول ذلك من بلاد الحجاز، وسراتها[4]، وبجيلة[5]، وأعمالها[6] على الرغم من أطماعهم الاقتصادية أحيانا لإمارة مكة فلو طلب من الشريف مبلغا ولم يفي به فقد تكون نهايته العزل وتولي شريفا آخر يقوم بما يطلبه منه السلطان . . ولكن هذا الأمر

(١) ينبع: ميناء على ساحل البحر الأحمر، يبعد عن مكة مئة وثمانية أميال، بلغ أوج إزدهاره أيام سلاطين المماليك، وكانت المحطة البرية والبحرية للحجاج من مصر والشام، وينقسم إلى قسمين، ينبع النخل، ينبع البحر، ابن شاهين (خليل الظاهرى): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق و المسالك- تحقيق: بولس راويس، باريس،المطبعة الجمهورية، ١٨٩١ م، ص١٦. حمد الجاسر: بلاد ينبع الرياض، دار اليمامة، ١٩٦٥، ص١٢.

(٢) نبط: الماء المستخرج الخضر، وهو شعب من شعاب هذيل. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٥٨، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٩ ص١٧-١٨.

(٣) الحوراء: ميناء ومرفأ لسفن مصر، ويقع فى الشمال من بلدة أملج، محمد بن عبدالله الحسني: رحلة الشتاء والصيف: تحقيق: محمد سعيد طنطاوي، القاهرة،١٣٩٣هـ، ص٦٣. حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص٧٢، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٣ ص٥١٣.

(٤) السراة: السراة في الحجاز عبارة عن مجموعة من الحرّات والجبال التي تتخللها، الممتدة من اتصالها بسراة عسير شرق القنفذة إلى مرتفعات الأردن الشرقية، وهي سلسلة تشبه العمود الفقري، تسيل مياهها شرقاً وغرباً مكونة أودية عميقة تدفع إلى مناطق زراعية خصبة في تهامة والسهول الشرقية من الحجاز، والسراة تتدرج في الانحدار شمالاً، وأعلى قممها في الجنوب يبلغ ٣٠٠٠ متر، انظر عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٤ ص٧٩٩.

(٥) بجيلة،: فرعة في سراة بني مالك، وهي المعروفة قديماً بسراة بجيلة، غير أن الاسم الآن اقتصر على فرعة واسعة قرب جبل بثرة، فيها قرى عديدة ومدارس ومصالح حكومية، شق لها طريق يتفرع من طريق الجنوب غرباً، ذات مناظر خلابة وجبالها مغطاة بالأشجار وشعابها ذات مياه خرارة، وهواؤها عليل منعش، أحسن المصائف، وسكانها اليوم بنو مالك، وهم فرع من بجلية القديمة، انظر عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج١ ص١٦٧.

(٦) العصامي، (عبد الملك بن حسين): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي،القاهرة،المطبعة السلفية، (د- ت) ج٤، ص٢٧٨.

برمته يوضح بجلاء حال الأوضاع السياسية بمصر، ومدى الدور المؤثر الذي تلعبه فى الحجاز، ومدى تدخل السلطان المملوكي في صياغة الوضع السياسي في مكة؛ سواء بغرض الأموال كما فى حال تولية الشريف محمد بن بركات لإمارة مكة المكرمة. أو تأييد الاضطرابات السياسية والتي تلعب فيها القبائل دوراً كبيراً، وهذا ما سنراه لاحقاً، وكل ذلك يسوقه الطمع والجشع المادي للسلطنة المملوكية[1]. وفي الوقت الذي وصلت فيه موافقة السلطان الأشرف إينال، كان الشريف محمد بن بركات باليمن لأمور متعلقة بشئون الحجاز، ولحفظ بعض أموال والده[2]. وعندما عاد الشريف محمد بن بركات قرأ مرسوم توليه إمرة مكة المكرمة عام ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م: كما ورد له مرسوم السلطان المملوكي إينال والذى تضمن تقديم التعازي فى وفاة والده، وأهم ما تضمنه هو تأييد ولاية الشريف محمد بن بركات لإمارة مكة المكرمة[3]. واستطاع إدارة مكة؛ نظراً للخبرة والحنكة التي اكتسبها من والده خلال مشاركته إياه في الحكم وإدارة شئون مكة، فقد اكتسب الشريف محمد بن بركات العديد من الخبرات، وهي بدورها عائدة نتيجة اعتماد الشريف بركات بن حسن عليه في بعض المهام، منها ذهابه إلى السلطان جقمق سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، فعاد إلى مكة بالولاية لوالده[4]. كذلك فإن الشريف محمد بن بركات تميز بالعدل، وبالتصرف الحسن في إدارة شئون مكة منذ بداية توليه لها، فقد جاهد في سبيل ترسيخ سياسة تلك

---

(١) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٣٢٢.

(٢) العصامي: سمط النجوم العوالى، ج٤، ص٢٧٨، دحلان(أحمد زينى): خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٥ هـ، ص ٤٤.

(٣)عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٢٥٢-٢٦١، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٥٠٨.

(٤) ابن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٧.

الإمارة في المناطق التي يصل لها نفوذ حكمه، والمحافظة على هيبتها، والاعتماد على تلك الهيبة في توسيع حدود بلاده، وذلك للوفاء بتعهداته المختلفة؛ سواء تعهده كحاكم لإمارة مكة المكرمة، وكذلك تعهداته المالية للسلطنة المملوكية[1]. وتعد فترة تولي الشريف محمد بن بركات لإمارة مكة المكرمة من أطول وأقوى الفترات، وذلك بالمقارنة فيما عداه من أشراف، وخصوصاً من أبناء عائلته.حيث أمضى الشريف محمد بن بركات في حكم إمارة مكة ما يقرب على ٤٤ سنة، امتدت منذ وفاة والده الشريف بركات أي من عام ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م[2] حتى وفاته ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧[3]. وخلال هذه الفترة نضج فكر ابن فهد التاريخي، وأخذ في تسجيل أحداث مكة المكرمة من الأوجه التاريخية والحضارية كافة.

---

(١) عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٣٤٩-٣٥٠.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص٩١٩،ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٧٨.

(٣) عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٥٩٦، السنجاري (علي بن تاج الدين بن تقي الدين): منائح الكرم فى أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة،١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م، ج٣، ص٩٨، الطبري(محمد بن علي بن فضل المكي):إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن،تحقيق: محسن محمد حسن سليم، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٦م، ج١، ص٢٨٩

ثانياً: الشريف بركات بن محمد وحركات التمرد في عهده:

أ- تولية الشريف بركات بن محمد للمرة الأولى:

كان الشريف محمد بن بركات قد أشرك ابنه الشريف بركات معه في الإمارة على الحجاز منذ عام ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م. (١) وبعد وفاة الشريف محمد بن بركات تولى ابنه الشريف بركات(٢) الإمارة كاملة. وتمت مبايعته من قبل إخوته، وقد تم تعيين أخيه الشريف هزاع بن محمد بن بركات(٣) نائباً لأخيه الشريف بركات، وهذا ما يتجلى من المراسيم الواردة من السلطنة المملوكية، هذا الى جانب ارتدائه الخلعة حين ورود المحمل المصري (٤). وفى ذلك الوقت: أرسل محمد بن قايتباي(٥) خلع التأييد للشريف

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج١،ص١٥، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ٥٩٦.

(٢) هو بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، أمير مكة، ولد سنه ٨٦١هـ وتلقى العلم على يد عدد من العلماء وتولى الإمارة بعد وفاة والده سنة ٩٠٣هـ، ونازعه أخوه هزاع، ثم أحمد الجازاني، وكان فاضلاً شجاعاً، حسن التدبير، توفي عام ٩٣١هـ بمكة، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص ٨٧٢، ابن فهد: غاية المرام،ج٣،ص ٣٥، الطبري: إتحاف فضلاء الزمن،ج٢، ص ٥٢١، الزركلي: الأعلام،ج٢، ص ٤٩.

(٣) هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسيني، ابن صاحب الحجاز، ولد سنة تسع وستين وثمانمئة، ونشأ في كنف والده وحفظ القرآن، وما أن كبر دخل في نزاع مع إخوته، وطلب من أصدقائه التوسط لدى السلطان قايتباي أن يوليه إمرة مكة مقابل مئة ألف دينار، إلا أن بركات رفض ترك السلطة، ودخل في معركة مع هزاع وانتصر، إلى أن وافته المنية عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام،ج٢ ص١٠٣.. السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص ٢٠٨. أحمد السباعي: تاريخ مكة، مكة المكرمة، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٣٠٩-٣١٠.

(٤) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى،ج٢، ص١٠٦٦، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٧٣، ٨١.

(٥)الملك الناصر محمد بن قايتباي المحمودي الظاهري ولد بالقاهرة عام (٨٨٧هـ- ١٤٨٢م) بويع حكم مصر وأبوه على فراش الموت عام (٩٠١هـ/ ١٤٩٥م). وكان صغيراً في السن وكان جميل الشكل عنده غطرسة

=

بركات الى جانب خلعة أخرى للشريف هزاع باعتباره مشاركاً ونائباً للأخير في ولاية الحجاز[1] ، كل هذه الأمور ساعدت في خلق نوع من الهدوء النسبي في منطقة الحجاز.

ب- تمرد الشريف هزاع بن محمد (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م):

بدأت بوادر الخلاف تظهر بين الشريف بركات ونائبه الشريف هزاع فلم يكن قد مرَّ أربعة أشهر على تولية الشريف بركات حتى ظهر النزاع مع أخيه الشريف هزاع[2]. وسرعان ما أدركت السلطنة المملوكية بمصر خطورة هذا الأمر منذ بدايته، وأرادت وأد تلك الفتنة منذ بدايتها، ولهذا السبب أوفدت السلطنة المملوكية عام ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م مرسوم مفاده تحقيق التعاون بين الأخوين، ونبذ كل أسباب الفرقة بينهم، والتأكيد على مشاركة الشريف هزاع لأخيه الشريف كنائب عنه فى الإمارة[3]. ويمكن القول بأن السلطنة المملوكية كان لها يداً في إذكاء نار الفتنة بين الشريفين، والسبب في ذلك هو تدهور أحوال السلطنة المملوكية الاقتصادية، وأثر ذلك على الأوضاع السياسية، فالسلطنة المملوكية أدركت أنه فى حال انفصال الحجاز عن مجال السيادة المملوكية؛ وخاصة بعد ازدهار تجارة الحجاز الشرقية، وما تجنيه من مكاسب

= وجرأة في الأمور، وطيش وخفة، أضف إلى ذلك أنه كان سفاكاً للدماء، سيئ التدبير، كثير العشرة للأوباش، وسار بمملكته أقبح سيرة، إلى أن قتله بعض مماليكه سنة (٩٠٤هـ - ١٤٩٨م)، وقد ترجم له: ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ ج٣، ص٣٢٤، ٣٣٢، ٣٣٤، ٤٠٠، ٤٠٣. الملطي: نزهة الأساطين، ص١٤٧، ابن العمادا لحنبلي: شذرات الذهب: ج٨، ص٢٢.

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص٨٧٢، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠١، ١٠٢.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص١٠٥٦، إبن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٣٨٦.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص١٠٦٣.عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ٨١.

سوف يؤثر بدوره على أوضاع تلك السلطنة وخاصة لفقدها السيطرة على بلاد الحرمين ، قام الشريف بمحاربة عسكر حلي، وزبيد، والضرب من حديد على أيدي المعارضين له ، ، يقول العصامي: "وكف عن أذى الرعية، ومسايسته للتجار، وعدم الطمع، والتطلع لما في أيديهم ومجاملتهم والذب عنهم وفعل الخير"[1] إلا أن ذلك أغضب السلطة المملوكية التي تبحث عن تفاقم الأوضاع بالحجاز لتدخل وتفرض هيمنتها، وتضمن أرباحها الاقتصادية والسياسية من جراء هذا الصراع السلطوي الأخوي. وكانت أطماع الشريف هزاع في الإمارة تزيد يوماً بعد يوم، وكان الشريف هزاع يسعى للحصول على حليف له يسانده في هذا المشروع التمردي لانتزاع إمارة مكة المكرمة من أخيه بركات، ولم يكن هناك حليف سوى يحيى بن سبع[2]، أمير ينبع؛ وذلك لأن هذا الأمير كانت بينه وبين الشريف بركات خلافات كبيرة سابقة؛ لذلك توجه الشريف هزاع عام ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م في شهر شعبان [3] وبصحبته جموع من بني

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص١١٠٥، ص١١٠٧، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٨٣. ابن اياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٣٨٦. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص ٢٧٩. ابن عبد الهادي،(محمد بن صالح الطاهر المكي): الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر،تحقيق: محمد الجهني، الطائف،النادي الأدبي،١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م ج٣، ص١٠. الشيلي: السنا الباهر، ص٥٩. السنجاري: منائح الكرم، ص ١٥٣. دحلان: خلاصة الكلام، ص٤٦.

(٢) هو يحيى بن سبع بن هجان بن محمد بن مسعود الحسني الينبعي، أمير ينبع تولى إمارتها سنة ٩٠٣هـ بدل دراج بن معزي بن هجار بن وبير الحسني. السيد صالح بن عبد اللطيف عليانة: ملامح من تاريخ ينبع، ينبع، مطبعة الهيئة الملكية، ١٤٢٥هـ، ج١، ص١٠٢.

(٣)كان الأمير يحيى بن سبع على خلاف سابق مع الشريف بركات، واستطاع أن يتولى: إمارة ينبع من قبل السلطنة في مصر في شعبان سنه ٩٠٣هـ، وقدم من مصر الأمير شاهين الجمالي مع يحيى بن سبع لكي يصلح بينه وبين بركات؛ لكن الأمير يحيى بن سبع لم يقدم إلى مكة، مما يدل أنه كان يحمل حقداً كبيراً على بركات.

=

إبراهيم[1] عرب ينبع، وبني زبيد[2] عرب خليص[3] إلى عسفان[4] على مقربة من مكة. إلى جانب خمسمئة فارس[5]، واستمر بها، وأشيع عصيانه، وكاتبوا السلطان في مئة ألف دينار[6]، وكانت السلطنة المملوكية منقسمة على نفسها، وأن مصر في أمر مريج[7]، ففريق مؤيد بقاء الشريف بركات في حكم الحجاز، وفريق مؤيد إقامة أخيه الشريف هزاع[8]. وسريعاً وقبل أن تشتعل نار الفتنة، ويزداد لهيبها بين الأخوين، سارعت السلطنة المملوكية والممثلة في السلطان محمد بن قايتباي بإيفاد كاتب السر[9].

= عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج، ص١٠٥٦.

(١) بني إبراهيم، بطن من بنى مالك من قبيلة جهينة، امتازوا بنمو قوتهم في القرن العاشر الهجرى، اشتهروا بالفروسية والشجاعة، وخاضوا كثيراً من الحروب التى أنهكتهم، خاصة مع الأشراف حكام مكة المكرمة، وديارهم بينبع النخل وما حولها. البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص١١، ١٢.

(٢) زبيد: بطن كبير من مسروح من حرب بن سعد بن سعد بن خولان، تسكن الساحل من جنوب جدة إلى ينبع، وتدخل في الأودية التهامية، انظر عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص١٩٢.

(٣) خليص: أرض ذات أشجار ونخيل، تتخللها الهضاب الحمراء، تقع شمال مكة فيها قرى بني مالك. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٩١.عاتق البلادي معجم قبائل الحجاز، ج٣، ص٥٦٦، ٥٦٧.

(٤)عسفان: موقع بسيط من الأرض، بين جبالها آبار عذبة، تنسب إحداها إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه، تقع بين مكة والمدينة، يوجد بها الآن مزارع تبعد عن مكة ثمانين كيلو متر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢١٧. البلادي: معجم معالم مكة، ص١٨٨.

(٥) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٨٩.

(٦)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص ١٠٧٦،الجزيري: درر الفرائد، ج٢، ص٧٨٠. ريتشارد مورتيل: الأحوال السياسة، ص١٦٢.

(٧) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص١٠٧٧.

(٨) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص ١٠٩٠– ١٠٩١،الجزيري: درر الفرائد، ج٢،ص٧٨٠.

(٩) كاتب السر: هو صاحب ديوان الإنشاء، ويعرفه العامة بكاتم السر؛ لأنه يكتم ويوقع على القصص بدار العدل وغيرها، ويجلس على يسار السلطان بدار العدل لخلاص المظالم، ويخلع على السلطان في التشاريف، =

البدري بن مزهر[1] لوأد نار الفتنة بين الشريفين. فتوجه كاتب السر إلى ينبع حيث مصدر التوتر، وفي تلك الفترة ساد التوتر مرة أخرى، فسارع الشريف هزاع بالرحيل هو وأتباعه من ينبع في محاولة للسيطرة والضغط على الشريف بركات، في حين جمع الشريف بركات قواته وانطلق حيث وادي مر. وخلال ذلك كان كاتب السر في مساعيه لوأد نار الفتنة، حيث جمع عدد من وجهاء مكة منهم القضاة الشافعي والمالكي والحنفي لمساعدته في التهدئة بين الشريفين[2]. وهنا لابد لنا وأن نذكر النص الذى أورده المؤرخ ابن فهد في كتابه بلوغ القرى في حوادث سنة ٩٠٣ في يوم السبت، الثاني والعشرين من ذي الحجة ((وفي يوم السبت، ثاني عشري الشهر، سافر القاضي كاتب السر البدري بن مزهر، واصطحب معه الشريف عنقاء بن وبير[3]، ومالك بن

= ويقرأ الرسائل على السلطان، ويتلقى أخبار الممالك وعرضها على السلطان، ويتولى الإجابة عنها، وتعريف النواب في الوصايا، وعليه النظر في تجهيز البريد والنجابة، وما يبعث فيه من المصالح، وينفذ فيه من المهمات، ومعرفة حقوق ذوي الخدمة والنصيحة، وإجرامهم فى رسوم الرواتب وعوائد البر والإحسان، والنظر في أمر الكشاف والنظارة والمناورة، والمحدقات وأبراج الحمام، وحذف نظره إلى رسل الملوك الواردة، وأن لا يستكتب في الديوان إلا من علم صلاحه. القلقشندي (أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، بيروت، دارالفكر، ١٩٨٧م، ج٤، ص٣٠، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٧١، محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م. ص٢٨٢.

(١) لم نستدل عليه من خلال المصادر.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ١٠٨٦.

(٣) هو عنقاء بن وبير بن محمد بن عاطف بن أبي دعيج بن أبي نمي الشريف الحسني، قريب صاحب الحجاز وصهره على ابنتيه، واحدة بعد أخرى، بل على اخته قبلهما، ورسوله إلى سلطان مصر بالإعلام بانقضاء الحج، وبغير ذلك من ضروراته، ويجتمعان في أبي نمي فهما ابنا عم، وهو أكبر منه باثني عشر عاماً فيكون مولده عام ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م تقريباً. صارت له جلالة عند أعيان الديار المصرية بحيث يرجع محبوراً، وربما =

رومي[1]، وقاصد صاحب مكة أحمد بن نصر الحسني[2]، ولما كان عند باب الحزورة[3]، عزل القاضي المالكي النجمي بن يعقوب[4]، وهو يمشي أمامه ولم يشعر، وولى الجلال أبا السعادات بن أبي العباس[5] مشافهة، وأشهد له بعض الحاضرين، وأمر بلحوقه، ثم لما ركب حلف على الحنفي، والمالكي، والخطيب، وكانوا راكبين فعادوا، وسبقه إلى

= أرسله لغير مصر من الجهات القريبة، ثم اختلف عليه لتوهمه استمالته مع المصريين وأمره بفراق ابنته، وهو ممن يحفظ القرآن ويكثر تلاوته، توفي في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر صفر سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٩م ودفن بالطائف، عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ج١ ص١٣٩، هامش ٣.

(١) مالك بن رومي: أمير خليص وخال الشريف جازان، توفي عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م، ابن فهد، غاية المرام، ج٣ ص٧٨، ١٢٧، ١٨٤.

(٢) أحمد بن نصر الحسيني، قاصد صاحب مكة الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، مات في قتال الشريف بركات مع أخيه هزاع عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص٩٧٢، ٩٧٩، ١٠٣٦، ١٠٣٩، ١٠٦٨، ١٠٧٦، ١٠٨٠، ١٠٩٠، . انظر عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٧٢، ٨٣، ١٠٠، ١١٤

(٣)باب الحزورة، الحزورة اسم لسوق في الجاهلية كانت في هذا المكان ودخلت في توسعة الحرم، ويسمى أيضاً باب البقالية، وكان يعرف بباب بني حكيم بن حزام، والغالب عليه باب الحزامية ثم صار يعرف مؤخراً قبل إزالته بباب الوداع؛ لأن الناس يخرجون منه عند سفرهم، أنشأه الخليفة العباسي المهدي عام ١٦٤ هـ/ ٧٨٠ م، جدد بعدها عدة مرات وهو سوق القشاشية وهي الرابية التي تقابل المسعى من الشرق ثم هدم في التوسعة السعودية للمسجد الحرام، انظر الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص ٩١؛ الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، حققه ووضع فهارسه عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.، ج١، ص ٢٣٨، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ١٧٨-١٧٩، وطه عبد القادر عمارة، وعدنان الحارثي: مرجع سابق، ص ٧١٥-٧١٦.

(٤) لم نستدل عليه من خلال المصادر.

(٥) لم نستدل عليه من خلال المصادر.

الشبيكة[1] صاحب مكة وإخوته، وقاضي القضاة الشافعي، فلما وصل إليهم ساروا معه، ومعهم أيضاً المحتسب، فلما وصل إلى المتكى[2] خلع على المذكورين، ولحقهم به الجلال المذكور، فأشهدهم أيضاً بولايته. ثم في ثانى يوم، باشر الأحكام، وأرسل القاضي الشافعي قاصد لكاتب السر ومعه ورقة منه، ومن المالكي المعزول، فأعاد القاصد من عسفان ومعه ورقتان لهما، وفيهما: أنني ما فعلت ذلك طمعاً فيه، وماهو إلا لتقصيره في حقنا، وقد أمرت قاضي القضاة الشافعي بإعادته فما فعل الشافعي، وقال إنه يخاف عليه ذلك، وأنه حدد عليه ألف دينار، ثم أنه أنعم بثلاثمئة أشرفي[3]. وكتبوا له أوراقاً أُخر وأرسلوها له، وكتب المتولي أوراقاً أيضاً، فما سمعنا برد جوابه، وأما النجمي فإنه أرسل بإعادته من ينبع كما سيأتي، وذكره الشافعي ولم يظهر كتابه فى ذلك لا له ولا لغيره)[4]. على أية حال أرسل كاتب السر إلى هزاع يطلب منه بأن يصرف

---

(١) الشبيكة: تصغير الشبكة حي كبير من أحياء مكة، يمتد من المسجد الحرام غرباً إلى ريع الحفائر، وشمالاً إلى حارة الباب، وهي من أعرق أحياء مكة، ولها مقبرة تعرف قديماً بمقبرة الأحلاف، وقال الفاسي:" أنها بأسفل مكة صوب باب الشبيكة". الأزرقي: أخبار مكة،ج٢، ص ٢١٣،الفاكهي: أخبار مكة،ج١،ص ٢٧٢، ولا زالت هذه المقبرة قائمة إلى اليوم ولكن لا يقبر بها أحد وعليها سور حديث بني في عهد الملك سعود بن عبد العزيز ملاصقة للجسر الكبير الذي أقيم سنة ١٣٩٩هـ ثم أزيل. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص١١٩، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٥،ص١٨.

(٢) المتكى: معروف اليوم عند أهل مكة في شعب أجياد الصغير يزعمون أن النبي اتكأ في ذلك المكان، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ١٨.

(٣) الأشرفي: عملة ذهبية كانت رائجة في مصر المملوكية وزنها ١٨ حبة حمص، وتنسب إلى الأشراف لقب ملوك مصر الذين لقب كل منهم بالملك الأشرف. انظر زين العابدين شمس الدين بن نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة ٢٠٠٥م، ص٤٩-٥٠.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٦٨-١٠٦٩.

الجموع التي معه إلى جانب أمير ينبع يحيى بن سبع، ويقوم فقط بمن معه من أهل مكة كي يتم تهدئة الأمور بينه وبين أخيه الشريف بركات، ونتيجة لتأزم الوضع رفض الشريف هزاع القدوم بمفرده، ولكنه قدم بصحبة أتباعه[1] إلى جانب تحريض أتباعه وحسم الوضع بالقوة العسكرية[2]، وأمام ذلك الضغط من جانب هزاع، ورغبة كاتب السر في حفظ سلامة الحجاج وحمايتهم حتى انتهاء موسم الحج عام ٩٠٤/ ١٤٩٨، قرر كاتب السر إنهاء الأمر عن طريق هدنة بموافقة الجميع على ذلك، وحصل كاتب السر على أيمانهم على حفظها وعدم الاعتداء[3]، وفعلاً تم الصلح بين الإخوة، وكان لابن مزهر دوراً كبيراً في ذلك[4].وعندما تكلل هذا الوضع بالنجاح نوعاً ما؛ انضم إلى هزاع أخيه جازان، والشيخ مالك بن رومي أمير قبيلة زبيد [5]، وبهذا يكون قد كثر أتباعه، والذين اصطحبهم الشريف هزاع، وسار نحو منطقة

---

(١) كان أتباع هزاع من قبائل ينبع وأكثر أتباعه من قبيلتي بني إبراهيم من الأشراف، وجهينة، وقبيلة زبيد في وادي خليص، وهاتان القبليتان كان محمد والد بركات قد أوقع بهم، وقتل زعمائهم وعدداً كبيراً منهم، وكان ولده بركات هو اليد اليمنى لوالده محمد في الأعمال العسكرية، فكان لهاتين القبيلتين ثأر مع بركات بن محمد؛ لذا أجبرتا هزاع على عدم الموافقة والصلح مع أخيه بركات، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١،ص ٤٣٣، عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص ٤٩٣، عبدالعزيز بن فهد:غاية المرام،ج٢، ص٥١٣، ٥٥٠،،ج٢،ص٩٦٦.الجزيري: الدرر،ج١، ٧٥٠.

(٢)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢،ص١٠٨٦، عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام،ج٣، ص٨٣.

(٣)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١٠٩١.

(٤)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص١٠٩١،١٠٩٢، العصامي: سمط النجوم،ج٤، ص٢٨٢.

(٥) هو خال أحمد الجازاني، حيث أن والد أحمد الجازاني تزوج زينة بنت رومي الزبيدي شيخ قبيلة زبيد أخت مالك. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام،ج٢، ص٥٩٩.

خليص حيث قبيله زبيد[1]. وهذه العلاقة مع القبائل توضح شيئاً في غاية الأهمية، أن تلك القبائل كانت سبباً في إذكاء نار الفتنة والفرقة والانقسام بين الشريفين، وذلك انتقاماً ممن قتل، سواء من قبيلة بنى إبراهيم أو زبيد. وسريعاً قام الشريف هزاع باستخدام ذلك التحالف القبلي وانطلق ناحية منطقة الجديدة[2] وتمكن من هزيمة الحامية العسكرية هناك، وهدم صروحها وتشريدهم[3]. وفي ذلك الوقت دار الحديث حول التمرد الذي قام به الشريف هزاع ضد الشريف بركات، وكيفية الخروج من ذلك المأزق؛ لذلك اتفق الجميع على الاجتماع بهزاع ومحاولة الوصول إلى نقطة تلاقي، ولهذا أرسلوا يطلبون قدومه في أمان، ولن يتعرض له أحد وأرسلوا له مراسيل ومنهم أبو القسم ولد الشريف بركات [4]، وبحضوره هو والشريف بركات وكاتب السر والكثير من الأعيان توصلوا إلى عقد صلح بين الشريفين، يكون بمقتضاه لهزاع راتباً شهرياً،

(١) ابن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١٠٩٢.

(٢) الجديدة: منطقة تقع بين المدينة المنورة وينبع بوادي الصفراء بها عين ماء وهى خلاف الجديدة الواقعة بوادي مر، وهى إحدى محطات طريق الحاج، ويبدو من النص أن القادة أتباع الشريف محمد بن بركات اتخذوها مقراً لهم، ويحتمل أن بها مزارع مياه. محمد محمد القحطاني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز، ١٢٩٧ - ١٣٢٣هـ،الكويت، رسالة ماجستير بجامعة الكويت، ١٤٢٢هـ، ص١٣٥، عاتق بن غيث: معجم معالم الحجاز، ج٢، ص١٣٥.

(٣)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٩٧، ا عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٨٨.

(٤) بقي أبو القاسم بن بركات بن محمد عند أصحاب هزاع إلى أن يعود هزاع من اجتماعه مع أمير الحاج وبركات كضمان لعودة هزاع. عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٠٢، عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣،ص٩٠، ابن الصباغ (محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي): تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي مكة المكرمة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م ص١٩٢، مورتيل: ريتشارد: الأحوال السياسية، ص٢٠.

وألا يتعرض كل منهما للحجاج، وبمقتضاه أيضاً إذعان الشريف هزاع للشريف بركات وطاعته له ومشاركته في جميع حروبه وغزواته ماعدا منطقة حلي [1]. ولقد انتظم سير الأحداث في ذلك الوقت ودليل ذلك قيام كلا من الشريفين، بركات وهزاع على ارتداء الخلع الواردة من السلطان المملوكي جان بلاط[2]. استمر الوضع السياسي هادئاً في تلك الآونة وخاصة بعد إبرام الصلح بين الشريفين ولم يكن هذا الصلح وهذا الاستقرار سيستمر ولكن يعني استقرارا مؤقتا فقد كانت فكرة التمرد والجشع السياسي بمرور الأيام تختمر في عقل الشريف هزاع للخروج على الشريف بركات إلى أن حانت له الفرصة عام (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م)، ليصبح التمرد في ذلك الوقت مزدوجاً ما بين الشريف هزاع وأخوه حميضة[3] وأتباعه ثم توجه

---

(١) كان بركات يعد العدة في تلك الأيام لغزو منطقة حلي؛ لأن العسكر من المولدين من أهل حلي قتلوا بعض عسكر بركات، ونهبوا بعض التجار، وعينوا أميراً على حلي بدون رضا بركات بن محمد. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١٠٨٤،عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٨٣.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١٠٨٤، عبد العزيز بن فهد: غاية ا لمرام، ج٣، ص٩٠، ابن الصباغ: تحصيل المرام، ص١٩٢. مورتيل، ريتشارد: الأحوال السياسية، ص٦١٢.

جان بلاط بن عبد الله أبو النصر سلطان مصر: اشتراه بشتك الدوادار وقدمه للأشرف قايتباي بعد طلبه له، فجعله خاصكياً، وقربه إليه، وعلمه القرآن والحساب والرمي، وصار رئيساً محتشماً، ثم رقاه حتى ولي الدوادارية الكبرى – مقدم الشكاوي إلى السلطان –، ثم أنعم عليه بنيابة حلب، فأقام بها سنة، ثم نقله إلى نيابة الشام، ثم رجع إلى مصر وتسلطن بها سنة عام ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م، ووقع خلاف بينه وبين طومان باي فنقي إلى الإسكندرية وقتل بها خنقاً عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م. انظر. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٤٣٨، الملطي: نزهة الأساطين، ص١٥٢. ابن العماد: شذرات الذهب،ج٨، ص٢٨. الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص١٧٢- ١٧٣.

(٣) هو حميضة بن محمد بن بركات الحسن المكي، أمة حبشية تسمى سعاد انضم إلى أخيه هزاع فى معارضته للشريف بركات. تولى إمارة مكة في عام ٩٠٩هـ، ومات في المحرم سنة ٩١٠هـ. دحلان: خلاصة الكلام، =

إلى ينبع[1]. والذي ساعد في إذكاء نار هذا التمرد من جديد، عوامل كثيرة منها: قيام السلطان المملوكي طومان باي[2] في عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م بإرسال مرسومه والذي يحمل في طياته تعيين الشريف بركات نائبا للسلطنة المملوكية في الحجاز، كما يتيح له حرية التصرف مع الشريف هزاع كيفما يشاء[3]. وهنا يظهر دور السلطنة المملوكية في إذكاء الفتنة.وكان العامل الثاني في إذكاء نار الفتنة والفرقة بين الشريفين يتمثل في قيام السلطان طومان باي عقب توليه السلطنة في مصر بنفي الأمير قانصوه البرج[4]. أحد مماليك الأشرف جان بلاط إلى مكة وقد أرسل السلطان طومان باي إلى الشريف

= ص٤٨. زامباور إدور دفون: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامي ، القاهرة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م، ص٣٢.

(١)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ج٢، ص ١١٥٤، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠١.

(٢) هو السلطان طومان باي الأشرفي قايتباي، الخامس والأربعون من ملوك دولة المماليك بمصر: أصله جركسي الجنس، كان من مماليك الأشرف قايتباي، ترقى في الرتب العسكرية، وشارك في خلع السلطان الظاهر قانصوه، وأصبح مدبر أمر السلطان جان بلاط، ثم عين سلطاناً في جمادى الأولى سنة ٩٠٦هـ بعد ثورة القادة على السلطان جان بلاط. وقد خلع في شهر شوال من نفس العام، وكان سبب خلعه ثورة المماليك عليه، وعلى رأسهم قيت الرجبي وغيره؛ مما دفعه للهروب، ولم يلبث أن قبضوا عليه في شهر ذى الحجة وأعدموه. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٤٥٣، الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٢٣٣، الملطي: نزهة الاساطين. ص١٥٤.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٥١، عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠١.

(٤)قانصوه المحمدي، المعروف بالبرج لأنه كان نائب البرج الذى بناه قايتباي بالإسكندرية، كان أصله من مماليك الأشرف قايتباي، ولي عدة وظائف سنية، منها نيابة البرج وأمير مجلس، وأمير محمل الحج، ثم صار نائبا لدمشق في عهد الغوري سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) وتوفي بها سنة (٩٤١هـ/ ١٥٠٤م) عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٩٨، ص١٠٠، ١٠٢، ١٠٨، ١٠٩، ١٧٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٤٣٣- ٤٦٩، ج٤- ص٦، ص٣٤، ص٦٦.

بركات بأن يضع الأمير قانصوه المحمدى تحت رقابته الخاصة[1]. وقد كان الأمير قانصوه المحمدي مطلعاً على الأوضاع داخل إمارة مكة، ويعلم تمام العلم حقيقة الصراع الدائر بين الشريف بركات وإخوته على تلك الإمارة، كذلك فإن بقاء الأمير قانصوه في مكة جعلته أكثر علماً واطلاعاً على هذا الصراع، هذا إلى جانب عدم رضا الأمير قانصوه المحمدي على طبيعة إدارة الشريف بركات لإمارة مكة المكرمة؛ وذلك نتيجة لتعدي الجنود المماليك على أموال التجار والسكان حيث أن بعض المماليك في مكة مسكوا جماعة من التجار وغيرهم وأخذوا منهم أموالا ، وعلى الرغم من ذلك لم يحرك الشريف بركات ساكنا[2].ولقد كان نفي قانصوه المحمدي إلى مكة يفت في عضده ويحزنه كثيراً، وذلك لكونه وحيداً، ولكونه كان من علية القوم ومن كبار الأمراء وأصحاب الوظائف الهامة بالدولة، ولكن تلتقي المصالح مع بعضها، فكان هزاع يسعى للاقتراب منه، ونتيجة لرغبة الشريف هزاع في الاستقلال بل والإطاحة بأخيه لقي ذلك قبولاً لدى قانصوه المحمدي الذي أيده في ذلك وشجعه أيضاً[3].

ولكن عندما تولى السلطان الأشرف قانصوه الغوري عام (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠) [4] أوفد

(١) ابن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٥١، عبد العزيز بن فهد:غاية المرام، ج٣، ص١٠٠.. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٤٦٩. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٦.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٥٣- ١١٥٥.

(٣) عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص ١٠٦٦، ابن الوكيل، يوسف الملوانى: تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب.تحقيق: محمد الششتاوي، القاهرة، دار الآفاق العربية،- ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٦٩.

(٤) هو الملك الأشرف أبو النصر قانصوه بن بيبردي الغوري السلطان السادس والاربعون من سلاطين المماليك بمصر، وأصله جركسي الجنس، كان من مماليك الأشرف قايتباي، وأعتقه وترقى فى المناصب العسكرية في الدولة واستمر حتى ثورة العسكر على السطان طومان باي في رمضان سنة ٩٠٦هـ، فتم =

إلى الأمير قانصوه المحمدي وعفا عنه وقام بتعيينه نائباً عن السلطنة المملوكية بالشام [(1)] وحينما علم الشريف بركات بذلك اصطحب القاضي أبي السعود بن ظهيرة لتقديم التهنئة للنائب الجديد بالشام. ولكن الأمير المحمدي لم يكن ليغفر لهم ما حدث من قبل. وبدأ منذ ذلك الحين في إذكاء نار الفتنة بين الشريفين[(2)]. وفي نفس العام، سار الأمير قانصوه المحمدي إلى مصر وأطلع السلطنة المملوكية بحقيقة الوضع في إمارة الحجاز. وطالب أيضا السلطة السياسية بمصر من إعلان تأييدها للشريف هزاع وقطع علاقاتها مع الشريف بركات. ونتيجة لأن قانصوه المحمدي أحد رجالات السلطنة المملوكية فإن تلك السلطة أصدرت أوامرها بإعلان تأييدها للشريف هزاع، وتعيينه أميراً لمكة. [(3)]، ووصل هذا الأمر إلى مكة يوم الإثنين السابع والعشرين من ذي القعدة

= تعيين قانصوه الغوري في ليلة العيد سنة ٩٠٦هـ سلطانا للدولة، واستمر إلى مقتله في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ مع السلطان سليم الأول العثماني. وقد بنى الكثير من المنشآت في عهده، مثل المدرسة المشهورة بمناراتها ذات الأربع رؤوس وغيرها من القصور. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٥٨، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٢. الملطي: نزهة الأساطين، ص١٥٥. الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص٢٩٥. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٨، ص١١٣، ١١٤، ١١٥. الشوكاني: البدرالطالع ج١، ص٣٩٠. سليم، محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك،القاهرة، مكتبة الأدب،١٤١٧هـ، ج١، ص٥٨.

(١) عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص ١١٣٢، ابن الديبع، (عبدالرحمن بن على بن محمد): الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ١٩٨٢م-ص١٦٧. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٦.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص ١١٦٣، العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٨٢. الشبلي: السنا الباهر، ص٥٩.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١١٦٣، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٢. الجزيري الدرر، ج٢، ص٧٨٠. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٥، الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، =

سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م. وكان ذلك الخبر يعني حدوث صدام وشيك بين الطرفين، وهذا ما حدث بالفعل، فعندما ترامى الخبر إلى سماع الشريف بركات أعد قواته والتي تألفت من جيشه إلى جانب القبائل المتمثلة في عدوان[١] ، وبني سعد[٢] منطلقاً حيث رأس عين الجموم [٣]، وذلك لتأديب الشريف هزاع. في حين قام الشريف هزاع هو الآخر بإعداد العدة وإثبات مدى جدارته وقوته في التمكين لنفسه، وجهز قواته من جنوده من قبائل بني زبيد، وبني إبراهيم، وإخوته جازان وحميضة. وانطلق صوب منطقة عين الجموم حيث كان قد انطلق على رأس ركب الحاج مع الأمير يحيى بن سبع أمير ينبع. ودارت رحى المعركة بين الشريفين في تلك المنطقة السابقة، ومُني هزاع بالهزيمة في بداية المعركة، وفقد ثلاثون شخصاً من عصبته، وعاد الشريف هزاع خاسراً لولا تدخل أمراء الحاج له ومساعدته، والسبب في ذلك أنهم ساورهم القلق؛ لأنه في حال تفوق الشريف بركات وانتصاره سوف ينقلب الشريف بركات على أمراء الحاج[٤]، ولذلك تدخلوا بالمساعدة لصالح الشريف هزاع. وقد أدت هذه العناصر

= ج١، ص٢٩٠.

(١) عدوان قبيلة من العدنانية من قيس عيلان من هوازن كانت منازلهم الطائف فغلبتهم عليها ثقيف: وهاجر كثير منهم إلى تهامة وأفريقية ومن بقي منهم في الحجاز تسكن اليوم أسفل وادي ليه والعرج شرق الطائف. عاتق بن غيث: معجم قبائل العرب، ج٤، ص٦٥. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت،مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ج٢، ص٧٦٢.

(٢) بني سعد: بطن من هوازن من قيس بن عيلان، وهم حضنة رسول الله ﷺ، ينزلون قرن المنازل مابين مكة الطائف. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز،ص ٢١٧.

(٣) عين الجموم : عين متدفقة غزيرة المياه في مر الظهران ، على طريق مكة المدينة وكانت محطة رئيسية للحجاج . عاتق البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج٢، ص ١٧٦.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ١١٦٤، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٢..

=

الجديدة المتمثلة في أمراء الحاج في قلب دائرة المعركة وقد حملوا على الشريف بركات وفرقوا جنده، وحاول الشريف بركات الثبات هو وولداه أبو القاسم وإبراهيم[1]. ولكن قتل أبو القاسم وفرَّ بقية العسكر، ولهذا هرب الشريف بركات من مكة[2] وعندئذ طلب الشريف بركات من الشريف هزاع هدنة لمدة ثلاثة أشهر فلم يوافقه الشريف هزاع إلا أن يخرج بركات إلى جهة الجنوب أو إلى جهة الشرق[3] فلم يوافق بركات[4] ، وكان ذلك بهدف إبعاده عن الطريق التجاري بين مكة وجدة، وكذلك الحاج، وبذلك يحرم الشريف بركات من الحصول على أي مصدر مالي يمكنه من مواصلة القتال[5].و قام الشريف هزاع بحملة نهب لنساء الشريف بركات. فقام هزاع بنهب بيت أخيه بالدكناء[6] وبيوت إخوته وأولاده وجميع القرى، مثل الجموم، و

= السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٧.

(١) إبراهيم بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، استعان به والده في بعض غزواته، ثم خرج في المعركة التي دارت بين أبيه وبين عمه الجازاني سنة (٩٠٧هـ) أسر وبقي مأسورا بينبع حتى مات. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٤٤، ٩٩، ١٢٣. العصامي: سمط النجوم العوالي. ج٤، ص٢٨٣.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٥، السنجاري: منائح الكرم،ج٣، ٤٦،ابن الديبع: الفضل المزيد، ص٧٨، العصامي: سمط النجوم العوالى، ج٤، ص٢٨٥،.

(٣) يقصد بالشرق منطقة نجد.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٧، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٢، يحيى بن الحسيني: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبد عاشور، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص٦٢٦، الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٩٠.

(٥) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص١١٦٧.

(٦) الدكناء: قبل أرض حسان، ومواليه لأرض خالد، فيها نخيل جليلة، وعين جارية جميلة، كان يملكها أشراف مكة ، وتقع في وادي مر. محمد بن منصور بن هاشم آل عبد الله بن سرور: العيون فى الحجاز وبعض أوديته الطائف، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م ص١١٥، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٣ ص٦٢٣.

الخضراء[1]، وأرض خالد، وأرض حسان، والدكناء، وجميع مالهم من الأموال والعبيد والجواري قد سرق إلا من فرَّ منهم بنفسه[2] ، وفي يوم الخميس مستهل شهر ذي الحجة عام (٩٠٦هـ / ١٥٠٠م) اتجه الشريف هزاع وأتباعه إلى مكة وعاثوا فيها فساداً، فقد قام بني إبراهيم بنهب أشياء كثيرة منها سوق المعلاة[3] وبيوتاً[4]. ونتيجة لذلك، ولرفض الشريف هزاع توقيع الهدنة انطلق الشريف بركات صوب جدة لكي يقتص من هزيمته في معركة الجموم، وقام الشريف بركات بالاستيلاء على قافلة كانت في طريقها إلى مكة في بداية شهر ذي الحجة سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م. ونهب بعض بيوت جدة، وبعد ذلك استعد الشريف بقواته بين مكة وجدة ينتظر ما ستؤول إليه الأحداث[5]. وكان ما قام به الشريف هزاع من نهب وسلب فإنه لا يدل سوى على ضعف موقفه أمام الشريف بركات وعدم قدرته على إدارة الأحداث السياسية هذا إلى جانب أن قانصوه المحمدي كان قد سأم من الشريف هزاع لأنه لم يحصل على كل مطالبه التي اشترطها على الشريف هزاع في مقابل حكم إمارة مكة المكرمة[6]. وفي تلك

---

(١) الخضراء: عين قرب الجموم بعد مشروع (أبو حصاني) وهي اليوم مابين الجموم وجدة بالقرب من مركز حدّا ، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز. ج٣- ص١٣٢.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٦.

(٣) سوق المعلاة: هو السوق الواقع بين الحجون والمسجد الحرام.خلف مبنى البريد وأزيل حديثا ، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز.ج ٨ ص ٢٠١.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٧، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص ١٠٨،ابن الديبع: الفضل المزيد. ص١٥١. العصامي: سمط النجوم، ج٤، ص٢٨٣.

(٥)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٧ـ ص ١١٦٨. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام،ج٢ ص١٠٩. الجزيري: الدرر الفرائد، ج٢، ص٧٨٠. ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٢٨٢.

(٦) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص١١٧١، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٨، =

اللحظة شدد الشريف بركات الحصار على أخيه الشريف هزاع، وعندما ضعف ووهنت قوة الشريف هزاع تدخل الشريف إبراهيم بن بركات للتوسط في سبيل حل ذلك الصراع. فتمت المفاوضات بين الطرفين، واتفق الجميع أن يتعهد الشريف هزاع بدفع مبلغ (٢٠٠٠) دينار لأخيه الشريف بركات مقابل عقد هدنة بين الطرفين، وأن يترك بركات مقر إقامته في أبيار أطوى[١] وبدأ هزاع منذ تلك اللحظة يراقب بركات حتى عاد إلى محل إقامته ببحرة[٢]،في حين توجه الشريف هزاع إلى مكة [٣] ، وخلال تلك الفترة لم يتمكن الشريف هزاع فى الحصول على موارد و مبالغ مالية من التجار تساعد في تموين حاجة أتباعه، إلى جانب عجزه عن الوفاء بمكآفات لأمراء الحجاج الذين ساعدوه ضد الشريف بركات، وكل ذلك بدوره أدى إلى تقليص عدد أتباعه[٤].

= السنجاري: منائح الكرم، ص١٥٤.

(١) الأطوى: منطقة بها آبار في واد ي سيل من جبل سطاع في ديار الحجاولة من بني شعبة من كنانة على بعد ٨٠ كيلو جنوب غربي مكة. عاتق البلادي: معجم معالم مكة التاريخية والأثرية، ص٢٧.

(٢) بحرة: بفتح أوله كمؤنث البحر: بلدة عامرة بين مكة وجدة في منتصف المسافة بينهما، كانت مرحلة المنصف على نظام القوافل القديم، وأن هذا المكان هو ذو جنة السوق الجاهلية، غير أن رواية أخرى تقول إنه الأطواء. وسكان بحرة بنو جابر والمعانية من حرب، خليط من الناس وملك الأرض للأشراف الشواكرة، من ذوي بركات بن أبي نمي الثاني. وكانت بحرة تعرف بالقرين عند ما مر بها ابن جبير سنة ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤م والقرين اسم الأكمة الصغيرة التي بطرف البلدة اليوم من المشرق ولا زالت معروفة، ولكن الاسم تغير بسبب حفر بئر غرب القرين فظهرت البئر غزيرة لا تنزح فسميت بحرة، ولها أسطورة في قصة طويلة، ولعلها سميت بحرة من السعة، والعرب تسمى كل فضاء بين الجبال بحرة، شريطة ألا يكون واسعاً جداً فحينئذ يسمى جواً، أو خبتاً. انظر عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج١ ص١٧١.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٩، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج ٣، ص ١٠٨، يحيى بن الحسين: غاية الأماني. ص٢٦٢.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٧١. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣،ص ١٠٨.

ونتيجة لعدم وفاء الشريف هزاع بالمبلغ الذي التزم به لأخيه بركات في ميعاده فإن الشريف بركات أخذ يستعد بقواته لمحاصرة الشريف هزاع، وكانت تلك هي الذريعة، وكان ذلك بتدبير من عنقاء بن وبير، وعندما ترامى إلى مسمع الشريف هزاع ما حدث من تحرك الشريف بركات ضده، بدأ الشريف هزاع يطلب من أمير الجنود المماليك[1] بمكة العون والمساعدة ولكن فشل ذلك، فلجأ هزاع إلى أمير الحاج الشامي[2] ربما يجد ضالته عنده في الصراع مع أخيه الشريف بركات؛ ولكن مساعيه بلا جدوى[3]. وعندما استطاع الشريف هزاع من إحضار المال ومحاولة إرساله إلى الشريف بركات رفض الشريف بركات أخذ المال؛ لتأخر تسليمه عند الموعد المحدد. لهذا لم يكن أمام الشريف هزاع إلا أن يخرج من مكة حتى لا يُحكِم بركات عليه الحصار، ويوقع به وبمن معه من أتباعه، فقام بالتجهُّز والخروج بعسكره لمقاتلة أخيه بركات، وفي الوقت نفسه أرسل إلى أخيه بركات عمه إبراهيم بن بركات[4] في محاولة لإشغال بركات عن اعتراض هزاع وجموعه في خروجهم إلى ينبع، ولم يكن يعلم إبراهيم بن بركات بقصد هزاع، وخرج لمحاولة إقناع بركات بقبول المال الذي تم الاتفاق عليه ودرء الحرب، وكان هزاع قد خرج بخروج عمه إبراهيم إلى منطقة أبي عروة[5] ونهبها بأتباعه، يقول

---

(١) كان يدعى: الأمير قانصوه الجوشن.عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٢٩.

(٢) كان أميرالحاج الشامي يدعى قانصوه أبو قورة:عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٧١.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص١١٧١.عبد العزيز بن فهد:غاية المرام، ج٣، ص١٠٧.

(٤) هو إبراهيم بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، أخو محمد بن بركات، وهو أكبر سنا منه أراد مخالفة أخيه في آخر أيام أخيه محمد وذهب إلى جازان ولم يوفق في تمرده ثم أصلح بينهما وعاد إلى الطاعة. السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٣٣.

(٥) أبي عروة: قرية بوادي مر، قرب الروضة والبرقة، عند جبل يقال له الظاهر، يصعد منه إلى هدة بني جابر، =

ابن فهد: "وتوجهوا أمام الحاج، ثم أن السيد بركات جاءه المخبر ضحى يوم الثلاثاء العشرين من ذي الحجة عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م بأن هؤلاء هربوا إلى جهة ينبع فسود على عمه ـ إبراهيم وأمر تجريده الخيل والرواحل، وأخذ من إبراهيم، وأرسل طلائع له فما وجدوا لأولائك أثر" [١] ونجا هزاع وجموعه من مطاردة أخيه بركات وأتباعه، ولحق بركب الحاج الشامي حتى وصل ينبع، وبعد أن غادر الشريف هزاع من مكة سارع إليها الشريف بركات حيث استقبله الأمراء والأعيان بسعادة بالغة، وكان قبل أن يصل إليها قد ترك حامية تحمي جده من أي هجوم وشيك[٢] ولم تكن السلطنة المملوكية وسلطاتها السياسية بمنأى عن تلك الأحداث وعند وصول ركب الحاج إلى القاهرة، أوفد السلطان المملوكي بمرسوم إلى الشريف بركات، وفيه يتبرأ من قيام أمراء الحاج بمساعدة الشريف هزاع، وأن السلطنة المملوكية لم تتدخل في ذلك الأمر[٣]، ولكي تبرهن تلك السلطة المملوكية على تأييدها للشريف بركات أرسلت له

= فيها نخل ومزارع للحب والبطيخ وتسقي من عين عذبة وينزله الحاج الشامي، والآن انقطعت وهي من أكبر عيون مر الظهران وأعذبها وهي تقع اليوم في الطريق الرابط بين الجموم وطريق السيل الكبير قرب الزيمة . جار الله بن فهد: حسن القرى في أودية أم القرى، تحقيق وتقديم: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٥، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٦ ص ٨٥.

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٧١. عبد العزيز بن فهد:غاية المرام، ج٣، ص١٠٩ .الجزيري: الدرر الفرائد. ج٢، ص٧٨٠، ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٢٨٢.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص١١٧١،عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٩، الجزيري: الدر الفرائد، ج٢، ص٧٨٠، ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٢٨٢.

(٣) هذا الأمر يعد صحيحاً لعدة أسباب، منها: أن أمراء الحاج سنه ٩٠٦هـ، وصلهم رسول الأمير قانصوه المحمدي في ينبع في بداية الشهر ذي القعدة، يأمرهم بأن يساعدوا الشريف هزاع، ويعطوه المراسيم، ويعلنوا ولايته، وذلك لغضبه من الشريف بركات لعدم الاحتفاء به عندما أرسل منفياً إلى مكة المكرمة، =

الخلعة بصحبة عشرة من المماليك وخمسون قواساً[1]، كما أعلنت بأن يعد هو الممثل الوحيد لها بالحجاز، والأمر بيده كله في الحجاز يولي من يريد[2]. ولكن في الواقع فإن أمراء الحاج كانوا ساعدوا الشريف هزاع في صراعه مع الشريف بركات على إمارة مكة المكرمة بإيعاز من قانصوه الغوري[3]، وذلك لاستفادة قانصوه الغوري من حدوث ذلك الصراع، ومن حالة عدم الاستقرار التي ستنتج من ذلك، وحتى يغفل حكام مكة عن عدم معارضة الغوري عن تزايد الضرائب على التجارة المارة بأراضي الحجاز،

= والثاني: لو أن الشريف هزاع حصل على مرسوم حقيقي من مصر لما تأخر الأمراء في الاشتراك في الحرب التي قامت بين الشريف هزاع وبين أخيه فهم لم يدخلوا الحرب حتى بان الظفر للشريف بركات فخافوا على الحاج. وأيضاً عدم دعمهم للشريف هزاع عندما طلب منهم بعد موسم الحج عندما هدد الشريف بركات مكة المكرمة فرحلوا تاركين الشريف هزاع يواجه خصمه لوحده فلو كان الشريف هزاع أميرا رسميا من قبل السلطنة في مصر لتوجب عليهم مساعدته خوفا من أن يشتكيهم للسلطة السياسية في مصر، كما أن السلطة السياسية في مصر كانت في شغل شاغل عن الفتن الداخلية بعد خلع السلطان العادل طومان باي الأول وتولية السلطان قانصوه الغوري في وقت قدوم ركب الحاج في شهر شوال وذي القعدة من سنه ٩٠٦هـ مما يجعلها تؤخر مسألة البت في ولاية مكة المكرمة وتقبل تصرفات الأمراء في مكة المكرمة وقد كان انتصار الشريف بركات وعدم كسب الشريف هزاع للأمراء بالمال، دافعا لعدم دعم الأمراء للشريف هزاع في مصر وترك السلطة تعيد الإمارة للشريف بركات.

(١) القواسة: مأخوذ من القوس، وهي التي يرمى بها النبال، وهم فرقة من الجيش، يكون مهمتها الرمي بالسهام. ابن منظور (جمال الدين، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة): لسان العرب، بيروت، ، دار صادر، (د- ت) ج١١، ص٣٤٥.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٧٩،عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣،ص١١١.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١١٦٣، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١١٣، ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٣٢٢، العصامي: سمط النجوم، ج٤، ص٢٨٤، الحسين بن يحيى: غاية الأماني، ص٨، السنجاري: منائح الكرم، ص١٥٤، ابن الصباغ: تحصيل المرام، ص١٩٢، مورتيل: الأحوال السياسية، ص١٦٣.

وحتى يحتفظ المماليك بما يأتيهم من أموال مقابل التأييدوقبل هذا كله بسبب غيض قانصوه المحمدي من الشريف بركات بسبب عدم الاحتفاء به كما ذكرنا . ولم يكن الشريف هزاع في تلك الفترة مستكيناً؛ بل يسير بخطى ثابتة، ويُعد نفسه خلال هذه الأربعة أشهر في إعداد قواته لمواجهة الشريف بركات الذى أعد قواته وبدأ في التحرك لملاقاة أخيه، وعندما علم الشريف بركات بكل هذه التحركات بدأ هو الآخر بإعداد قواته، فأظهر مرسوم السلطنة المملوكية له مما جعل رئيس العسكر المملوكي الأمير قانصوه الجوشن والمحتسب الأمير أصباي بمساعدته رغم رفضهم مساعدته وكانت الحجة عدم وجود مرسوم لذلك وعندما جاء المرسوم قاموا بمساعدته[1] ولهذا قام الشريف بركات بتسليحهم ووعدهم بإجزال المال لهم بعد الحرب. وما أن استكمل الشريف بركات قواته حتى انطلق حيث منطقة الشعبة[2]، ونزل بين الشعبة ودغيم[3]،

(١) كان بركات قد وصله مرسوم بأنه نائب السلطان على الحجاز وهذا يكفي لكي يقوم الأتراك بمكة بمساعدته كما ذكر سلفاً، ولكن يظهر أن بركات استصدر مرسوما آخر من السلطة السياسية بمصر أقنع به الجند المماليك بالاشتراك فى الحرب. كما كان للمبالغ المالية التي أعطاها لهم والتي وعدهم بها أكبر دافع للمشاركة. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص١١٨٦

(٢) الشعبة: عين صغيرة لبني جابر من بني عمرو على بعد ٢٨ كيلا من أم العيال، وهى إحدى محطات طريق وادي الفرع بين بئر مبيريك والمدينة، وبها نخل، وماؤها قليل، وكان بعض الجمالة يتجاوزها ليحطوا في الفقير أوغيره من العيون. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١١٨٦، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٥، ص٦٦.

(٣) دغيم تصغير دغم، وهو خليج في البحر الأحمر، عليه نخل وزرع وسكن، جنوب مصب وادي الحمض، بينه وبين أملج، يسكنه قبيلة جهينة. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١١٧٩، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٣، ص٦٦.

والتقى الطرفان في تلك المنطقة، وقد كان جيش هزاع يتميز بتفوقه العددي [1]، وقد هزم الشريف بركات شر هزيمة، وقتل كثير ممن معه، وكان من الذين قتل أخيه أبو دعيج وسبعة من أشراف بني أبي نمي[2]، وقتل من المماليك من أنصاره أربعة عشر فارساً وغيرهم[3]. وعندما شاهد الشريف بركات ذلك وأن الدائرة ستأتي عليه توجه إلى منطقة الليث[4] وأقام بها، واستطاع أصحاب أخيه هزاع الاستيلاء على غنائم المعركة وعلى غنائم من مقر إقامته ببحرة وعندما سار وانتشر خبر انتصار الشريف هزاع، وصلت المراسيم والخلع السلطانية عن طريق البحر من السلطان الغوري في جمادى الأولى سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، ومعها تقليد من السلطان الغوري للشريف هزاع بإمرة مكة [5]، وقد خاف الناس بمكة على أموالهم؛ حتى قام الشريف هزاع بطمأنة الناس ونادي فيها بالأمان في مكة، ودخل الشريف هزاع في يوم الاثنين السابع عشر من

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١١٨٦. ابن الديبع: الفضل المزيد، ص١٥٥. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٨٤.

(٢) بنو نمي: من بني الحسن بن علي- رضى الله عنهما- من بني هاشم، وهم بنو محمد أبي نمي بن أبي سعد حسن بن علي ابن قتادة، ولي مكة نيفا وخمسين سنة أو نحوها وتوفي سنة (٦٦٩هـ) كان له من الولد: حميضة ورميثة وراجح وزيد وغيرهم وكان من بني أبي نمي هذا أمراء تولوا إمرة مكة، ثم كانت أسرة أبو نمي الثاني التي توارثت حكم مكة إلى سنة ١٣٤٤هـ. البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص٥٣٤.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١١٨٦ -١١٨٨، العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٨٤، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ج٢، ص٢٨.

(٤) الليث: هى بلدة عامرة على مصب وادي الليث، تقع على مسافة (١٥٠) كيلو متر جنوب مكة، البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٧، ص٢٦٩- ٢٧٠. محمدين: أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، دراسة فى الدلالة وأنماط الاشتقاق، الرياض، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م، ص١١٢.

(٥) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١١٩١، العصامي: سمط النجوم العوالي، ج،٤، ص٢٨٤.

جمادى الأول من العام نفسه. ثم بعد فترة بدأ المرض يفتّ في عضد الشريف هزاع؛ فلم يمكنه من الخروج من منزله للمسجد الحرام لحضور تنصيبه كأمير ولبس الخلعة السلطانية[1] يتجلى هنا أن السلطة السياسية في مصر كانت تميل مع المنتصر من أفراد الأسرة الحاكمة، ونستطيع أن نقول أن نواب السلطة السياسية في مدينة جدة ومكة كانوا هم الذين يصدرون المراسيم باسم السلطنة في القاهرة، ثم يرسلون إلى السلطنة بما فعلوه ليأتيهم التأييد، يدلنا على أن هزاع انتصر على أخيه بركات في اليوم الثامن من جمادى الأولى، ودخل مكة في يوم السابع عشر من جمادى الأولى، فتكون المدة تسعة أيام، وهذه المدة ليس بالإمكان وصول الخبر إلى مصر بانتصار هزاع وقدوم مرسوم له بالإمارة مما يعطينا الجزم بأن أمير الجند المماليك قانصوه الجوشن هو الذى أصدر مرسوم لهزاع، وفي المرسوم الذى تمت قراءته " أنا نحن أنعمنا عليك بإمرة مكة ودخلت مع الأمراء، وعجلنا من خروجك ودخول الزيني بركات مكة" وهذا القول يختلف تماما مع ما في المرسوم الذي أرسل لأخيه بركات عندما دخل مكة بعد خروج أخيه هزاع منها بعد سفر الحاج من العام السابق ٩٠٦هـ مما يدل أن السلطة السياسية قد أعطت الأمراء الذين يقدمون إلى مكة بالتعاون مع باقي الجند المماليك في مكة بتنصيب من يرونه أقوى من أفراد الأسرة الحاكمة ثم يرسلون إلى السلطة في مصر بالوضع وهي تقرهم على ما فعلوه. ولم يلبث الشريف هزاع طويلاً حيث توفي يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر رجب سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠٠م في منطقة السمرات[2]

(١). عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج، ص١١٩١.

(٢) السمرات تقع بين وادي الآبياروالعد فى جنوب جدة. الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٣٥٠.

ونقل إلى مكة حيث دفن بالمعلاة[1] ، وكانت مدة إمارته منذ انتصاره على أخيه بركات حتى وفاته شهرين وستة أيام.

ج - تمرد الشريف أحمد بن محمد (جازان) (٩٠٧هـ/ ١٥٠١م) [2]:

كانت وفاة الشريف هزاع إيذاناً بأمير جديد لمكة، فبمجرد وفاة الشريف هزاع تم اختيار الشريف جازان أميراً لمكة بتأييد شبه جماعي؛ سواء من القوات العسكرية أو من القبائل، وكان للقاضي أبي السعود بن ظهيرة[3] دوراً في تولية الشريف جازان، حيث طالب من الحاضرين حماية مكة، وقد أشار المجتمعون بأن مشاركتهم مع الشريف هزاع كانت لسبب مدعاة وجود الشريف جازان معه. وبالفعل تمت عملية تولية الشريف جازان، وأرسل طلب التعيين إلى السلطنة المملوكية في مصر[4]. ومع بداية

---

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٠٢، الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨١. ابن ظهيره الجامع الطيف. ص٢٨٢. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٦. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٩٢.

(٢) هوأحمد بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الملقب بالجازاني، بدأت محاولاته لتولي مكة والصراع مع أخيه بركات منذ عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، وقد تولى مكة بمساعدة القاضي أبو السعود بن ظهيرة وغيره، ثم لم يلبث أن خُلع وأعيدت ولاية مكة لأخيه بركات، قتل صباح يوم الجمعة ٩رجب سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م على يد جماعة من الأتراك المماليك بمكة، وهو يطوف عند باب الكعبة. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٥٩٩؛ ج٣، ص١١٧، ١٢١، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٨، ١٦٦؛ أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص٤٧؛ عاتق البلادي: الإشراف على تأريخ الأشراف، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٢٤٤، ٢٤٩؛ ج٢، ص٢١٧، ص٢٨٣.

(٣) هو صلاح الدين بن ظهيرة بن قاضي القضاة الشافعي جمال الدين أبي السعود بن ظهيرة، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣ ، ص ١٣٨٨.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١٢٠٢، الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨١. يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص٦٢٨. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٦، الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٩٢.

فترة ولاية الشريف جازان اقترف الكثير من الأخطاء، كان أولها أن فرض على التجار أموالاً حتى يستطيع أن يفي بنفقات الإمارة. وهذا الأمر قد جلب عليه سخط الناس، وكان الخطأ الثاني تفرقة الشريف جازان في المكافآت التي أعطاها للجنود والفرسان، وهذا الأمر قد أدى إلى حدوث الفرقة في القوة العسكرية؛ مما أدى إلى ضعف موقفه أمام الشريف بركات[1]. وإزاء هذه الأمور التي أحدثها الشريف جازان توجه الشريف بركات إلى مكة قادما من حلي فقد استقر فيها بعد هزيمته من أخيه هزاع ، وعندئذ غادر الشريف جازان مكة وذلك لعلمه أن ولاء أهلها كان أكثر للشريف بركات، وتوجه جازان إلى جدة فنهبها. [2]وبحلول يوم الخميس التاسع من شهر شعبان سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، وصل بركات إلى مكة فخرج إلى لقائه الجميع من أمراء ومماليك وقضاة وفرحوا كثيراً بقدومه وعندئذ قرأ مرسوم توليه إمارة مكة[3]، وبعدها

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٠٤.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٠٥.

(٣) المرسوم الذى تمت قراءته عند عودة بركات كان قد أرسل إلى بركات بعد خروج أخيه هزاع من مكة وعودة بركات إليها فى ذى الحجة سنة ٩٠٦هـ وتاريخه الثامن من ربيع الأخر سنة ٩٠٧هـ، والدليل على هذا أنه ذكر فى المرسوم أن السلطة ساءها مقتل ولد الشريف، ولم يقتل لبركات ولد إلا فى أول لقاء مع أخيه هزاع، فقد قتل أبوالقاسم بن بركات، وهذا يدل أن الأمراء كانوا يحتفظون بالمراسيم إذا تم تغيير فى السلطة في مكة. فالأمير إلياس الذي حمل هذا المرسوم وقدم به في الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٩٠٧هـ وكان انتصار الشريف هزاع على أخيه بركات في التاسع من جمادى الأولى، فاحتفظ به وأخرجه بعد عودة بركات في هذه المرة. وأخرج لهزاع مرسوم آخر فيه الاعتراف بتنصيب هزاع أميراً لمكة بدل أخيه بركات وأن التشريف باسمه، والوصية بحفظ أموال الدولة، ونشر الأمن وتاريخه الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة ٩٠٧هـ، وهذا يدل على أن الأمير إلياس كان يحمل مرسومين لكل شريف مرسوم باسمه وأن الاتصال بين أمير الجند المماليك بمكة والسلطة السياسية بمصر كان يتم بشكل سريع جداً بحسب المنتصر من الأشراف فتميل الدولة معه. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٠٧. عبدالعزيز =

انصرف الجميع في غاية الفرح[1]، ربما لأنهم تلمسوا بداية نوعاً من الهدوء، وعندئذ قام الشريف بركات بالتقصي عن أخبار ركب الحاج المصري والتقصي عن حال الشريف جازان، ولهذا كلف بركات عامر بن شقمق[2] لتولي هذا المهمة؛ ولكنها باءت بالفشل عندما قبض عليه وقدم الى جازان فسجنه[3]. وبعد ذلك بدأ الشريف جازان في السعي نحو إمارة مكة والحصول عليها، فتعرض لركب الحاج المصري بقيادة الأمير أصطمر، وطلب منه أن يلبسه خلعة مكة وإلا فإنه سوف يتعرض لركب الحاج بالنهب والسلب، وما كان من أمير الحاج إلا أن فاوضه وطلب منه أن يدفع للسلطنة مبلغ ستون ألف دينار في مقابل خلعة مكة، وحفاظاً على الحجاج، ورغبة في توفير السلامة، ولم يجد أمير الحاج بدّاً من أن يلبس الشريف جازان خلعة مكة مقابل ما يدفعه من مال. وعلى الوجه الآخر نراه يراسل الشريف بركات سراً للقضاء على الشريف جازان[4]. ولكن حينما انكشف هذا الموقف ساور الشكّ الشريف بركات والشريف جازان، فالشريف جازان قد أدرك بأن أمير الحاج يرتب مع الشريف بركات لإزاحته؛ ولهذا سأل الشريف جازان أمير الحاج وطلب منه توضيح موقفه في الصراع بين الشريفين، فتحدث أمير الحاج بأنه ليس له أي دور، وأنه سوف يولي الإمارة لمن

= العز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١١٧، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٥، الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٩٠.

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ ا القرى، ج٢، ص١٢٠٧ عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١١٧. السنجاري: منائح الكرم: ج٣، ص١٠٥، الطبري، إتحاف فضلاء، ج١، ص٢٩٠.

(٢) عامر بن شقمق: هو ابن عم أمير ينبع بن سبع، ويبدو أنه كان على خلاف معه لذا انضم إلى الشريف بركات.. ابن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٢١.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٢٠.عبد العزيز بن فهد:غاية المرام،ج٣، ص١٢١

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص ١٢٨٢،الجزيري: الدرر الفرائد، ج٢، ص٧٨١.

ينتصر. ولهذا تخوف جازان وعسكر في منطقة خليص، في حين خاف الشريف بركات هو الآخر وانتظر قدوم ركب الحاج [١]. ولكن بوصول ركب الحاج في يوم الاثنين آخر يوم من ذي القعدة في عام ٩٠٧ هـ/ ١٥٠١م قابلهم الشريف بركات، ولهذا قام أمير الحاج أصطمر[٢] بإلباسه خلعة مكة المكرمة بتأثير من السلطنة المملوكية بمصر [٣]. وهنا راحت كل آمال الشريف جازان؛ سواء في الحصول على الإمارة، أو الحصول على المال في مهب الريح،ولهذا قام الشريف جازان بالتعرض لركب الحاج الشامي في رابغ ونهبه، وأعمل فيهم القتل وأفناهم، ومن لم يمت فيهم بالسيف مات من الجوع والعطش[٤]. نتيجة لما حدث في ركب الحاج الشامي، فإن الشريف بركات كان قد رافق ركب الحاج المصري إلى جانب أمير الحاج أصطمر في محاولة من الشريف بركات في الحصول على معاونتهم في الصراع مع الشريف جازان، وعندما علم ذلك الشريف جازان استعد لذلك، وعندما تقابلا طلب الشريف جازان من أمير الحاج أصطمر أن يتنحى جانباً ويترك الصراع الذي بين الشريفين [٥]. ولكنه ظلَّ على موقفه المؤيد للشريف بركات وساعده فى صراعه[٦]، وبدأ فى إعداد الجنود للشريف بركات[٧]. و قد

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٢٢، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص١٢١، الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨.

(٢) اصطمر بن ولي الدين: أمير مجلس، وعين أمير ركب المحمل سنة ٩٠٧هـ. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢،ص١١٢٣، ابن إياس: بدائع الزهور ٤/ ٢٨، الجزيري: الدرر الفرائد، ص٣٤٩.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢،ص١٢٢٣، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص١٢٢.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٢٤. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص١٢٣، الجزيري: الدرر الفرائد، ج٢، ص٧٨٢. ابن إياس " بدائع الزهور، ج٤، ص٣٦.

(٥) ابن عبدالعزيز فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص ١٢٢٤،ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٣٧.

(٦ عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص ١٢٢٤،ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٣٧.

(٧) كان هذا خطأً فادحاً من أمير الحاج المصرى الأمير أصطمر، فقد كانت له فرصة في النجاة بركب الحاج =

كانت الغلبة في هذه المواجهات للشريف جازان لأسباب عدة، أولاً: لتمتع جنوده بالراحة قبل المعركة، وثانياً: أنه يقاتل في أرض يتمكن خلالها من التزود بالرجال، وهذا على عكس الشريف بركات الذي فشل في تلك المعركة ورجع بمن سلم معه يجر أذيال الخيبة، حيث عاد في الرابع من محرم سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م إلى اليمن بعد انتصار أخيه جازان [١] وفي شهر شعبان من سنة ٩٠٨ هـ قدم الشريف جازان مكة مرتدياً خلعة الإمارة[٢] ونتيجة لعلاقة أهلها السابقة للشريف جازان ساءت معاملتهم. ولم تكن هذه هي المعركة الأولى بين الشريفين، ولم يكن الشريف بركات ليستكين عند هذا الحد، فقد استعد لانتزاع إمارة مكة مرة أخرى من أخيه الشريف جازان، فأعد قواته، وقام بالاستعانة ببعض القبائل أمثال قبيلة هذيل[٣] وغيرها. وخاصة من القبائل المحيطة بمكة واتجه من جهة اليمن إلى مكة ، ولم يكن الشريف جازان بمنأى عن تلك الاستعدادات، فقد علم ما يرتب له الشريف بركات، ولهذا قام الشريف جازان بالاستعداد بقواته، وانطلق صوب بركات حتى التقى الجمعان من

= أثناء اشتباك الحرب بين الأخوين، أو التدخل بصلح يسلم به الحاج من النهب عندما عرض عليه جازان الخروج من الصراع، ولهذا ما حصل للحاج من مشقات في الحرب وبعده كان سببها سوء تصرف أمير الحاج.

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١٢٢٧، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٢٤، الجزيري: الدر،ج٢، ص٧٨٣. ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٢٨٢، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٥ الطبري: إتحاف فضلاء الزمن،ج١، ص٢٩٠.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٣٢.

(٣) هذيل: قبيلة عظيمة من العدنانية، وهم بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن نزار بن معد بن نزار بن معد بن عدنان، وكان منهم بطنان سعد بن هذيل ولحيان بن هذيل، ومن أوديتهم وادي نخلة، والشامية، وحيلة، وسعيا، والضواحي، وغيرها، وتنقسم هذيل اليوم إلى فرعين كبيرين هما، المسوة، وجميل. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص٥٤٧، عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج ٢، ص ١٢٤٣.

جديد عند سبيل الزمازمة[١]، ودارت معركة حامية الوطيس مرة ثانية، وتنسدل فيها أستار النهاية بهزيمة الشريف بركات للمرة الثانية. وذلك لخيانة بعض أتباعه، وفي تلك المعركة نال الشريف جازان غنائم كثيرة من جيش الشريف بركات إلى جانب نهب أمتعته أيضاً[٢]. وفي رمضان من سنة ٩٠٨ هـ توجد الشريف بركات وجيشه إلى مكة قادما من اليمن واستغل عدم وجود جازان فيها ، ومن ثم بدأ هو وجميع مَن فيها عملية تحصين مكة والاستعداد لقدوم الشريف جازان، فقام السكان بحفر خنادق في مكة بمساعدة أمير الجند المماليك بمكة[٣] والمحتسب[٤]، وبلغت تلك الخنادق ثلاثة خنادق عند مسجد الراية[٥]، واثنين آخرين عند منطقة الشبيكة، وإصلاح أسوار المنطقة نفسها. وقاموا بحفر رضم بالحجارة إلى الجبل في جهة شعب عامر[٦]. وبعد أن

(١) سبيل الزمازمة : هو السبيل الذي أنشأه موسى بن عبدالسلام في طريق منى ، وسبل فيه الماء أيام التشريق . انظر عمر بن فهد : إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٢٤٥ .

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٤٤ عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٢٥ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٨ . الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٩٠

(٣) أمير الأتراك: الأمير دولات باي السيفي قنبك. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٤٨

(٤) المحتسب: هو أبو يزيد الغوري، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٥٤،

(٥) مسجد الراية: هو المسجد الواقع بأعلى مكة عند أول الردم، وعند بئر جبير بن مطعم، وقد بناه عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وهو الواقع بالجودرية على يمين الصاعد من(المدعى) إلى المعلاة، وسمي بمسجد الراية لأن النبي ﷺ ركز الراية في موضعه يوم فتح مكة.انظر المحب الطبري: القرى لقاصد أم القرى، ص ٦٦٤، الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٢٠٠، محمد طاهر الكردي: التاريخ القويم، ج٥، ص٧٢.

(٦) شعب عامر: أحد أحياء مكة اليوم، كان به منازل بني عامر بن لؤي القرشيين، بجوار شعب علي من الشمال يصب في الخندمة في الغزة. الكردي: التاريخ القويم، ج٢، ص٢١٦. عاتق بن غيث: معجم معالم الحجاز، ج٥، ص٦١.

اطلع الشريف جازان على الاستحكامات التى قام بها الشريف بركات، قام الشريف جازان واتخذ من منطقة العقيشية[1] قاعدة لشن غاراته وعملياته العسكرية على مكة وشريفها بركات. ولعبت الاستحكامات التى قام بها الشريف بركات دوراً في شل حركة الشريف جازان ومنعه من ولوج مكة أو إحداث الضرر بها، وحينما رأى الشريف جازان ضعف موقفه سارع بطلب المدد من ينبع، فجاءه المدد، وانطلق الجميع بالخيول، وصعدوا جبل عبدالله بن عمر[2]، وكان هذا الجبل ضعيف التحصين، فكان نقطة النصر بالنسبة للشريف جازان، حيث انطلق من خلاله ودخل مكة وحاصر قوات الشريف بركات، ثم عاثوا فساداً ونهباً وسلباً في مكة؛ لموقفهم المؤيد للشريف بركات، وتكلل الأمر بالنجاح والانتصار في الرابع والعشرين من شوال شنه ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م[3]. ولما علمت السلطنة المملوكية ما آلت إليه الأمور في مكة المكرمة قامت بإرسال قوة عسكرية لإنهاء الصراع وتولية الإمارة لمن له الغلبة، وكانت من قبل قد أرسلت خلعة تولية الشريف جازان؛ لأنها رأت فيه القوة، وفي المقابل طلبت منه مقابل تلك الخلعة دفع ديات لمن قتل على يديه من جنود الدولة[4]. ولهذا خرج الشريف

(١) العقيشية: بلاد بأسفل مكة المكرمة، وهي على بعد سبعة أكيال من أول طريق مكة إلى اليمين المار بالخبث، وهي اليوم مزارع إلى الجنوب الغربي من مكة. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص١٢٤٦.عاتق بن غيث: معجم معالم الحجاز، ج٦، ص١٥٣. عاتق بن غيث: بين مكة واليمن، ص١٣، ٣٦١.

(٢) جبل عبدالله بن عمر: يقع فى الحجون جهة المعلاة، وعرف بذلك لأن فيه كما يقال قبر عبدالله بن عمر رضى الله عنهما. النهروالى (قطب الدين محمد بن أحمد المكي): الإعلام بأعلام بيت الحرام تحقيق: هشام عطا،مكة المكرمة، مكتبة مصطفى الباز،١٤١٦ه ج١، ص٤٢.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٥٣- ١٢٦٥. عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٢٧-١٣٧، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٩ الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٠٩. مورتيل: الأحوال السياسية، ص١٦٧.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٥٠.

جازان من مكة لأسباب منها: خوفه من تلك الحملة أن تكون هدفها القبض عليه وتنصيب أخيه بركات أميراً، فخروجه يعطيه إمكانية الهروب إذا أحس بخطر، والسبب الثاني: هو محاولة التفاوض مع قائد الحمله قيت الرجبي بشأن الإمارة، ولقد تفاوض الشريف جازان مع الأمير قيت الرجبي على أن يدفع له مبلغاً من المال في مقابل أن يقبض على أخيه الشريف بركات، وكان للقاصد جلال الدين[1] دور في ذلك. وقد سعى القاصد جلال الدين في تولية جازان. فسار إلى قيت الرجبي ويشير عليه أن الشريف جازان هو الأفضل لتولية الإمارة[2]؛ ولكن الشريف جازان قد خالف كل التوقعات، فقد أظهر قيت الرجبي غضبه على جازان وأراد إعطاء الإمارة لبركات، ولكن لم يعلم الجميع بأن ذلك كانت حيلة وخديعة انطلت على الجميع وعلى الشريف بركات، فحينما تقابل الشريف بركات مع الأمير قيت الرجبي بخصوص ذلك، وعندما نفذت الخديعة قبض على الشريف بركات[3]، وبالنهاية تم تنفيذ ما تم الاتفاق عليه، فقد تمت تولية الشريف جازان إمارة مكة المكرمة مقابل مبلغ من المال مقداره ستون ألف[4]. واستمر جازان يدير شئون إمارة مكة المكرمة حتى مقتله في التاسع من رجب

(١) القاصد جلال الدين بن جوشن أمير أخور السلطان، أرسله السلطان المملوكي في شعبان سنة ٩٠٨هـ لكي ينصب أحمد بن محمد جازان على مكة. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٥٠.١٢٥١

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ ا القرى، ج٢، ص١٢٧٠.

(٣) الذين تم القبض عليهم مع بركات هم أخوه قايتباي، وأخوه شرف الدين رميثة، ومشهون بن عجل النموي، والشريف عنقا بن وبير، وعلي بن ريحان الحسني، ومسعود فتى فارس بن شامان، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٧٦.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١٢٨٢، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٣٨-١٤٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٤٧، ٤٨. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٦، يحى بن الحسينى: غاية الأماني، ص٦٣٠، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١١٠.

سنه ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م، حيث قتل أثناء طوافه بالبيت الشريف[١]، وقد قتل جازان مواطئة من أخيه الشريف حميضة، وقد ترك جسد الشريف جازان طريحاً بالمسجد الحرام حتى قام بدفنه المسئول عن دفن الموتى الذين ليس لهم أحد يتولى دفنه[٢] ، وإن دلَّ ذلك فإنما يدل على شدة كراهية الناس للشريف جازان[٣].

ثالثا: الشريف قايتباي بن محمد إمارة وتوليه إمارة مكة المكرمة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)

عندما قبض على الشريف بركات أثناء خدعة الشريف جازان وأمير الحاج قيت الرجبي تم نقل الشريف بركات إلى القاهرة، حيث أكرم السلطان وفادته، ووضعه في بيت قيت الرجبي[٤] ، وخلال تلك الفترة أطلق السلطان قانصوه الغوري العنان للشريف بركات للتعرف على كبار رجالات السلطنة المملوكية، وعقد التحالف معهم، هذا فى الوقت الذى كان فيه أعداء الشريف بركات يسعون في سبيل القضاء عليه وإبعاده نهائياً عن مكة المكرمة، لذلك أرسل أعدائه أموال لبعض رجال الدولة

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١٣٠١،١٣٠٢. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٦٦. الجزيري: الدرر ج٢، ص٧٨٦. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤٤، ص٣٠١، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ١١٠، الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٢٢.

(٢) كانت الدولة المملوكية قد أحدثت وظيفة يتكفل القائم بها بدفن من لا عائل لهم، وذلك لكثرة الأمراض التي كانت تفتك بالناس في ذلك العصر،ويكثر الموتى، وقد بقي أحمد جازان في أرض المسجد الحرام حتى أخذه المسئول عن الموتى الذين ليس لهم من يقوم بتجهيزهم ويدعى عبدالله المصري، فقام بدفنه، بدون تجهيز ولا غسل ولا صلاة نكاية به لأنه كان طاغية وذلك بعد أن استشار أخيه حميضة. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٠٣.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٠٣،١٣٠٢، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٦٥.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص ١٣٢٦، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٥٧، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١١٠. الطبري: أتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣١٠.

مقابل نقل الشريف بركات وسجنه في مصر[1].

وعندما سار خبر وفاة الشريف جازان وعلم الشريف بركات بذلك بدأ بالتفكير في الهروب من مصر[2]، وفي يوم السابع من شوال عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م تمكن الشريف بركات من الفرار ولم يشعر به أحد[3]. هذا وقد اتهم السلطان الغوري قيت الرجبي في تهريب الشريف بركات، وكان هذا الاتهام قد أدى إلى حدوث مخاصمة شديدة بين الأمراء[4]. على أية حال فرّ الشريف بركات، وفي طريقة قابل ألدّ أعدائه، وهو بطاح الإبراهيمي[5] بوادي القبيبات[6]، فقام الشريف بركات بالتنكيل ببطاح وقتله، واستولى على كل ما معه من أمتعه وأموال[7]، وتلك الأموال قد أعطت للشريف بركات العون في مواصلة السير صوب مكة. وانتظر الشريف بركات حتى قدوم

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٢٧.عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٦٥،

(٢) قيل أن الأمير الذى أشار عليه بالهرب هو أمير سلاح السلطان قانصوه الغوري، وهو لقب للأمير المسئول عن مستودعات الأسلحة والمعدات الحربية،عبد العزيز بن فهد:غاية المرام، ج٣،ص١٦٥، انظر زين العابدين شمس الدين: معجم الألفاظ، ص٨٠.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١٣٢٧،عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٦٥، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦٢.السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١١٠. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن ج١، ٣١٠.

(٤) عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص ١٣٢٧،ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦٢.

(٥) هو بطاح بن مجول الإبراهيمي الينبعي، كان من أشد الناس عداوة للشريف بركات. وكان يطمع في إمارة ينبع وسعى بالحيلة للوصول إليها: قتله بركات في وادي القبيبات سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م. عبد العزيز بن فهد:غاية المرام،ج٣،ص١٧٥،١٤٨،عبد العزيز بن فهد:بلوغ القرى،ج٢، ص١٢٧٧.

(٦) وادي القبيبات هو وداي القباب: وهو منزلة من منازل الحج بين المنصرف وتيه بني اسرائيل، وهو واد كثير الرمل. القلقشندي:صبح الأعشى،ج١٤،ص٤٣١، ابن إياس: بدائع الزهور ج١،ص٣٩٨.

(٧) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ١٣٢٧. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٦٥. ابن. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٣٠١. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١١٠.

ركب الحاج، حيث رافقه الشريف بركات حتى لا يصبح صيداً مستساغاً للجميع، وكان قد تخوف منه الركب وأميره أنسباي[1]، ولكن الشريف بركات طمأنه وطمأن الجميع حيال ركب الحاج. وعندئذ أرسل الشريف بركات إلى السلطنة يعتذر عن هروبه، ولهذا عفا السلطان عنه وأرسل له من بقي من أهله[2]. وقد واصل الشريف بركات طريقه صوب مكة، وفي تلك الأثناء انضم إليه الكثير من القبائل؛ طمعاً في الغنائم، وهذا بدوره ساعد على زيادة قوة الشريف بركات، ووصل مكة الخميس ثامن ذي الحجة في عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣، وسمح لمن معه فى مهاجمة الحجيج، لذلك أرسل أمراء الحج يتفاوضون معه بكفِّ غاراته على الحجيج في مقابل ٢٠٠٠ دينار[3] يأخذونها من أخيه حميضة ألفاً مقدمه وألف بعد نزول الحاج إلى منى، ووافق الشريف بركات على ذلك[4]، وقد سار الشريف بركات مع ركب الحاج لحمايته حتى وصل إلى منى [5]. وفي تلك الآونة أرسل الشريف بركات إلى السلطة السياسية في مصر يطلب أن ترسل له الخلعة، وتعلنه أميراً على مكة، ولكن بعد مفاوضات عديدة مع أمير ركب الحاج الأمير أنسباي وأمير الجند المماليك بمكة بكباي، والأمير شاهين الجمالي نائب

(١) الأمير أنسباي بن ولي الدين، تولى إمارة الركب الأول سنة٩٠٨هـ وعين أميرا للمحمل سنة ٩٠٩هـ. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٤٩، ٦٢ .عبد العزيز بن فهد بلوغ القرى، ج٢،ص ١٣٢٧.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٢٨، عبد العزيز بن فهد:غاية المرام، ج٣، ص١٦٨، الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٨ السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٦٨ .

(٣) ذكر عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٣٤، غاية المرام، ج٣، ص١٧٠ أن المبلغ المتفق عليه كان ألفين دينارا فأخذنا بما قاله ابن فهد لأنه كان معاصرا للأحداث في ذلك الوقت.بينما ذكر السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١١١، والجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٨ أن المبلغ المتفق عليه كان خمسة آلاف دينار.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص١٣٣٤، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٧٠.

(٥)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٣٥، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٧٠.

جدة ويحي بن سبع، والأمير قايتباي[(١)] وأسفرت تلك المفاوضات عن تنصيب الشريف قايتباي[(٢)] أميراً لمكة[(٣)]. في الثلاثاء الثالث من شهر صفر سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م[(٤)].

وفي شهر صفر سنة ٩١٠هـ وصل الى مكة قاصد من السلطنة المملوكية وقد وقع الاتفاق على ولاية قايتباي وأجبر بدفع خمسين ألف دينار للسلطان ويدفع للأمير الكبير في الحملة عشرة الاف دينار...[(٥)] وكان الاتفاق في يوم الثلاثاء في الثالث عشر

(١) قايتباي بن محمد بن بركات الحسني المكي، كان حليفا لأخيه بركات ضد إخوته المتبقين وبينهما صداقة حميمة جعلت بركات يقبل بتعيينه بدلا عنه أميراً لمكة، توفي في ربيع الاول سنة ٩١٨هـ عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى ج٣، ص١٨٣٥. عبد العزيز بن فهد غاية المرام، ج٣، ص٢٤٧.

(٢) تعهد قايتباي بدفع خمسين ألف دينار للسلطان قانصوه الغوري، وعشرة ألاف دينار للأمير الكبير، واثني عشر ألفا لأمير الحاج المصري، وألف ومائتين لمحرم بن هزاع، وألف دينار لعياف بن محمد بن علي وثلاثة آلاف ليحيى بن سبع وثلاثة آلاف لباش الجند المماليك بمكة. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ١٣٤٨.١٣٤٧

(٣) ذكر السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص،١٥٤ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٣٠٢، الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٢٢. أن بركات تنازل عن إمارة مكة لأخيه قايتباي وأشرك معه ابنه علي بن بركات، وهذا القول لم يذكره ابن فهد في غاية المرام وبلوغ القرى، ولكننا لم نأخذ بهذا القول؛ لأن ابن فهد لم يذكر تعيين علي شريكاً لقايتباي، وهذا هو الأرجح، حيث إنه كان حياً ومتواجداً في مكة أثناء الحدث، ولهذا يكون ما ذكره هو الأقرب للصحة، وكون بركات تنازل لأخيه قايتباي فهذا صحيح، ويدل على حنكة بركات، فقد كان أخوه قايتباي صديقاً حميماً له؛ بخلاف جميع إخوته، وكان قايتباي لا يبرم أمراً دون مشورة بركات؛ لما يحمله من رصيد سياسي وعسكري في معالجة الأمور.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٣٤٧. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٧٣،:، ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٢٨٢، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٥٤، الطبري: إتحاف فضلاء الزمن ج١، ص٣٢٢.

(٥)عبد العزيز فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ،ص ١٣٤٩

من الشهر وعمت الأفراح في مكة وقرأ المرسوم وفي آخر المرسوم ان رضى بركات بولاية البلاد فيولى وإن لم يرض فيولى أخاه قايتباي وتم الاتفاق على الشريف قايتباي[1] وفي ليلة الاحد الثامن عشر من شهر صفر سنة ٩١١هـ أخذ بعض الجحادلة[2] من طريق الوادي فأتو الى بيت الشريف قايتباي وصاحوا وروعوا الناس، وفي الصباح توجه الشريف قايتباي ومعه بعض القواسة والأتراك وتبعوهم فأحاطوا بهم فهربوا ولم يقبض منهم الا على رجلين وقتلا وشنق أحدهما بدرب المعلاه[3].

وفي نفس السنة ٩١٠هـ شهر صفر في آخره أرسل الشريف بركات عبدين له لجماعة من عتيبة يأخذون منهم عادته الدائمة فقتلوا أحد العبدين ونجا الآخر.فأرسلوا إلى بني إبراهيم يخبرونهم بأن الشريف في قلة ويتفقون معهم على غزوهفظفربالرسول إما اتفاقاً أو قصداً من الرسول وبعدها غزاهم الشريف بركات وقتل منهم مقتله عظيمة وظفر بأموالهم[4].

وفي شهر جمادي الأول سنة ٩١٠هـ وصل الخبر إلى الشريف قايتباي أن هناك جماعة من عرب بني خالد أتوا على الشريف إبراهيم بن بركات بن حسن بن عجلان عم الشريفين بركات وقايتباي وأخذوا جميع ما معه من خيل ونقد وقيل إنها ألف دينار وغير ذلك ونجا بنفسه فلما وصل الخبر للشريف قايتباي وكان عنده موسى بن أبي بكرالذي كان خاصاً عند جازان فقبض عليه ووضع في رقبته الحديد وأرسله إلى القنفدة حتى يعود ما أخذه جماعته وأتى الخبر إلى الشريف بركات وهو في الشرق[5]. وفي يوم الجمعة تاسع

(١)عبد العزيز فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ، ص ، ١٣٥٢

(٢)الجحادلة : بطن من زبيد يلي الصحاف يسكن الدعجية وساحل ثول ، البلادي : معجم قبائل الحجاز ، ص ٧٩.

(٣) عبد العزيز فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ، ص ١٣٥٥.

(٤) عبد العزيز فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ، ص ١٣٥٧ – ١٣٥٨.

(٥)عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ، ص ١٣٦٣.

عشر هذا الشهر من سنة ٩١٠هـ بلغ الشريف بركات أن جماعة من عتيبة وصلوا مكة واشتروا قماش وسافروا به فأرسل لهم من اعترضهم بالجعرانة وأخذ جميع ما معهم فسمع بعض أصحابه وتوجهوا للشريف وصالحوا بينهم واستلموا القماش بعد مادفع له بعضاً من المال.[١] وفي شهر شعبان من سنة ٩١٠هـ قتل بعض المماليك ثلاثة رجال أحدهم قواس للشريف قايتباي والآخران من جماعة علي بن بركات ظناً منهم أنهم من زبيد وقالوا : لايمكن أن نجتمع نحن وزبيدوبنوا إبراهيم في فريق الشريف فقال لهم الشريف قايتباي البلاد ماتعمر إلا لحفظ الطريق وهؤلاء مسالمون وتم تسوية الأمر.[٢] وفي نفس الشهرمن شعبان من نفس السنة ٩١٠هـ بلغ أهل مكة وأهل جدة أن الشريف حميضة وجماعة من زبيد وبنوا إبراهيم تحركوا واتجهوا الى مكة فمنعهم يحيى بن سبع أمير ينبع ونصحهم بعدم التوجه ولكنهم رفضوا ومن ثم كتب كتاباً إلى الشمس القاري أحد كبار التجار في جدة يعلمه بوصولهم إلى مكة وجدة ويحذرهم منهم بأن مقصدهم النهب والسلب والخراب وبعد هذا المرسول استعد القاري هو والتجار المقيمين في جدة وحملوا معهم ما خافوا عليه وخرجوا من جدة وبلغ الشريف حميضة ما فعله تجار جدة فاتجهوا الى مكة فلما وصلوا إلى خليص أرسلوا رسولهم إلى المقرالأشرفي المملوكي في مكة يخبره أن الشريف حميضة قادماً إلى مكة وبيده مرسوم شريف لابد أن يقرأه ويعتمد ما فيه . وكان الشريفين بركات وأخوه قايتباي متواجدين في جهة اليمن ولم يعلما بحميضة والتقى حميضة بالمقر الأشرفي وطلبه المرسوم وأخبره حميضة أنه لم يكن معي مرسوما وأن السلطان لم يعزلني ونحن على ولايتنا السابقة وأخبرهم المقر أن هناك مراسيم وردت بولاية الشريف بركات والشريف

---

(١) عبد العزيز فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ، ص ١٣٦٥ .

(٢)عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ، ص ١٣٨٦ .

قايتباي . وحلفوا له مشائخ بني إبراهيم وأكابرهم أنهم لا يتعرضوا له ولا يتعرضوا للعباد والبلاد بسوء.[1] وكان الأشرفي المقر متخوفاً منهم فقال مالمقصود من حضوركم فردوا عليه أن مقصدهم الإقامة في مكة ثلاثة أيام وبعدها يتوجهوا الى اليمن فقال لهم : أن مثلكم هنا يحتاج مصروف وليس لدينا شيء وأن مكة ليس فيها شيء يشترى أو يباع ولا أكل ولا زاد.وأن جميع الميسورين خرجوا جميعهم إلى الجبال وإلى العربان المجاورة فردوا عليه أن معنا مايكفينا من الزاد وحلفوا له على المصحف الشريف بعدم الغدر والخيانة ثم بعد يومين طلبوا منه مبلغاً للشريف حميضة يصرفه على عسكره أويخلي بينهم وبين الناس في مكة فرفض ثم قامت حرباً بينهم قرب زمزم وبفضل الله انهزموا جماعة حميضة وقتل منهم أعداد كبيرة ثم هرب الباقين الى جدة ونهبوا مافيها وخرجوا منها.[2] وفي رمضان سنة ٩١٠هـ وصل قاصد من مصر ومعهمراسيم ومنها أن الولاية للشريف قايتباي ومعه بركات .[3] وفي آخر سنة ٩١٠ هـ حصل بين جماعة الباش وقواسة الشريف قايتباي خصاماً . بسبب معرفة جماعة الأمير لشيء أخذ من النهب بعرفة فخرج الشريف قايتباي بعد أن كان الحرب يلتحم بينهم واستطاع من وأد الفتنة واصلاح الأمر.[4] وفي ربيع الأول سنة ٩١١هـ أخذت من قرب مكة إبل لبني سالم[5] أخذها بعض الأعراب ففزع الشريف قايتباي في إثرهم

(١) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القري ، ج٣ ،ص ١٣٩٢

(٢)عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ،ج٣ ،ص ١٣٩٣ - ١٣٩٦

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣ ، ص ١٤٠٠

(٤) عبد العزيز بن فهد :بلوغ القرى، ج٣ ،ص ١٤٢٠

(٥) بني سالم : بطن من ثقيف بالطائف يسكن وادياً من روافد ليه الجنوبية . انظر البلادي : معجم قبائل الحجاز ، ص ٢٠٨

بعد أن ورده الخبر لكنهم فاتوه.[1] وفي شهر ربيع الثاني يوم الاثنين السادس عشر من سنة ٩١١هـ وصل الشريف قايتباي إلى مكة بسبب أن هناك بضائع وصلت من عدن إلى الليث ويريد أن يعقد مجلساً بسبب الأتراك أن يتوجهوا لجدة ولا يشوشون فيها . وتم عقد المجلس معهم وأذعنوا لذلك .[2]

وفي يوم الجمعة السابع عشر من نفس الشهر سافر الشريف قايتباي وشاهين الجمالي إلى عرب زبيد لغزوهم ثم لحقهم الشريف بركات وعسكره .[3] وفي مستهل سنة ٩١٢هـ ظفر السيد علي بن بركات بجماعة من زبيددخلوا في عشش جدة وكان معه جماعة من جماعة نائب جدة وشنقوا ماعدا اثنين من كبارهم أخذهم الشريف على عنده وهم في القيد ليفدون أنفسهم بالمال.[4] وفي ليلة الخميس الثاني عشر من شهر شعبان سنة ٩١٢ هـ وصلتتجريدة من مصر إلى ينبع وأنهم تقاتلوا مع بني إبراهيم وقتل بعضهم وهرب الباقون وأنهم نهبوا ماوجدوه وأحرقوا نخيلهم ويقال أن زبيد رجعوا إلى بلادهم وبعضهم توجه إلى العلا وأرسلوا إلى الشريف بركات والعسكر الذين بمكة وجدة ليحاصروا الذين هربوا.[5] وفي يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأول سنة ٩١٣هـ قتل مالك بن رومي الزبيدي وأولاده الثلاثة مقرض، وقادم، وداغر، بن رومي وولده جازان وغيرهم بجبل قرب الروحاء.[6] فإن الشريف بركات وجماعته

---

(١)عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ، ص ١٤٣٦

(٢)عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ،ج ، ص ١٤٤٥

(٣) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، ج ، ص . ١٤٥ ، ١٤٥١

(٤) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ،ص ١٥١٢

(٥) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ،ج٣ ، ص ١٥٤٣

(٦) الروحاء : قرية لمزينة تبعد عن المدينة ٧٥ كيلو وهي ليست عامرة سكانها من حرب وبها بئر انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ,ص ٧٦.

تبعوهم وظفروا بهم ولم يسلم منهم الا القليل.[1] وفي سنة ٩١٤هـ شهر ربيع الآخر وصلت تجريدة من مصر وفيها بعض المراسيم أولاها للسيد بركات وثانيها لقايتبايوثالثها للشافعي . وفي المرسوم الأول (أرسلنا لك خلعة وللسيد قايتباي وثالثة تلبسها من تريد ...)[2]

وفي يوم السبت الثاني عشر جمادى الآخرة سنة ٩١٤هـ جاء الخبر أن الشريف بركات وهو بالشرق أنهم غزوا عرب ناصرة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغنموا جميع ما معهم وهربوا الناجون وحزن الناس في مكة على القتلى[3].

وفي مقتبل سنة ٩١٥هـ من شهر محرم أرسل الشريف بركات وأخوهقايتباي الى باش المماليك السلطانية ينهيانه عما يفعله بمكة فقد استباح الناس ضرباً وسفكاً وتخويفاً وهم على العصيان ولكنه أشار عليه بعض خاصته بالإذعان وعدم المخالفة وما كان منه إلا الموافقة وأجاب بلطف وأرسل مملوكاً من جهته يعتذر لهما.[4] وفي شهر صفر سنة ٩١٥ هـ وصل إلى مكة الشريف قايتباي وعسكره ومعه بعض إخوته بنية التوجه إلى الشرق والغزو بها.[5]

وفي ليلة الجمعة السادس والعشرون من شهر ربيع الثاني سنة ٩١٦هـ وصل مكة السيد قايتباي بن محمد وفي ضحى يومها اجتمع هو والباش خاير بك تحت زمزم بالحطيم وقرئمرسومان واحد للسيد الشريف بركات محمد والثاني للسيد قايتباي مضمونهما(أنه وصلنا السيد عرار ومعه ما ارسلتموه بقائمة ،وأحطنا بذلك علما وليس

(١) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ص١٥٨٨

(٢) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى، ج٣ ،ص ١٦٢٩

(٣) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ١٦٣٨

(٤) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى، ج٣ ص ١٦٦٢

(٥) عبد العزيز بن فهد :بلوغ القرى ،ج٣ ، ص ١٦٦٨

لنا التفات إلى هدية ولا إلى غيرها ، والمقصود المساعدة في العمارة .....وأرسل المعمار يشكر منكم وأنكم أرسلتم له بعشرين جمل في العمارة ....) وذكر في مرسوم السيد بركات أن له خلعة ولولده خلعه .[1]

وفي سنة ٩١٦هـ شهر شعبان قام الشريف بركات بقتال جماعة من عتيبة قاموا بقطع الطريق على الناس واستصرخ عليهم العربان فدخلوا عليه بألفي أشرفي وثلاثمائة ناقة وكذلك أخذ رهائن منهم ثم سمح لهم بإطلاق سراحهم مقابل فدية .[2] وفي شهر ربيع الثاني من سنة ٩١٧هـ كان الشريف بركات بالحسمى .[3] فكان قد سافر مع الحجاج لحفظهم وتقابل مع بعض المفارجة وبني عقبة من زبيدوانتصر عليهم وغنم منهم غنائم ثم الجأهم إلى شعب أو جبل واستصرخوا عليه العربان وبقي في الحصار فطلبوا من الشريف الصلح فاشترط عليهم فرساً مشهورة وغيرها فرفضوا ولكنهم في النهاية وافقوا وكانوا قد كاتبوا أصحابهم بمصر فجائتهم مراسيم السلطان في الصلح بينه وبين يحي بن سبع وتم الصلح بينهما .[4] وفي نفس الشهر وصل الشريف قايتباي بن محمد إلى مكة من الشرق بعد أن غزا وغنم.[5] وفي شهر جمادى الاول في نفس السنة أ شيع أن الشريف بركات توجه لمصر إما قهراً أومقيداً لكون العرب قبضوا عليه وأرسل السلطان تجريدة وأخذوه لمصر فسمع العرب ذلك فأرادوا بعضهم بعضاً في الحرب. فسمع الأمير الباش في مكة بذلك فنادى منادي أن لايتكلم أحد بما لايعنيه.

(١) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ، ص ١٧٣٤

(٢) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ، ص ١٧٤٨

(٣) الحسمى : أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان يراها اهل تبوك غربهم . ارضها غليظة وماءها لاخيرفية انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ص ٢٧٦.

(٤) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ، ص ١٧٧٨

(٥) عبد العزيز بن فهد :بلوغ القرى ، ج٣ ، ص ١٧٧٩

وأن الشريف بركات بخير وعافية وأنه قادم إلى ينبع ولكنه تأخر بسبب جمالهم ضعيفة فصاروا يمشون على مهلهم وبأنهم سوف يصلون مكة قريباً فنادى الأمير الباش بالزينة سبعة أيام وعمت الأفراح في مكة بخبر قدومه.[1] وفي يوم الإثنين السادس عشر من شهر جمادى الآخرة ٩١٧هـ أراد الشريف عرار أن يسبق الشريف بركات إلى مكة ومعه مراسيم للناس فمنعه الشريف بركات ولم يسمع فلما اتجه إلى مكة قابله جماعة من عنزة[2] فقاتلهم وقتل منهم وقتلوه هو وأحد أصحابة وأخذوا ما معه من مراسيم[3] وفي آخر الشهر وصل الشريف بركات إلى مكة فعمت الأفراح والليالي الملاح أرجاء مكة وهذا دليل أن أهل مكة يحبون الشريف بركات وليس ذلك الا بسبب معاملته لأهلها المعاملة الحسنة . وفي آخر هذا الشهر توجه الشريف قايتباي بعسكره وخيل كثير لغزو عرب في الشرق يقال لهم ربيعة[4] وفي شهر ذو القعدة ليلة الأربعاء سنة ٩١٧هـ وصل الأمير الباش إلى مكة قادماً من جدة ولم ينتظم له الأمر فيها حيث كان الشريف قايتباي منعه من أخذ أموال الأعراب واشتكوه للدويدار في ينبع ولكن الشريف قال أنا أرد لهم جواب، فلما قابله في مكة أجبره على رد الإبل للأعراب وقيل بعض أغنامهم[5].

وفي عصر يوم الأحد يوم الواحد والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٩١٨ هـ توفي

(١) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ، ص ١٧٨٣

(٢) عنزة من اكبر القبائل العربية اليوم . تمتد شمن شمال الحجاز من خيبر حتى شمال شرق سوريا . وتنقسم عنزة الى ١ - بشر -٢- مسلم وينسبون الى عنزة ابن اسد ابن ربيعة ابن سعد انظر كحالة : معجم قبائل العرب ، ج٢ ،ص ٨٤٦.

(٣) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ،ج٣ ، ص ١٧٨٤ - ١٧٨٥

(٤) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى : ج٣ ، ص ١٧٩٠

(٥) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى ، ج٣ ، ص ١٨١٥

الشريف قايتباي بن محمد في مكة ووصلوا به إلى مكة محملاً على أعناق الرجال وجهز ببيته وخرجوا به إلى المسجد وأمام جنازته أخوه الشريف بركات وجماعة من أهل مكة وشيعه خلق كثير.[1] وعندئذ أرسلت السلطنة المملوكية بالتأييد للشريف بركات وأشركت معه ابنه محمد أبو نمي.[2]

رابعاً: الشريف بركات بن محمد وتوليه إمارة مكة للمرة الثانية (٩١٨هـ / ١٥١٢م)

أ - تمرد الأشراف وخروجهم على الشريف بركات (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م).

عندما تولى الشريف بركات الإمارة بعد وفاة أخيه قايتباي لم يكن ليرتاح كثيراً، فسرعان ما واجه القلاقل مثلما واجهها في المرة الأولى على يد الشريف هزاع؛ ولكن هذا الخروج وهذا التمرد كان أكبر، فقد ضمَّ التمرد إخوته الشريف راجح بن محمد بن بركات[3]، وأبو الغيث بن محمد[4]،

(١) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى .ج٣، ص ١٨٣٥ - ١٨٣٦

(٢) هو أبو نمي محمد بن بركات بن محمد بن بركات الحسني المكي، ولد تاسع ذي الحجة سنة ٩١١هـ شارك أباه في حكم مكة، كان والده يحبه كثيرا؛ لأنه بعد ولادته صفت الأمور لبركات، وكان يبدو عليه النجابة/ فأشركه منذ صغره معه في الإمارة، ثم عهد إليه بولاية العهد من بعده، فتولى إمارة مكة سنة ٩٣١هـ بعد وفاة والده، واستمر حتى وفاته سنة ٩٩٢هـ . دحلان: خلاصة الكلام، ص٤٩، الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٥٢. رغم تحفظي على عمره الصغير وإشراكه في الحكم.

(٣) هو راجح بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني الملكي، أمه شقراء بنت محاسب الزبيدي اليمني، تمرد على أخيه بركات بن محمد مع عدد من إخوته وأبناء عمومته سنة ٩٢٠هـ في شمال الحجاز. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٥٩٩، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص٩٢٨، ١٣١٨، ١٣٢٠،ج٣، ص ١٨١٧.

(٤) هو الغيث بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، أمه حبشية تدعى دام السرور، تمرد =

وقاسم بن محمد[1]، وأبناء أخيه محرم هزاع بن محمد بن بركات [2]، وزائر[3]، و ابن عمه أبو سعد[4] بن رميثة بن بركات بن عجلان صهر أبي الغيث، و تعاونوا أيضاً مع قبيلة الصيادلة ضد الشريف بركات[5] ، ويقال بأن الشريف راجح بن محمد هو السبب في خروج هؤلاء الأشراف وذلك لرغبته في الإمارة [6] ومحاولة الحصول عليها بكافة

= على أخيه بركات بن محمد مع عدد من إخوته وأبناء عمومته سنة ٩٢٠هـ في شمال الحجاز، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٤٧، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٢٨٢.

(١) هو قاسم بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، أمه حبشية تدعى دام السرور وتمرد على أخيه بركات بن محمد مع عدد من إخوته وأبناء عمومته سنة ٩٢٠هـ في شمال الحجاز عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٤٧.عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٢٨٢.

(٢) هو محرم بن هزاع بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي كان من أنصار عمه جازان وعمه بركات، وضع رهينة لدى أمير الحاج المصري سنة ٩٠٧هـ حتي يأمن الحجاج الهجوم عليهم من أنصار جازان. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٨١،١٢٨٠،١٢٢٢.

(٣) هو زائر بن هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي،من ضمن من شارك في الثورة ضد عمه بركات مع أخيه محرم وبعض أعمامه سنة ٩٢٠هـ عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٤٧، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٢٨٢.

(٤) أبو سعد بن رميثه بن بركات بن عجلان الحسني المكي، ابن عم بركات بن محمد بن بركات، شارك الأشراف في ثورتهم ضد بركات عام ٩٢٠هـ. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٤٧، عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٢٨٢.

(٥) قبيلة الصيادلة: بطن من قبيلة بني ابراهيم من قبيله جهينة تقع مساكنها على طريق المدينة المنورة من العميقة إلى السويق.انظر عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص٢٧٠، عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، ج٢، ص٦٥٧.

(٦) يدل على هذا أن راجح استطاع أن يقنع الأمير خاير بك المعمار باش الجند المماليك بمكة حتى أرسل إلى السلطة في مصر بطلب تعيين راجح أميراً لمكة بدل بركات، ولكن السلطة في مصر رفضت طلبه وأرسلت بخطاب تعاتبه على فكرته هذه. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٨٦٠.

السبل، ومن ذلك خروجه إلى مصر عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م لكي يشتكي أخاه بركات[١]. على أية حال علم الشريف بركات بما يحاك ضده من دسائس ومؤامرات قد تقضي في النهاية بإزاحته، ولهذا أعد قواته، وتقابل مع هؤلاء الأشراف، واستطاعت فرق القادة وأنصار بركات من أن يهزموا هؤلاء الأشراف والصيادلة ودحرهم، وبعد أن مني بالفشل ساروا جميعاً إلى مصر؛ حيث السلطنة المملوكية والسلطة السياسية في محاولة أخيرة لكسب الجولة في الصراع ضد الشريف بركات؛ محاولين أن يكيدوا بالشريف بركات عند السلطان، ولكن تحفظ عليهم السلطان وأرسل سريعاً يطمئن الشريف بركات عليهم، وأنه متحفظ عليهم[٢].وفي وقت قيام تمرد الأشراف كان هناك تمرد ثان بجنوب الحجاز يقوده سيسد بن محمد بن بركات[٣]، وفي هذا التمرد سعى هذا الشريف في لمِّ شتات بعض الأشراف في الجنوب. فقد تحالف معه أحمد بن دريب[٤] حاكم منطقة جازان[٥]، وكذلك

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٦٥٩.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٥٣،عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٢٨١، ابن اياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٣٨٣.

(٣) هو سيسد بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، خرج على أخيه بركات فى جنوب الحجاز سنة ٩٢٠هـ، وقبض عليه وأرسل إلى مكة. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٤٨، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٢٩٠.

(٤) المهدي بن أبي الغوائر هو الأمير أحمد بن دريب الحسني حاكم جازان في بداية القرن العاشر الهجري، ويدعى المهدي بن أبي الغوائر، ساند الشريف سيسد وأتباعه في تمردهم على حاكم مكة الشريف بركات، وأمدهم بما يحتاجون من الخيل وبعض المال. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٤٨، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣

(٥) جازان: اسم يطلق على البلاد التي مدينة جازان قاعدتها الإدارية وكانت تعرف سابقا بالمخلاف السليماني =

رميثة بن أحمد[1]، وكذلك القاسم بن أحمد بن رميثة[2]، والشريف علي بن أحمد بن رميثة [3]، وموسى ابن زويكي[4] شيخ منطقة سوادة[5] ، وكان الغرض من ذلك التمرد هو محاولة إصابة ذهن الشريف بركات بالتشتت ما بين ثورة الأشراف بالشمال وثورتهم الأخرى بالجنوب؛ وبالتالي سيؤدي ذلك إلى فشله في محاولة قمع أياً منهم،

= نسبة لأحد أمرائها وهو سليمان بن طرف الحكمي في القرن الرابع الهجري، وتمتد حدودها من شاطئ البحر الأحمر غرباً حتى حافة جبال عسير شرقاً، ومن خط الحدود المملكة واليمن جنوباً حتى وادي حلي شمالا. عبد الرحمن صادق شريف: جغرافية المملكة العربية السعودية، الرياض، دار المريخ،، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص١٣٧.

(١) رميثة بن أحمد بن أبي القاسم الحسني المكي، ابن عم الشريف بركات ساند سيسد في تمرده في المنطقة الجنوبية لمكة وقبض عليه وأرسل إلى مكة. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٤٨، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٢٩٠.

(٢) قاسم بن أحمد بن رميثة بن أبي القاسم الحسني المكي، ابن عم بركات وأخو رميثة، كان ممن ساند سيسد في تمرده في المنطقة الجنوبية لمكة سنة ٩٢٠هـ، وقبض عليه مع الأشراف، وحمل إلى مكة، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٤٨، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٢٩٠.

(٣) علي بن أحمد بن رميثة بن أبي القاسم الحسني المكي، ابن عم بركات وأخو رميثة، كان ممن ساند سيسد في تمرده في المنطقة الجنوبية لمكة سنة٩٢٠هـ، وقبض عليه مع الأشراف، وحمل إلى مكة .عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٤٨. عبد العزيز بن فهد غاية المرام، ج٣، ص٢٩٠.

(٤) موسى بن زويكي، هو زعيم قبيلة سواده، ساند الأشراف المنشقين على بركات بن محمد سنة ٩٢٠هـ، مع أمير جازان أحمد بن دريب، ودخل في معركة فظفر السيد إبراهيم بن بركات بهم بعد أن قُتل بعض جماعته، وقُتل شيخ سوادة موسى بن زويكي، وأسر الشريف سيسد، إلا أنه إطلق سراح الشريف سيسد سنة ٩٢٠هـ.انظر عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٤٨، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٢٩٠.

(٥) سوادة: هي عزلة من ناحية وصاب السافل، والمقصود هنا سوادة قرية من قرى الجعافرة قرب الساحل في منطقة جازان.محمد أحمد العقيلي: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية مقاطعة جازان، الرياض، دار اليمامة، ١٣٨٩هـ، ص٢٢٠، الحجري: محمد بن أحمد، مجمع بلدان اليمن وقبائلها، صنعاء، دار الحكمة، ١٤١٦هـ ج٣، ص٤٣٤، عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، ج٢، ص٥٦٣.

وضعف قوته، وبالتالي إمكانية إزاحته عن إمارة مكة المكرمة. وما أن علم الشريف إبراهيم بن بركات بن حسن بن بركات[1] بتمرد الأشراف وخروجهم على الشريف بركات حاول أن يتعامل مع ذلك التمرد، فقام وأعد قواته إلى جانب القبائل، واشتبك مع الأشراف ودحرهم وقبض عليهم، ثم أرسل إلى الشريف بركات يطلعه علماً بذلك، فصفح عنهم الشريف بركات[2].

ب – تأثير حركات التمرد والصراعات على السلطة على الأوضاع الداخلية العامة لمكة .

نتيجه لحالة التمرد والعصيان التي سادت إمارة مكة المكرمة لفترة من الزمن فإنها قد أثرت على تلك الإمارة وساعدت نوعاً ما فى تصدع أركانها، وقد أثرت تلك التمرادات عليها من النواحي كافة، وسنذكر منها البعض كما يأتي:

أ- أمنياً.

أثرت تلك التمردات التي قام بها الأشراف على طول فترة البحث من التأثير على النواحي الأمنية لإمارة مكة المكرمة، فنرى أنه عند حدوث تلك التمردات فمن الطبيعي أن تختل موازين الحالة الأمنية، وتصاب بالاضطراب، ويصاب الاستقرار بالاهتزاز، ويصاب الناس بالقلق والفزع؛ وذلك لخوفهم من قدوم ضعاف الإيمان واللصوص، وتهديد المدينة المقدسة، ومن الأمثلة على ذلك: ففى عام ٩٠٦هـ/

---

(١) هو إبراهيم بن بركات بن حسن بن عجلان الحسني المكي، أخو محمد بن بركات أراد مخالفة أخيه محمد بن بركات وانضم اليه جماعة، وتوجه بهم إلى جازان حاكمها وأصلح بينهما وبين الشريف محمد وعاد إلى الطاعة. السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٣٣.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٤٨، ١٩٤٩. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٢، ١٠٨.

١٥٠٠م عندما قام الشريف هزاع بالتمرد على الشريف بركات اضطرب الأمن في مكة، فاضطربت أحوال الناس، كذلك انقسمت القبائل على نفسها في الولاء ما بين الشريفين، وكان انتصار أيّاً منهم يعطي بعض السماح لقواته بالقتل والسلب والنهب، وهذا ما حدث، فبعد انتصار الشريف هزاع دخلت قواته مكة وأحدثت اضطرابات في الأوضاع الأمنية بالقتل والسلب والنهب، فنهبت الأسواق والمنازل والتجار(١). وعند دخول الشريف هزاع للمرة الثانية مكة المكرمة في ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م تدهور الوضع الأمني، حيث طلب الشريف هزاع أموالاً من التجار، وفي سبيل تحصيل تلك الأموال مرَّ أتباع الشريف هزاع بطرقات مكة، وحصلوا الأموال من كل تاجر، يقابل هذا ما فعله جنوده من سلب المنازل من الأموال والأمتعة والجواري(٢). وقد أدى هذا الأمر إلى ظهور اللصوص إلى جانب بعض جيش هزاع الذين قاموا بالنهب والسلب(٣). ومثال آخر: عندما دار الصراع بين الشريف جازان وبين الشريف بركات، وحاول الشريف جازان من الحصول على مساعدة أمير الحاج أصطمر فلقي الرفض، فما كان من الشريف جازان إلا أن اعترض ركب الحاج وسلب أموالهم وأمتعتهم(٤)، ومع

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٩. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٢، ١٠٨ يحي بن الحسينى: غاية الامانى ص٦٢٦. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٩٦. السنجاري: منائح الكرام، ج٣، ص١٠٨. مورتيل: الأحوال السياسية، ص١٦٣.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٩٣ - ١١٩٧.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ٢، ص١١٩٩.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٢٣. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٢٣، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٣٦. الجزيرى: الدرر، ج٢، ص٧٨٣. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٩٨.

استمرار دائرة الصراع بين الشريف بركات والشريف جازان تتواصل الحالة الأمنية في إمارة مكة المكرمة في التدهور؛ نتيجة ما يتعرض له الأهالي من سلب ونهب وقتل، وخاصة بعد دخول قوات جازان مكة عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م. وكان ذلك جزاء لمساعدتهم ودورهم الداعم للشريف بركات، فما كان من جازان عندما دخل مكة إلا أن قام بقتل كل من يعارضه، وقتل الأطفال والنساء والجواري والعبيد، وسلب المنازل والمتاجر، وكان ذلك من أعظم الكوارث التي حلت بمكة خلال تلك التمردات[١]. هذا وقد استمر ذلك الوضع الأمني المخلخل في التدهور أكثر باستمرار النزاع والصراع حتى بعد قتل الشريف جازان وتأجج الصراع والنزاع بين الشريف بركات والشريف حميضة في عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م، وعندما دخل الشريف حميضة مكة وعلم الناس بقدومه قاموا بتوزيع أغراضهم وأموالهم حتى لا تنهب، ولجأ التجار بأموالهم إلى أهالي البادية يحتموا بهم[٢].

ب- دينياً.

وكان للصراعات بين الأشراف دوراً في التأثير على الوضع الديني لإمارة مكة المكرمة، ويتمثل هذا الدور في أن هذه التمردات كانت متزامنة نوعاً ما مع وصول ركب الحاج؛ سواء المصري أو الشامي، أو أياً كان، وبالتالي متزامناً مع موسم الحج، وسبب قيام هذه التمردات إعاقة الحجيج عن تأدية بعض المناسك نتيجة للغارات،

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٥٣- ١٢٦٤، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٣٥، ابن اياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٤٧. الجزيري: الدرر، ج، ص٧٨٦. السنجاري: منائح الكرم، ج٣. ص١٣٣. ابن ظهيرة: الجامع اللطيف. ص٢٨٢. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٩٩. الطبرى: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٠٩.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٣٧٤،١٣٩٣،الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٩.

والذي ترتب على ذلك أيضاً لجوء البعض إلى السحر والشعوذة في سبيل درء ذلك التمرد والصراع بين الطرفين، ومما يؤكد ذلك أن الشريف هزاع حينما دخل مكة سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١ عند انتصاره على الشريف بركات قام بشنق ابن الأحمر اليمني[١]، حيث يقال أن ذلك الرجل عمل للشريف هزاع سحراً، وكان معروفاً عن هذا الرجل قيامه بتلك الأعمال، وكان مقيماً عند بركات بن محمد[٢]، وفي نفس العام تم سجن امرأة تركمانية[٣] قد فعلت مثلما فعل بن الأحمر اليمني من عمل سحر لهزاع[٤]، وهذا بدوره يبين مدى خصوبة تلك المنطقة لخروج مثل هذه الأمور المحرمة من ضعاف الإيمان والعقول.

جـ- اجتماعياً.

وعلى الصعيد الاجتماعي أثرت تلك التمردات والصراعات بين الأشراف وربما أدت لتغيرات في الميزان الاجتماعي. ومثال على ذلك أثناء الصراع بين الشريف بركات والشريف جازان عام٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، وعند دخول الشريف جازان مكة انتقم من أهلها لموالاتهم للشريف بركات، وانتقم منهم، وخاصة العلماء الذين أفتوا بجواز

---

(١) ابن الأحمر اليمني: كان يقال عنه أنه يضرب بالرمل، وهو من أعمال الشعوذة، وقد كان يقيم عند بركات بن محمد أثناء الخلاف بين الأخوين هزاع وبركات، وأمر بشنقه في يوم الجمعة الواحد والعشرين من جمادى الأول، متهماً إياه بالسحر وأنه قد سحره. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى. ج٢، ص١١٩٢.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٩٢.١٢٩٣

(٣) قدمت هذه المرأة إلى زوجة عياف بن محمد بن علي بن حسن بن عجلان، هيف بنت محمد بن بركات، وقامت بإخراج مشاقا ـ قلم سريع الجرى في القرطاس ـ وغيره من أدوات، وأحضر لها قارورة بها ماء فقامت بعمل سحر حتى صار الماء دماً، فلما تحقق منها ذلك ضربها عياف بن محمد على خشمها حتى سال الدم، وأرادوا شنقها، ثم أمر بحبسها . عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٩٧ .

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٩٧،١١٩٨

محاربة جازان[1]. وقد كانت هذه التمردات تؤدي إلى نوعٍ من الهجرة السكانية، وذلك خوفاً على أنفسهم وعلى أرواحهم، والدليل على ذلك في عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، وذلك أثناء تمرد الشريف جازان ودخول قواته إلى مكة خاف أهل مكة على أنفسهم وحاولوا الفرار صوب المدينة المنورة وجدة؛ ولكن واجههم الشريف جازان بأن أمر بقتل ونهب كل من سافر[2].

وهذه الصراعات قد أثرت على المجتمع المكي من حيث أوضاعه الاجتماعية، وما تعرض له أهل ذلك المجتمع من القتل والأسر والتشريد، وعلى الرغم من عدم وجود أرقام إحصائية تبين حجم ذلك إلا أنه في عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢ وفي الروايات كان هناك نوع من التهويل في عدد من قُتل ومن أُسر ومن شُرِّد، ومر مواقف أهل مكة مذلك ربما تأييد أهل مكة للشريف بركات[3].

د- اقتصادياً.

لم تكن الأوضاع الاقتصادية بمنأى عن تلك الصراعات؛ بل كانت لها آثارها الوخيمة؛ ولاسيما على التجارة في تلك المنطقة، والذى ساعدها في ذلك الموقع الجغرافي

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٦٤ - ١٢٦٨. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص١٣٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٤٧. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٩٩. السنجاري: منائح الكرم. ج٣، ص١٣٣.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢: ص١٢٦٥،١٢٦٤، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٣٥. ابن اياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٤٧. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٦.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٦٤ - ١٢٦٦ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٤٧. الجزيرى، الدرر، ص٧٨٦. ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٢٨٢. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٨٤ - ٢٨٦. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٣٣. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٠٨-٣٠٩.

لتلك التجارة التي تأثرت كثيراً بتلك االصراعات، ومثال على ذلك: نتيجة لانتصار الجنود في بعض الصراعات إنهم قاموا بنهب الأسواق والتجار ونهب الأموال، وهذا بدوره كان يؤدي إلى الضعف الاقتصادي. فعندما استطاعت قوات الشريف هزاع بن محمد من الانتصار والسيطرة على الشريف بركات عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م دخلت مكة وقامت بأعمال السلب والنهب حتى ضجر الناس بهذه الأعمال ذرعاً، واشتكوا إلى الشريف هزاع بذلك(١).كذلك عندما تحقق للشريف هزاع الاستقرار في مكة قام بالاستيلاء على أموال التجار، وذلك للوفاء بالتعهدات التي تعهد بها لمن عاونه في انتزاع إمارة مكة(٢). وما زاد الطين بلة أن الشريف بركات وفي محاولة منه في درء ذلك توجه لجدة في العام نفسه، وهاجم قافلة تجارية كانت في طريقها من مكة إلى جدة، ثم اختتم ذلك بأن نهبت جنوده مدينة جدة(٣). هذا وقد تضررت أطراف مكة والحجاز من تلك الصراعات الدائرة بين الشريف هزاع والشريف بركات، حيث كانت تلك المناطق عرضة للسلب والنهب من قبل اللصوص، ولذلك مكث أهالي تلك المناطق فيها لحمايتها من اللصوص؛ مما أدى إلى قلة جلب القوت، وبالتالي أدى إلى غلاء

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٧. يحيى بن الحسين:غاية الأماني، ص٦٢٦. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٨. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٩٣.

(٢) عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٩٤. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٦. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص ٢٨٤-٢٨٥. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٧٨. الطبري: اتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٩٠.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص١١٦٧. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٦. الجزيري: الدار، ج٢، ص٧٨٠.

الأسعار وانعدام السلع الغذائية[1]. وعندما انتصر الشريف هزاع على الشريف بركات للمرة الثانية في عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م قام الشريف هزاع بطلب الأموال من تجار مكة، وإلا سوف يكون مصير مكة ومصير تجارها هو السلب والنهب، فما كان من التجار إلا أن رضخوا لأمر الشريف هزاع، واتفق التجار معه في أن يحصل هو على نسبة معينة يدفعها كل تاجر على حسب تجارته[2]، ولم يقتصر الأمر على ذلك؛ بل عاث رجال الشريف هزاع فساداً في مكة، فسلبوا المنازل والناس و أموالهم وأخذوا الجواري[3]. لم يتوقف الأمر عند ذلك، فعندما تولى الشريف جازان سدة الحكم عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م قام بفرض الأموال على الناس في مكة تؤخذ من بيوتهم إلى جانب الاستيلاء على تركة الغرباء، ولم يكتف بذلك بل قام بنهب مدينة جدة وأخذ أموال من تجارها[4]، ولم يقف الأمر على ذلك، فعلى الرغم من خروج الشريف جازان من مكة وجدة إلا أن الوضع كان فى طريقه للانهيار، حيث قدم الشريف بركات وطلب من التجار المال للوفاء هو الآخر بالتزاماته لأتباعه، وفي مقابل ذلك وافق البعض ورفض البعض الآخر، الذين كان مصيرهم السجن[5]. هذا، وقد استمر ذلك الحال المتمثل في محاولة استنزاف التجار، فما أن انتصر الشريف جازان على الشريف بركات حتى اقتات من الناس عامة والتجار خاصة أموال[6] وبهذا تعد تلك الحركات الثورية التمردية من

---

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٩٣. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٢.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٩٣.

(٣)عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢، ص ١١٩٧.

(٤)عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢، ص١٢٠٥.

(٥)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٠٧. عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٣، ص١١٢.

(٦)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٣٨أ١٢٣٩. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٤٧.

أكثر الحركات تدميراً للاقتصاد المكي، فقد عانى الكثير من التجار من أثر تلك الحركات[1] ، وقد زادت الصراعات من معاناة مكة وتعرضها لأزمات اقتصادية، والسبب في ذلك إضافة لما سبق خوف التجار من خارج مكة القدوم إليها للتجارة؛ لأنه بالتالي سوف يكون عرضة للنهب والسلب. وخلال الصراع الدائر بين الشريف جازان وهزاع ضد الشريف بركات عام٩٠٧هـ/ ١٥٠١ قام أتباع كل منهم بنهب أسواق البلاد والمحلات التجارية، ويكسرون أبواب ودكاكين الحب والسمن ويذهبون بما فيها[2]. وكان ذلك يؤثر في السكان، فنهب مثل تلك الأماكن في مكة وعدم وصول الموارد البديلة يساعد في حدوث أزمة اقتصادية، من ارتفاع أسعار المواد الغذائية. وقد كان لعسكر كلٌ من الأشراف دورٌ في تأجج مثل هذه الأزمات، فعلى سبيل المثال في عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، وبعد انتصار الشريف جازان على الشريف بركات كان رجال الشريف جازان يعترضون سبيل القوافل التجارية القادمة لمكة، ويشتروا ما بها بالسعر الذي يريده جنود جازان ثم يبيعون للتجار بالسعر الذي يريدونه[3] ، وهذا يدل على مدى الجور والظلم الذى يتعرض له التجار من قبل الشريف جازان وجنوده. وخلال عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م، وأثناء دخول الشريف حميضة مكة فرَّ الكثير من التجار والأهالي وارتموا في أحضان رجال البادية؛ خوفاً من السلب والنهب، وهذا بدوره ساعد على ارتفاع الأسعار وقلت الأقوات[4] ، والأمثلة

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٩.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٩٨، ١٢٣٠. يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص٦٢٦.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٣٧.

(٤)عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٣، ص١٣٧٥.

كثيرة على تعرض الأوضاع الاقتصادية للتدهور، فمنها في عام ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م اختلف أمير مكة محمد بن بركات مع أهل الفرع(١)، ولهذا قام بالهجوم عليهم وقام بتقطيع نخيلهم والتي بلغت ما يربو على ٤ آلاف نخلة(٢)، و الإشارة الاقتصادية في ذلك النص أن قطع مثل هذا العدد الكبير من النخيل كان بالتالي سينعكس أثره الاقتصادي على سكان تلك المنطقة والمناطق المجاورة. كذلك ففي عام ٩٠٧هـ/ ١٣٠٩م قام أتباع الشريف جازان بالتعرض لركب الحاج والتعدي وقتل من كانوا به(٣)، والسبب هو تجبر أمراء مكة في فرض المكوس على الحجاج وعلى كل ما يصل إليها من سلع وبضائع وخلافها(٤)وهذا يعني حدوث أزمة اقتصادية ناتجة عن سرقة

---

(١) الفرع: بضم أوله وسكون ثابتة وآخره عين مهمله، وهو جمع للفرع مثل سقف سقوف، وهو قرية من نواحي المدينة المنورة على يسار السقيا بينها وبين المدينة ثمانية بُرد على طريق مكة، وقيل أربع ليال، وهو قرية غنية بالنخيل والمياه، وهي لقريش الأنصار مزينة. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ح٤ ص ٢٥٢، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ح٧ ص ٤١-٤٧.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٢٢٧. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام،ج٢، ص٤٥٠.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٢٣، ١٢٢٤. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١١٢. ابن اياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٣٥، الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٢.

(٤) فرض حكام مكة في أغلب الأوقات مكوساً على حجاج بيت الله الحرام وهى ضريبة يؤدونها عند قدومهم إلى الأماكن المقدسة، . ابن جبير، (أبي الحسن محمد بن أحمد الأندلسي البلنسي): رحلة ابن جبير، مصر، دار المعارف،١٩٩٥م ص٥٧،٣٠، سبط ابن الجوزي(أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي): مرآة الزمان، الهند،دائرة المعارف العثمانية، ١٩١٥م ج١، ص٣٣٨. أبوشامة(أبي محمد عبد الرحمن إسماعيل المقدسي): الذيل على الروضتين،بيروت، دار الجيل،١٩٧٤م ج٣، ص٩. النويري(أحمد عبد الوهاب): نهاية الأرب،القاهرة، دار الكتب، ١٩٨٥م ج٢٨، ص٣٦٥. الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٣٤١. المقريزي (تقي الدين إحمد بن علي): السلوك لمعرفة دول الملوك،تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، دار الكتب، ١٩٥٨م، ج١، ص١٧٤، عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص ٩٦-٩٧.

مال الحجاج، وحرمان الأسواق من البضائع التي كانوا يحملونها؛ مما أصاب الوضع الاقتصادي لإمارة مكة المكرمة بالتدهور. ولذا فإنه عندما يحسم أي أمير أمر التمرد والصراع لصالحه؛ فإن هذا يكفيه إيذاناً بعملية زيادة فرض المكوس على التجار في سبيل الحصول على أكبر قدر من المال للوفاء بالتزامات هذا الشخص لأتباعه وجنوده. وهذا الأمر من الأمور الخطيرة التي أضرت بالاقتصاد المكي؛ إذ ساعد ذلك الأمر في تقليل تردد التجار على مكة وبالتالي جر إمارة مكة إلى السقوط في أوحال هذه الأزمات، وقد حاولت السلطة السياسية منع الأشراف من فرضها. ومثال على ذلك في عام ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م قام الشريف محمد بن بركات بفرض المكوس والضرائب على الحجاج. فقامت السلطنة المملوكية خاصة السلطان قايتباي بالتقصي عن ذلك الأمر وسببه، ولهذا قام الشريف محمد بن بركات بالاعتذار للسلطنة المملوكية عن ذلك، وأن من قام بذلك الأمر هو بعض العسكر(١)، وفي هذا الأمر قامت السلطنة المملوكية بأن أمرت الشريف محمد بن بركات بعدم الإقدام على مثل ذلك الأمر(٢). هذا، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن المتمردين والمتنازعين على السلطة كثيراً ما كانوا يستولون على أموال الصدقات التي ترد إلى مكة، وهذا بدوره كان يؤثر على الأوضاع الاقتصادية، فانعدام تلك الأموال يؤثر على السكان البائسين. ومثال ذلك في عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣

---

(١) كان عسكر الشريف محمد بن بركات عنيفين في تعاملهم مع الناس لجمع ما هو مخصص للشريف من الصدقات والرسوم، حتى أنه في عام ٨٨٧هـ شكوا في أخذ أمناء الصدقات الواردة إلى مكة بأن اختلس منها لنفسه، فضربوه ضرباً مبرحاً حتى مات. عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج١ .ص ٢٠٧. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٥٣٨.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٢٠٧.عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٥٣٨.

وأثناء قيام الدولة العثمانية[1] بإرسال أموال صدقات إلى مكة تقدر بحوالي ١٠٠٠ دينار قام الشريف حميضة بن محمد بالاستيلاء عليها، وذلك لدفع ما تم الاتفاق عليه مع أخيه بركات[2].

(١) كان سلاطين الدولة العثمانية وكبار رجال الدولة يرسلون إلى مكة المكرمة، وكانت تسمى صدقات الروم. النهروالى: الإعلام، ص٢٦٩.أحمد السباعي: تاريخ مكة المكرمة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، دار مكة المكرمة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج٢، ص٣٤٣.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١٣٣٤. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٧١.. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٥٣.

خامساً: علاقة أشراف مكة بالقبائل:

أ- الشريف محمد بن بركات وعلاقاته بالقبائل:

تميزت منطقة البوادي الحجازية بسوء أوضاعها الاقتصادية، والناتجة عن قلة سقوط الأمطار عليها؛ وبالتالي اعتمدت القبائل في حياتها على السلب والنهب، ولهذا تعرضت القبائل للقوافل التجارية أو قوافل الحج، فعلى سبيل المثال، في شعبان من عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م قام جماعة من بني رميثة[١] وذهبوا إلى معبد[٢] واشتروا من سكانها تمراً بقدر ثلاثمئة دينار، وهم في طريق عودتهم إلى مكة هجم عليهم جماعة من بني سليم[٣] عند عسفان، وقتلوا منهم جماعة، وأخذوا ما معهم من تمر[٤]. ثم هاجمت بعضاً من قبيلة الكباكبة[٥] على جماعة من هذيل وقتلوا منهم

---

(١) بني رميثة: بطن من ذوى حسن الأشراف، ويقطن بعضهم جنوب الليث. عاتق البلادى: معجم قبائل الحجاز، ص١٨٢.

(٢) معبد: وهى ما أشتهر في كتب التاريخ بخيمتى أم معبد، مزارع عشرية من قديد شرقي الطريق (الجادة) المزفتة من مكة إلى المدينة بلصق ثنية المُشلل، منها ترى من بالثنية شمالاً بشرق، وهى منسوبة إلى أم معبد الخزاعية، المرأة التي ضيفت رسول الله ﷺ في هجرته إلى المدينة المشرفة. عاتق البلادى: معجم معالم مكة، ص ١٩١.

(٣) بني سليم تنقسم إلى فرعين كبيرين هما: حبش وفتية، وتتفرع حِبش إلى: المحاميد، والجولات، ووديعة، وتتفرع فتية إلى: ربيعة، وحليل، وراشد، ومنازل سُليم اليوم وادي ساية وستارة بين مكة والمدينة، وهي قبيلة متوسطة الحجم بل صغيرة إذا قيست بقبائل حرب وعتيبة. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٢١٦.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١ ص، ١٦٠ -١٦١.

(٥) الكباكبة: عرب من هذيل ينتسبون إلى جبل كبكب، وهو جبل أسمر ضخم خلف عرفات، يقع شرق مكة، وعلي قرابة ٢٧ كيلو، ويرتفع عن سطح البحر ١٧٥٠متراً، يقع بين وادي نعمان جنوباً وجنوب =

ونهبوهم [1]، واستطاع الشريف بركات أن يرد عهم فقد أرسل بعض جيشه إلى الكباكبة واستطاع من هزيمتهم وأجبرهم على طلب الصلح والامان .

وفقاً لطبيعة مناطق الحجاز والتي تميزت بالتفاوت الاقتصادي فمنطقة القبائل نجدها تعاني من الجوع والفقر؛ وذلك على خلاف المناطق الأخرى والتي اتسمت بالاستقرار والرخاء والازدهار [2]. ولهذا كان الفعل ورد الفعل هو السائد في المنطقة، فنتيجة للظروف الطبيعية المتمثلة في قلة سقوط الأمطار، والظروف البشرية المتمثلة في استيلاء كبار الموظفين لعوائد القبائل أصبحت القبائل فيها عناصر متمردة يمكن أن تؤثر على سير الأحداث السياسية في إمارة مكة؛ لذلك عمل الأشراف على سحقهم وإخضاعهم لسيطرتهم الخاصة ، وبذلك يدرؤون أنفسهم وقوافلهم وتجارتهم من غارات تلك العناصر. وبعد أن استقر الشريف محمد بن بركات في إمارة مكة حاول أن يحقق نوعاً من الاستقرار الداخلي؛ مما يؤثر بدوره على الوضع الخارجي، ولهذا قام الشريف محمد بن بركات بمحاولة إخضاع القبائل المناوئين والمعارضين له في سبيل توطيد حكمه، إضافة إلى الرغبة في بسط النفوذ وزيادة الهيبة والثراء؛ لذلك توجه الشريف محمد بركات إلى غزو قبائل الحجاز وإخضاعهم لسلطته. ففي عام (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م) قام بتوجيه غاراته صوب قبيلة مطير[3]، لكنه لم ينل منهم شيئاً، فلما

= شرق، ووادي عرنة غرباً، وحنين شمالاً، ويشرف على أرض المغمس من الشرق، وطوله حوالي ٣٠ كيلو، وتنحدر منه أودية كثيرة، منها ذو المجاز في عرنة، وثنية والوصيق جنوباً وبرم في نعمان. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٤،ص ٤٣٤، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٧ ص ١٨٤ .

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص٨٧٥ـ ٨٧٦. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٥٧٩ – ٥٨٠ .

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١ ص ٨٧٨، عبد العزيز بن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٦١٧ .

(٣) مطير: قبيلة من كبريات قبائل الجزيرة العربية اليوم، ذات فروع وبطون متعددة. كانت ديار مطير إلى القرن =

كان من أفراد هذه القبيلة فما إن سمع المطران بقدوم الشريف بركات حتى لاذوا بالفرار[1]. وفي شهر صفر من العام التالي عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣ قام الشريف محمد بركات بإيفاد ولديه: بركات، وهزاع صوب وادي نخلة[2] لمنازلة عرب الحنيش[3]، وقد خلص ذلك الأمر بتأديب عرب الحنيش وإخضاعهم لحكم الشريف محمد بن بركات[4].

أخذ الشريف محمد بن بركات في السيطرة على الحجاز، فعقد الصلح مع القبائل، ووثق أواصر علاقته بهم، كما أعلن الحرب على نفر منهم، كما يقول عبد العزيز بن فهد: " وحصل بينه وبين بني إبراهيم صلح " [5]، ولكن سرعان ما كان ينقض عرب بني إبراهيم أي صلح؛ نتيجة لظروف معيشتهم الصحراوية، فأعلنوا راية التمرد على سلطة الشريف محمد بن بركات، مما دفعه للخروج إليهم يوم الجمعة ١١ من شهر جمادي الأولى عام ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م، وكانوا يسكنون حول ينبع – ممر الطريق

= الحادي عشر الهجري سفوح حرة الحجاز الشرقية، ممتدة بين المدينة وعقيق عشيرة. البلادي: معجم القبائل، ص٤٩٨- ٥٠٠. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٢٠١.

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٢٠١.

(٢) وادي نخلة: بعضه يعرف بنخلة الشامية، وبعضة يعرف بنخلة اليمانية، والمقصود هنا نخلة الشامية، وهي تبعد عن مكة ليلتين على طريق اليمن، وهو وادي كبير. انظر. جار الله بن فهد: حسن القرى في أودية أم القرى، ص ١٢. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٤٣٠. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ح٩، ص ٤١-٤٢ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٢٧٧.

(٣) الحنيش: هو الجبل المسمى حَيضاً، وهو من جبال السراة وقيل حنيش جبل بنخلة قرب مكة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤١٢.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٢٥٢، ٢٥٣.

(٥) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٤٣٤.

التجاري والحجاج - فتلاقى معهم بالسويق [1]، وكان النصر حليف الشريف محمد، وولَّى بنو إبراهيم الأدبار، وقتل منهم – يومئذ - نحو الأربعين رجلا [2]. ثم أمعن الشريف محمد في الكيد لهم، كما يقول العز عبد العزيز: " حيث أرسلت ورقة لأهل خيبر[3] ألا يؤوهم، وأن ينهبوهم، ويقتلوهم"[4] ، وعلى الرغم من رضى السلطان قايتباي على الشريف محمد بن بركات، إلا أن القبائل كثيراً ما كانت تقلق مضاجع السلطة الحاكمة، من خلال التعرض لقوافل الحجاج، وزعزعة أمنهم، وقد استطاع الشريف محمد بن بركات على كسب وتأييد الكثير من القبائل المجاورة لمكة ، تارة بالصلح وعقد المواثيق، وتارة أخرى بالحرب والقتال، للقضاء على المتمردين منهم، فأمر القائد مفتاح البوقيري – وهو من كبار عبيد السيد الشريف محمد – بالسفر يوم السبت ٣ محرم ٨٩٤هـ - ١٤٨٨م، ومعه جماعة من العسكر، وضم إليه جماعة أخرى من مكة، من ذوي الأصول العربية، وأعطاهم سلاحاً، ومأكلاً، وخرج بهم لحرب عرب آل جميل [5] القاطنين بالغرب من عرفات، وحاولت آل جميل استمالة أعداء الشريف محمد؛ لخوض الحرب ضمن صفوفهم، إلا أنهم رفضوا، وما أن وصل القائد

(١) السويق، تصغير سوق، وهي سوق في ينبع النخل كانت سوق عامرة قرب سُويقة، ولا زالت تلك السوق عامرة وتعتبر قاعدة ينبع النخل. عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٤، ص ٢٥٥.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٤٣٤.

(٣) خيبر، ناحية علي ثماني بُرود من المدينة لمن يريد الشام، وتشمل علي سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، ولفظ خيبر بلغة اليهود هي الحصن، وقد فتحها النبي صلي الله عليه وسلم عام ٧هـ / ٦٢٨م . وفي عهد عمر بن الخطاب أجلي اليهود منها. انظر ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج ٥ ، ص ٤٠٩ – ٤١١.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٤٣٥.

(٥) آل جميل: أحد فرعي هذيل، فيه فروع عديدة متناثرة، وكل قبائل جميل تسكن وادي نعمان وجنوبه. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٩٢ – ٩٣.

مفتاح البوقيري، حتى وجد قبائل عرب جميل متحصنين بأعلى الجبل، فترك حامية تحت الجبل، وخرج للاستعانة بأهل مكة وما بها من قبائل ليسير بهم إلى أعلى الجبل، ويخرب كرما- بستان- لهم بالحجاز، وما إن علم آل جميل بتلك التحركات، نزلوا على الفور من أعلى الجبل، وقاموا بالهجوم على القوة المتحصنة تحت الجبل، وقتلوا منهم عددا كبيراً، وقبضوا على من نجا منهم؛ إلا أن عرب جميل قاموا بإطلاق سراح هؤلاء الأسرى – بعد ذلك – كرامة للشريف محمد، وتسمى هذه الغزوة بغزوة مراوة. [1]
ويقول عبد العزيز بن فهد عن تلك الغزوة: "وجاء الخبر إلى مكة ليلة الجمعة ثامن المحرم ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م، فحصل الضجيج والبكاء من نواحي مكة على المقتولين. فبلغ ذلك الشريف محمد بن بركات، فأمر بخمسين فارساً ملبسة من خيله، وثلاثمئة راجل، وجميع عرب الدار، كقريش، وخزاعة[2]، وبني أسلم وهو فرع من حرب، وأمرهم أن يرحلوا بأهلهم إلى تحت جبلهم، ويقيموا هناك، إلى أن ينزلوا على حكمهم

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٥٤٤- ٥٤٥. ومراوة جبال حجر عالية على ظهر السراة جنوب الحيلة، تلي جبال غفار من الجنوب في ديار هذيل، ماؤها الغربي في وادي الضيقة في نعمان، والشرقي وادي الضحياء في وج، والسرب في الغديرين ثم المحرم فنخلة. انظر عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨ ، ص ٨٩.

(٢) خزاعة: قبيلة عريقة شغلت حيزاً من تاريخ الحجاز، ووليت البيت الحرام زمناً، واختلف في نسبها، فقيل: أنهم من عدنان، وقيل من ولد الصلت بن النضر بن كنانة. وسميت خزاعة لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمر الظهران فأقاموا به، وقيل خزاعة من قحطان، وفي أخبارهم وتاريخهم اختلاف كثير، وقد ملأت خزاعة المنطقة الممتدة من جنوب غربي مكة إلى قرب وادي الصفراء في شريط تهامة ممتد علي جانبي الطريق العام بين مكة والمدينة، ومن بطونهم الكثير. للمزيد انظر عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ١٣٥ – ١٤٠.

أو يقاتلوا، أو تفن أزودتهم وينزلوا للقتال أو غيره [1]، واستمر الحصار إلى شهر رجب عام ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م، ثم هجمت قوات الشريف محمد بن بركات على عرب آل جميل ، وقتلوا منهم الكثير، وقبضوا على الباقي [2]؛ إلا أن عرب آل جميل قاموا بإعادة تجميع ما بقي من قواتهم عند مراوة فوق الجبل، في انتظار من يأتي من جيش الشريف محمد طلباً للماء، وما إن وصل الجيش حتى هجم عليه آل جميل، ودارت رحى الحرب بين الطرفين، وانكسر عرب جميل في تلك المعركة، وفرَّ منهم من استطاع الفرار، وطلبت آل جميل الصلح عن طريق علي بن سالم شيخ آل جميل، ومعه ابن أخيه زيد بن سالم ؛ إلا أن الشريف محمد رفض طلبهم في المرة الأولى، وبعد عدة محاولات من عرب جميل، صالح الشريف محمد آل جميل على مال، فتوقف القتال [3] ؛ إلا أن آل جميل لم تستسلم أو ترضخ للشريف محمد – على الرغم من ذلك الصلح – فقاموا بالسطو على بعض جمال عرب خزاعة، وأوقعوا الرعب في القبائل الأخرى؛ مما دفع الشريف إلى إرسال مفتاح البوقيري مرة ثانية لتأديب آل جميل [4]. فلم يجدوا مفراً إلا طلب الصلح من الشريف محمد. يقول العز عبد العزيز واصفا تلك الأحداث: " وفي يوم الجمعة ١٥ شهر المحرم ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م جاء إلى مكة، قمامة – وهو أحد أفراد بني جميل – ودخل على قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبي السعود بن ظهيرة، وطلب منه التوسط لدي الشريف محمد ليقبل منه ومن جماعته طلب الصلح، على أن يدخل هو وجماعته

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٥٤٥- ٥٤٦.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١،ص ٥٧٧.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٥٨١ – ٥٨٣.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١،ص ٧٦٤.

في الطاعة على حسب ما يطلبه السيد الشريف.. فجاء الخبر بأن ينادي له هو وجماعته بالأمان" [1]، كما صالح الشريف محمد عرب العلويين[2] المتحالفين مع عرب آل جميل، فوقع الاتفاق معهم على ألا يعينوهم، أو يسيروا عليهم، وحلفوا على ذلك عند الحجر الأسود [3]. وكما ذكرنا – آنفاً – في أن العامل الاقتصادي كان هو السبب الرئيسي في تمرد القبائل على السلطة الحاكمة، فقد كان العامل الاقتصادي سبباً رئيساً في تمرد قبائل عرب بني لام[4]، كما يقول عبد العزيز بن فهد : "في ليلة الثلاثاء – حادي عشر من شهر رجب عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م – وصل إلى مكة المشرفة صاحبها السيد الشريف محمد بن بركات، وأولاده، وعسكره، يقصد التوجه إلى الشرق، لأجل غزو عرب من بني لام – بلادهم بمحله – وقصدوا أن يربعوا ببلاد الشريف" [5] ، إلا أن الشريف تصدى لهم هو ومن تحالف معه من القبائل، مثل قبائل بني حسين [6]، مما زاد من قوة الشريف محمد، الذي استطاع هزيمة بني لام، وغنم منهم الكثير من الغنائم [7]، وكان

---

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص ٧٧٥.

(٢) عرب العلويين: فرع من العطيات من بني عطية قرب تبوك. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص٣٤٧.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١،ص ٥٦٧.

(٤) بني لام: بطن من طيء، وهم بنو لام بن عمر بن علية بن مالك بن جدعان بن ذهل بن دومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طيء ومنازلهم بين المدينة وجبل طيء، وقيل هم من بطن بجيلة من طيء من زيد من كهلان من القحطانية، وكانوا ذوي منعة وقوة. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٥٢١،عاتق البلادي: معجم القبائل، ص٤٥٢.

(٥) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص ٨٨٥.

(٦) بني حسين، بطن من ذوي بركات الأشراف الحسينيين يسكنون وادي مر الظهران، وبعضهم في مكة، وهم بنو الشريف حسين بن بركات بن أبي نمى، عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ١١٥.

(٧) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ٨٨٥– ٨٨٦.

العامل الاقتصادي نفسه سبباً في زيادة أطماع الشريف محمد في ثروات القبائل، كما يقول العز عبد العزيز: " ثم توجه الشريف محمد في هذا اليوم لناحية الشرق لغزو عرب مطير، مع أنه كان في صلح معهم، لكن قيل أنه طمع في مالهم لكثرته " [١]، وهذا أمر طبيعي؛ نظراً لشدة حاجة الشريف للمال لإسكات الأشراف؛ أو لإخماد فتن القبائل الأخرى، التي تقوم بقطع الطريق التجاري، مثل قبيلة الكباكبة الذين تعرضوا لقافلة تحمل حباً قادمة من الشرق، فقام الشريف محمد بشنق أربعة من قبيلة الكباكبة بدرب المعلاة [٢] كعقاب لهم على أفعالهم، وفي يوم الثلاثاء ١٩ من شهر شوال سنة ٨٨٩هـ قام عرب من مطير بنهب قافلة تحمل فاكهة، كما نهبوا الجمال [٣] ويورد العز بن عبد العزيز مثالاً آخر على ما كان يحدث من عمليات قطع الطرق، حيث يقول: " وفي ليلة الأحد – سابع ربيع الثاني عام ٨٩٨هـ سافرت قافلة بجيلة [٤] من على منى، وعرفة، وكرا [٥] فلما وصلوا قرب كرا، خرج عليهم عرب هُذيل [٦] ونهبوا القافلة جميعها حتى الجمال، وقتلوا جملة من الرجال، وجرحوا بعضهم، ويقال إن الذي أخذوه غير الجمال، يجئ بأربعة آلاف دينار، ثم إن العرب أرسلوا يسألون في الصلح، وهم يردون جميع ذلك

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٢٠١.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ٨٤٠.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ٨٤١.

(٤) بجيلة، تعرف قديماً بسراة بجيلة في سراة بني مالك، جبال مغطاة بالأشجار وذات مياه وفيرة.. وهي معروفة بالحنطة الجيدة التي تصدره إلى مكة وما حولها، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج١، ص ١٧٨.

(٥) كرا، بالفتح والقصر، ذلك الجبل الضخم الذي يصعده الطريق بين مكة والطائف، كان طريقه صعباً لا تصعده إلا الحمير والجمال المدربة على صعوده، تم ذلك في العهد السعودي فافتتح طريقه عام ١٣٨٥هـ. عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٧، ص ٢٠٧.

(٦) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٢٧٣ – ٢٧٤.

لأربابه، فإن أبى الشريف فمن أراد أن يشتري متاعه فليأتهم، وكان مع القافلة رقيق يقال أنه كان تقدم... ووصل الخبر بمكة، ثم للشريف؛ فأرسل رتبة خيل تجلس تحت جبل هؤلاء حتى يستصرخ عليهم العربان والله يأخذهم أخذ عزيز مقتدر".

وبعد رصدنا بعض ما أثارته القبائل من قلاقل، نجد أن فترة حكم الشريف محمد بن بركات لم تكن فترة تنعم بالهدوء، حيث كانت فترة اضطرابات متكررة من بعض القبائل، بحثاً عن المال؛ نظراً لطبيعة أرض الحجاز، حيث لا زرع ولا مصادر دخل لديهم ، حتى الشريف محمد بن بركات نفسه، لم يكن بمنأى عن تلك الأفعال، فقد هجم على عرب مطير، بسبب شدة احتياج الشريف للمال لإخماد حركات تمرد الأشراف عليه، وإسكاتهم وتلبية مطالبهم الكثيرة. واستمر هذا الحال، حتى عهد ولادة الشريف بركات. [1]

ب - الشريف بركات وعلاقاته بالقبائل:

استمرت العلاقات بين الشريف بركات والقبائل فتارة تكون الاحداث مستقرة ةتارة تكون في صراع بينهم، حيث إن فترة الشريف بركات تعد من أحرج فترات التاريخ المكي. وسنرى ذلك بسرد تلك العلاقة. حيث اتخذ الشريف بركات من بعض القبائل جنداً له ولمساعدته، ومثال على ذلك في يوم الاثنين، الرابع والعشرين من جمادى الأول عام ٩٠٤هـ، نرى الشريف بركات ينادي في جميع عسكره من ذوي حسن وذوي عجلان وغيرهم بالمسير لمنطقة حلي للسيطرة عليها[2] وخلال عملية النزاع والصراع بين الشريف بركات والشريف هزاع، فقد كانت بعض القبائل تساند

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٨٤١.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٨٤.

الشريف هزاع، ومن ذلك بني إبراهيم وزبيد[1]. ولكن حينما حاولت السلطة المملوكية في مصر من فضّ ذلك الصراع وأرسلت كاتب السر لهذا المسعى، الذي بدوره أرسل إلى الشريف هزاع يطلب منه القدوم إليه وكان في وادي مر ويترك من حوله من القبائل من بني إبراهيم، فرفض الشريف هزاع القدوم إليه، وترك من حوله من القبائل [2]. وفي الحادي والعشرين من شوال من نفس العام ٩٠٤هـ، أرسل الشريف هزاع رسالة إلى كاتب السر يخبره أن بني إبراهيم قالوا أنه لابد لهم من مواجهة الشريف بركات بالقتال، فتوجه للقيام بذلك[3]. وهذا يظهر مدى الدور الذي تلعبه القبائل في الحجاز في التأليب وإذكاء الصراع بين الشريفين بركات وهزاع، وفي أواخر شهر شوال من عام ٩٠٤ توجه الشريف هزاع وبني إبراهيم وأمير ينبع لحصار بلدة الجديدة[4]، وكان القتل كثيراً[5]. وفي أواخر شهر ربيع الثاني عام ٩٠٦ هـ توجه الشريف بركات لحصار بعض العرب والذين تحصنوا بحصن الريش[6] حاصرهم، وتمكن من قتل بعضهم، في حين فرّ البعض الآخر، وتمكن الشريف بركات من نهب

---

(١)عبدالعزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢،ص ١٠٨٩.

(٢)عبدالعزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢، ص ١٠٩٠.

(٣)عبدالعزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢، ص ١٠٩١.

(٤) الجديدة: عين في وادي الزبارة، قرب اجتماع النخلتين عليها قرية صغيرة لبني عُمر من هذيل. انظر عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ج٢ ص٣٤٩.

(٥)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٩٧.

(٦) الريش: وادي يمر شمال محايل ويصب في حلي، قبائل الريش: تقع ديارهم إلى الشمال الشرقي من مدينة محايل ويشرف عليهم من الشرق (جبل هادا) جبل أبيض منيف تراه على الطريق وهو لقبائل بللسمر، ويحدهم غرباً آل دريب، وجنوباً آل موسى وجنوباً شرقياً آل مشول. انظر عاتق البلادي: بين مكة واليمن، ص١٩٠، ٣١٤، ٣١٥.

أغراضهم . هذا وقد تعقب الشريف بركات بقاياهم الهاربة، وعندما لحق بهم طلبوا الصلح في مقابل أن يسلموا ما لديهم من خيول ودروع، فوافق الشريف بركات على ذلك[1]. وفي ذي القعدة عام ٩٠٦هـ قام الشريف بركات بالنزول عند عين الجموم في انتظار ركب الحاج، والذى كان يرافقه الشريف هزاع وجماعته من بني إبراهيم أهل السويق[2] بينبع. والتقى الطرفان وحدثت بين الطرفين مناوشات ، وكانت الهزيمة من نصيب الشريف هزاع وجماعته .[3]، ولكن حينما رأى الترك جيش هزاع منهزمين فبرزا للمحاربة مع جيشهم ، فانهزم الشريف بركات وقتل أحد أولاده، وهو أبو القسم، وهرب بقية جيش الشريف بركات وهو معهم. وهذا يبين الصراعات بين الشريفين بعد تعقب الشريف بركات للقبائل. وفي العام نفسه وبعد المقتلة العظيمة التي تعرض لها الشريف بركات وجماعته، انطلقت جماعة من بني إبراهيم وقيل انه بإيعاز من هزاع ونهبوا بيت الشريف بركات وبيوت أولاده وإخوانه ، وبيوت أهل تلك القرى، الجموم، والخضراء، وأرض خالد، وأرض حسان، والدكناء وجميع مالهم من الأموال من البقر والحمير والعبيد والجواري، وأخذوا أخت السيد بركات وهزاع دلال وهي بنت بكر،[4] وفي استهلال شهر ذي الحجة ليلة الخميس من عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م تمكن الشريف هزاع وقواته من الدخول إلى مكة، وعندئذ قامت

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٣٨ – ١١٣٩ .

(٢) السويق:قرية في ينبع النخل تتكون من ثلاث عيون: جديد، وحيف فاضل، والحارثية، كلها لقبائل من بني سالم من حرب. جرت فيها وقائع دامية بين قبيلتي حرب وجهينة، وهذه سويقة التي كانت من صدقات علي بن أبي طالب. انظر عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٤ ، ص٨٥٧.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٤ .

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٦ .

جماعته من بني إبراهيم بنهب مكة، ولهذا ذهب أهلها يشتكون للشريف هزاع من ذلك[١]. ورداً على ما سبق، توجه الشريف بركات ونهب عرب الدار[٢] حوائج بني إبراهيم، وقتلوا بعضهم، وذلك في شهر ذي الحجة عام ٩٠٦هـ. وفي الشهر نفسه من ذلك العام وصل الشريف هزاع وجماعته من بني إبراهيم، وتمكن من نهب سوق المعلاة، وقبض الشريف على جماعة من الهذايلة[٣] وغيرهم وأمر بشنق بعضهم[٤]. وفي نهاية شهر جمادى الأولى من عام ٩٠٧ هـ، أرسل الشريف بركات قوة إلى بعض من قبيلة زبيد، تلك القبيلة التي توجه أربعون فارساً منها وثلاثمئة راجل لمزينة[٥] فأنذروهم وصعدوا وتحصنوا بالجبال، ولما سمع الشريف بركات أرسل قوة استطاعت ردهم[٦]. وفي أواخر شهر جمادى الثاني من عام ٩٠٧ هـ حاول الشريف هزاع من استخدام بني إبراهيم في تهديد بعض تجار مكة فاجتمع التجار وانطلقوا إلى قاضي القضاة الشافعي، وصاحب ينبع يحيى بن سبع وغيرهما" فقال لهم السيد هزاع: أن بني إبراهيم كنت أعطيتهم وجهي على أن ينهبوا جدة، والآن فصالحتهم على مال وسلطانكم بركات فتح هذا الباب، ومقصودنا لهم المال، فقال لهم القاضي: أعطيتهم وجهك؟ فقال نعم، والآن فإن أعطيتهم وإلا غلقت بابي وخليت بينكم وبينهم، وأنا

---

(١)عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢، ص١١٦٧.

(٢) عرب الدار، لم نستدل عليهم.

(٣) الهذايلة ، فرع من المحاميد من البقوم، عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص٥٥٠.

(٤)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٩.

(٥) مزينة: من القبائل العريقة في الجزيرة العربية، وهي مضرية النسب وتسكن نواحي الفرع إلى العقيق. انظر عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ٤٨٤.

(٦)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٩٢.

لو هدمت الكعبة ما قدرت على منعهم"[1] وهذا يدل على مدى استخدام القبائل كورقة ضاغطة لتسيير الأحداث السياسية. وفي أواخر شهر ذي القعدة عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠٧م وصل الشريف بركات وعسكره لعسفان، في حين أرسل أخاه قايتباي في خيل إلى حيث عرب زبيد حول رابغ، فحينما وصل الشريف قايتباي عندهم لم يعثر إلا على رجلين فقتلهما، ووجد بعض الحب فأخذه وعاد للشريف بركات[2]. وفي مستهل شهر ذي الحجة من عام ٩٠٧ هـ انطلق الشريف جازان ومن معه من زبيد وصاحب ينبع وبنو إبراهيم، وقاموا بالهجوم على الحجاج الشاميين، ولم يسلم إلا بعض رجال وجمال أهل المدينة والحجاز ومعهم ثلاثين أشرفيا ، وكان بينهما قتل كثير من الفريقين، ولم يسلم إلا القليل منهم[3]. وفي بداية شهر ربيع الثاني عام ٩٠٨ هـ/ ١٥٠٢م يتطور وضع القبائل ليأخذ منحى آخر، وهو السيطرة على القوافل، حيث أن بنو إبراهيم وجماعتهم صاروا يتلقون القوافل ويشترونها بحسب ما يريدونه ويبيعونها بما يريدون[4]. وفي الثامن عشر من جمادى الأول من عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢ جاء بعض الأعراب إلى أبيار العسلات [5]وتعرضوا لأحد المستقين وضربوا عرقوب جمله وضربوا الرجل على كتفه وحمل إلى مكة ولما علم جازان لذلك تشوش، وتوجه صوب نخلة، وعندما بلغها رأى عرباً فوق الجبال بقرب مكة، فنادى عليهم، فأرسل لهم في أخذ مكة منهم وجهاً ثلاثة أيام فأعطوهم ذلك، وجلبوا العشاء فاشتروا لهم

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٩٣.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٢٠.

(٣)عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢،ص١٢٢٣-١٢٢٤.

(٤) عبدالعزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢،ص١٢٣٧.

(٥) يبدو انها قريبة من مكة ولم يعثر على منطقة بهذا الإسم .

زاداً، وغرموا لهم شيئاً، الجملة بعشرين ديناراً كذا يقال[1]. وفي أواخر شهر جمادى الأول عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، توجه مالك بن رومي الزبيدي إلى عرب الجوابرة[2] من آل جميل، فوقع القتال بينهم، واستطاع مالك بن رومي من الاستيلاء على بعض جمالهم وأغنامهم[3]، وفي شهر جمادى الثاني من العام نفسه استصرخ مالك ابن رومي العرب لمساعدته ضد الشريف بركات عندما علم بقدومه، وفي ذلك العام وصل الشريف بركات وانضمت إليه قبيلة هذيل، وأرسل أيضاً في طلب المساعدة من أهل مكة، وفي يوم الجمعة الثاني عشر من ذلك الشهر توجه بعض من الأعراب ونهبوا غنم من الثقبة[4]، ولهذا انطلق الشريف جازان بن محمد وقاتلهم[5]. وفي نفس ذلك العام ٩٠٨هـ زادت غارات القبائل، فقام عربان هذيل وغيرهم فوق جبل المعلاة وأخذوا بعض العبيد وحمر الروية[6]. وغزوا بعض الناس ليلاً ونهاراً، وخرجوا على الجبال وعلى جبل أبي قبيس[7]، ونزلوا شعب عامر [8]، ودخلوا

---

(١) عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢، ص١٢٤٠.

(٢) الجوابرة: بطن من جميل من هذيل يسكن وادي رهجان شرق مكة. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص٩٤.

(٣) عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢، ص١٢٤٢.

(٤) الثقبة: جبل بين حراء وثبير مكة، ويشرف على مزدلفة من الشمال، يمر فيه الحجاج عند النزول من منى تحاشيا من الازدحام، انظر عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٢، ص ٨٣.

(٥) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٤٣أ١٢٤٤.

(٦) حمر الروية: هي الحمر التي تنقل الماء للاستسقاء به، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١٢٤٦، إبراهيم أنيس ورفاقه: المعجم الوسيط، ج١، ص ٣٨٤.

(٧) أبو قبيس: هو الجبل المشرف على الكعبة المشرفة من مطلع الشمس، وكان يزحم السيل فيدفعه إلى المسجد الحرام، فنحت منه الكثير وشق بينه وبين المسجد الحرام طريقاً للسيل وطريقاً للسيارات، وهو مكسو بالبنيان، وفي رأسه مسجد صغير يسمى مسجد بلال، وليس منسوباً إلى بلال الصحابي، إنما هو اسم على اسم. انظر عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٧، ص١٣٥١.

(٨) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٤٦.

بيت القاضي أبي البركات بن ظهيرة[1]، وأخذوا منه حمل تمر، وحملين من ثيابهم[2]. وفي مستهل شهر شوال عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، صار عربان مكة يغيرون في كثير من الليالي على إبل الشريف جازان وجماعته، ويأتون باثنتين وثلاث، وقالوا: لو أردنا القتل فيهم قتلنا، بل وأخذوا بعض الخيل، وجاءوا بها وباعوها[3]، وفي أواخر شهر شوال عام ٩٠٨ هـ/ ١٥٠٢م حاول الشريف بركات اللحاق بالشريف جازان وقواته من بني إبراهيم، يقول ابن فهد: "خرجوا إلى الخندق الأعلى[4] بالمعلاة، وطلع العرب وغيرهم على الجبل المشرف على الزاهر الصغير، ونزل بعضهم إلى الزاهر الصغير، ولقيوا بعض جماعة الشريف جازان وهم بحلف الجبل المتعل بالبكا، وصاروا يترامون بالحجارة ويتسابون إلى أن حجزهم الليل، ثم هرب خيال من بني إبراهيم "[5]. وفي مستهل شهر جمادى الآخر عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م، أراد بعض زبيد نهب بعض الرقيق الذين يستقون من الزاهر، فامتنعوا منهم، ومرّ عليهم وهم في ذلك مملوكان راكبان فطردوا العرب، ومسكوا واحداً منهم، فسمع بعض زبيد الذين بمكة فأوقفوا المملوكين، وأرادوا تخليص صاحبهم فحصل بينهم قتال، فسمع بعض الأتراك المماليك المستقرين بمكة ففزعوا لأصحابهم، وكان غالب المماليك مع الأمير شاهين الجمالي[6] في الموكب لم

---

(١) القاضي أبي البركات بن ظهيرة، هو كمال الدين أبو البركات بن أبي السعود بن ظهيرة، ابن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٧ -١١٦٨. الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص ٣٥٨.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢،ص١٢٤٦.واللبانة هي التمر الجاف. عبدالعزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢ ، ص٨٠٣.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص١٢٥٩.

(٤) لم نستدل على الخندق الأعلى من خلال المصادر والمراجع التي بين أيدينا.

(٥)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص ١٢٦٢.

(٦) شاهين الجمالي: ولد حوالي عام ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م، وترقى لعدة مناصب إلى أن عمل في مباشرة جدة سنين،

=

يسمعوا، فقتل الأتراك واحداً من زبيد وهرب الباقون بعد أن جمع منهم جماعة، ولما بلغ شاهين الجمالي الخبر أرسل يهدد مالكاً بن رومي شيخ طائفة زبيد، وخرج منادياً ينادي: ألا يقيم أحداً من زبيد بمكة، ومن جلس آخر النهار يعلق بذراعه، فخرجوا بقية نهارهم، فسمع بذلك زبيد الذين بجدة فأرادوا نهب الرقيق، فجادلهم حاكم جدة فضربوه وأساءوا له، فهرب إلى الأمير شاهين فأخبره بما وقع، وأرسل للشريف حميضة وكان بجدة، فأمر منادياً بأن لا يجلس أحداً من زبيد بجدة فخرجوا [1]. وفي الشهر نفسه أمر الباش بكباي بمكة منادياً ينادى لزبيد: بالأمان والإطمئنان، وأن يدخلوا مكة يبيعوا ويشتروا ولا أحد يخالف عليهم [2]. وفي يوم الأربعاء أربع وعشرين من شوال عام ٩٠٩هـ وصلت ورقة من الشريف حميضة إلى الباش يذكر فيها أنه قد وصل إلينا بعسفان، عبدالشريف يحيى بن سبع، وجماعة من بني إبراهيم، يسألوه بالنداء لزبيد بجدة بالأمان والاطمئنان، وأن يدخلوا ويختاروا منها ويقضوا حوائجهم فيها، بحسب ما أصابهم من الجوع والغلاء، بحيث وصلت الزيلعية [3] الحب إلى أربعة محلقة [4]، فنادي

= وحمدت مباشرته لعقله ورفقه وسكونه مع إقباله على العلم وتطلعه للقراءة، فأخذ عن كثير من العلماء، واستقر في مشيخة الخدام بالمدينة المنورة، وله أعمال معمارية بالمدينة المنورة، وأسند إليه عمارة المسجد الحرام، وتعمير عين حنين عام ٩١٠هـ، وله كثير من القربات والمآثر. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٩٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص١٨٣.

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٩٨/ ١٢٩٩.

(٢)عبدالعزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢، ص١٢٩٩.

(٣) الزيلعية: نوع من الحبوب الجيدة وتنسب إلى قرية على ساحل البحر الأحمر من ناحية الحبشة، انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣ ، ص١٦٤.

(٤) محلقة، الجمع محلقات وهو اصطلاح العامة للدراهم و الدنانير، المحلق نوع من النقود ظهر لأول مره بمكة في سنة ٨٨٣ هـ ولم يلبث أن راج في أسواقها إلى أن أصبح النقد السائد لبيع جميع أنواع السلع و شرائها و تقرر صرفه باثني عشر درهما مسعودياً. ابن فهد: إتحاف الورى ج٤، ص٦٣٩ حاشية (٢)

لهم الشريف حميضة بالأمان[1]، ودخل ثاني يوم جماعة من زبيد، جاءوا مع عقال - أحد رجال قبيلة زبيد -، ومعهم مئة حمل بعير امتاروا منها حبا[2]. وفي شهر صفر من عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م انطلق الشريف حميضة ومعه جماعة من بني إبراهيم وزبيد صوب جدة، وتخطفوا من الأودية واحداً وتجهز أهلها واستعدوا لهم حينما سمعوا بقدومهم. وحصل بينهم وبين أهل حدّا[3] قتال[4]. وفي مستهل شهر رمضان عام ٩١٠ هـ/ ١٥٠٤. قام مشايخ بني إبراهيم بأن حلفوا على الطاعة للسلطان[5]. وفي مستهل شهر المحرم من عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م. أرسل الشريف بركات ابنه علي وعمه إبراهيم بن بركات في حملة إلى بني خالد عرب بناحية اليمن فقتلوا بعضاً منهم وبعض قادتهم، مثل شيخهم وأخيه، ونهبوا أموالهم[6]، وفي نهاية ذلك الشهر استولى عرب عتيبة على إبل لجماعة من غريب الدار لقريش من جهة عرفة، ومن خزاعة ولحيان برأس العين، ففزع بعض العربان وراءهم وفاتوهم[7]. وفي العاشر من

= تقرر صرفه باثني عشر درهما مسعودياً. ابن فهد: إتحاف الورى ج٤، ص٦٣٩ حاشية (٢) ريتشارد مورتيل: الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة، ص١٩٦.

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص١٣٢٢.

(٢)عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٢،ص١٣٢٣.

(٣)حدّا: منطقة زراعية بها عين في أسفل وادي مر الظهران تقع بين الحديبية وبحرة على طريق بين مكة وجُدة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٢٣؛ عاتق البلادي: معالم مكة المكرمة التاريخية والأثرية، دار مكة، ١٩٨٠م، ص٨١؛ حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، الرياض دار اليمامة، ج١، ص٤١٨.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣،ص١٣٥٢.

(٥)عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٣،ص١٤٠٣.

(٦)عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٣،ص١٤٢٥.

(٧)عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٣،ص١٤٢٦.

شهر جمادى الآخرة من عام ٩١١هـ توجه الشريف بركات على رأس عسكره صوب عرب زبيد للقضاء عليهم، فلما صبحهم وجد الأمير مقرط بن مالك[١] وقد قضى عليهم[٢]، وفي مستهل شهر رمضان من عام ٩١١ هـ توجه بعضاً من عرب عتيبة إلى الخيف[٣] وادي ذوي أبي نمي لنهبه، وبمجرد أن سمع أهله ذلك حتى خرجوا منه، ولم يظفر عرب عتيبة بشئ يذكر.[٤]. وفي الثاني عشر من شهر محرم عام ٩١٢هـ تمكن الشريف بركات من الانتصار على جماعة من قبيلة زبيد، حيث أرسل في تعقبهم ابنه الشريف علي بن بركات، والذي تمكن من قتلهم وشنقهم[٥]. وتواصل عتيبه في تخريبها للطرق وسرقة القوافل، يقول العز عبد العزيز " أفسدوا الطريق واستصرخ عليهم العربان فدخلوا عليهم بألفي وثلاثمئة أشرفي[٦]، وأخذوا في ذلك رهينة جماعة منهم، وغضب الشريف بركات على الحمدة[٧] بسبب مسكهم لشيخ هؤلاء الجماعة من عتيبة وولده وإطلاقهم..." عندما خيرهم في ذلك ألفاً وخمسمئة أشرفي، واستطاع شيخ

(١) مقرط بن مالك بن رومي الزبيدي، وقد قتل في يوم السبت ١٤ جمادى الأول من عام ٩١٣هـ هو وأبيه مالك وإخوته قادم وذاعر. انظر عبد العزيز بن فهد: غاية المرام،ج٣، ص ٢٠١،٢٠٠.

(٢)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣،ص١٤٥٧.

(٣) الخيف: هو بطحاء مكة وقيل: مبتدأ الأبطح، وهو الحقيقة لأن أصله ما انحدر من الجبل وارتفع من المسيل. انظر عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٣ ص٥٩٠ـ ٥٩٢. وذكر في بلوغ القرى أنه وادي ذوي أبي نمي .

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣،ص١٤٧٠.

(٥)عبد العزيز بن فهد: مصدر سابق، ج٣،ص١٥١١.

(٦) الأشرفي دينار ينسب إلى الأشرف برسباي، ريتشارد مورتيل، الأحوال السياسية والإقتصادية، ص ١٩٥.

(٧) الحمدة، بطن من بلحارث من فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان، ينزل مع بلحارث. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص١٢١.

الحمدة إرضاء الشريف بركات"[١]. وفي شهر ذو القعدة عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م أغـــــار خمسة عشر خيالاً من عرب عتيبة بقيادة شيخهم علي بن سالم[٢] على إبل قريش بالأراك[٣]، قرب عرفة، فاستاقواا إبلاً هرب منها البعض وذهبوا بالباقي منها، وعندما علم بكباي باشا المملوكي بمكة خرج إليهم بالعسكر وتتبعهم حتى وصلوا إلى الزيمة[٤]، وفي أثناء هروبهم وفي الطريق قابلوهم هذيل، وسلب بنى هذيل إبلهم وهي حوالي أربعين، وثلاثة من خيلهم، وقبض على أسيران من عتيبة ورجع الكل إلى مكة[٥]. وشكل مالك بن رومى زعيم عرب زبيد قلق الشريف بركات. يقول العز عبدالعزيز "وفي ـ ربيع الثاني ليلة الجمعة ٩١٢هـ ـ وصلت قافلة المدينة التي كانت توجهت إليها، وغالبهم المغاربة، بعد أن نهبهم مالك ومعه جماعة قليلون بين رابغ ومستورة[٦]، وكان معهم سبعة وثلاثون جملاً فأخذها وما عليها وما على

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣, ص ١٧٤٨.

(٢) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى، ج٣، ص ١٤٩٨.

(٣) بالأراك: موضع بعرفه من ناحية الشمال. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١ ١٣٥.

(٤) الزيمة، قرية بوادي نخلة اليمانية من أرض مكة، بالعدوة اليسرى من الوادي المنحدر معه، سكانها أغلبهم من القناوية. اشتهرت بزراعة الموز و إلى جانبه يغرس النخل و الفواكه، و يمر بها طريق الجموم (مر الظهران)، وهي اليوم قليلة، الزرع. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣ ، ص١٦٥، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٤، ص٧٧١.

(٥) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٤٩٨.

(٦) مستورة: بلدة ساحلية على ساحل البحر الأحمر بينه وبين جبال تهامة على ضفة وادي الفرع من الشمال إذا وصل إلى الساحل تبعد عن رابع (٤٠) كيلو مترا شمالا، وتبعد عن مكة (٢٣٥) كيلو مترا على الطريق إلى المدينة، وهى في المنتصف بينها، وأصل المحطة بئر احترفتها امرأة من زبيد يقال لها مستورة، ثم صارت المحطة تسمى بئر مستورة، ثم أطلق عليها اسم مستورة اختصاراً. عاتق البلادى: معجم قبائل الحجاز، ج٨ ، ص ١٣٩ -١٤١.

الركبة[١] ثم أعاد لهم أربعة جمال والقرب[٢]، و توجه أهل الجمال مع مالك لافتداء جمالهم"[٣]. ويواصل مالك بن رومي سطوه على الطرق لسرقة القوافل والمحمل، ومن ذلك كان في يوم الخميس ١٨ من شهر ربيع الثاني أغار المحمل، وطالبوا نائب جدة حسين الكردي الصلح، فشاور الشريف بركات فقال بشرط أن يردوا ما أخذوه من التجار، ويردوا الفرس والدرع، فلما سمع مالك بن رومي سب وصدع وسافه[٤]. ولم تترك زبيد ولا شيخها أحد يمر من ينبغ أو قافلة إلا وسطوا عليها، يقول عبدالعزيز بن فهد:" وصل بعض التكارنة[٥] الواصلون من مصر...أنهم توجهوا إلى المدينة وزاروا وعادوا إلى ينبغ... ووجدوا بالطريق الشريف بركات.... وأخبروه أنهم قتلوا زبيد ونهبوا أموالهم وسبوا أولادهم وحريمهم، وأنهم قتلوا منهم مئة فأكثر، وأمرهم أن يبشروا أهل مكة بذلك [٦] . وبعد هذه الهزيمة لم تهدأ الأوضاع، فقام جماعة منهم

---

(١) الركبة: الجمال المعينة للركوب، ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف القاهرة، ج ٣، ص ١٧١٤.

(٢) القرب: هي جلد مدبوغ ومهيأ بحيث يحمل فيه الماء، لها فم هو موضع الرأس من جلد الحيوان المدبوغ، وتختلف القرب حسب كبر الحيوان صاحب الجلد، وحسب سنه، وأكثر ما تتخذ القرب من الضأن والمعز. عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٥٢٢.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى ج٣، ص ١٥٢١ ـ ١٥٢٢.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٥٢٣.

(٥) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٥٤٧. التكارنة: كلمة تطلق على السكان الذين يعيشون حول نهر كاموني في بلاد السنغال بإفريقيا، وقد قامت دولة التكرور في أوائل القرن الرابع الهجري عندما دخل الإسلام بلادهم،.انظر زامباور: معجم الأسرات الحاكمة، ترجمة حسن أحمد محمود، زكي محمد، القاهرة ١٩٥١، ج١، ص ١٠٧.

(٦) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى، ج٣، ص ١٥٤٧.

يقال لهم الروايا[1]. يوم الاثنين من شهر ذي الحجة عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م، ومعهم بعض الأمراء والعسكر بالهجوم على عرب مزينة قرب جدة، ونهبوا وسبوا أرقائهم وأحرارهم وإبلهم وباعوهم في مكة. يقول العز عبد العزيز" إن الشريف بركات أمر برد ما أخذوه فردوه لهم"[2] ولم يسكت الشريف بركات أمام تمردات مالك بن الرومي؛ حيث قام الشريف بركات يوم الثلاثاء السابع والعشرون من شهر جمادى الأول عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م بالهجوم على أماكن تواجد أتباع مالك بن الرومي إلى أن استطاع قتله ومن معه من أبناء وأتباع[3]. ورغم حروب الشريف محمد بن بركات ضد بني إبراهيم إلا أنهم لم يرتدعوا عن ذلك، بل واصلوا التمرد على الشريف بركات بن محمد؛ لذلك أرسل الشريف بركات الأمير خير بك[4] الكاشف مقدم الجريدة إلى ينبع لتأمين الطريق، فاصطدم ببني إبراهيم، ووقع القتال فقتل منهم الكثير وهرب الباقون تاركين ورائهم الكثير من الغنائم، فاضطر خير بك بحرق نخيلهم[5]. ويؤكد على ذلك عبد العزيز بن فهد بقوله: "فانكسر بنو إبراهيم بعد مقتلة كبيرة منهم، وهرب الباقون، ولولا الليل حجز بينهم لما نجا منهم أحد... ويقال: أن المقتول منهم أكثر من ثلاثمئة... وبيع المنهوب برخص؛ حتى أنى رأيت في بعض الأوراق أن البنت بيعت بثلاثة عشر محلقاً، وجهز رؤوس جماعة من العربان ـ بنى إبراهيم ـ ويقال أن

(١) الروايا: هم من ذوي جماع، وهم أتباع مالك بن ورمي الزبيدي. الجزيري: الدرر الفرائد، ص ٣٥٦.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٥٦٣ـ ١٥٦٤.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٥٨٧ – ١٥٨٨.

(٤) خير بك، أحد المقدمين الألوف، وكان كاشف مديرية الغربية بمصر، ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٥) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٥٤٣.

المرسول لمصر أكثر من مئة رأس، ولم يقتل من الجريدة غير مملوكين"[1] وما أن تراجعت الجريدة بعد هذه المعركة وأصبحوا قلة، قام من بقى من بنى إبراهيم بالهجوم ووقع القتال في الجريدة، وعندما سمع الشريف بركات بذلك وكان بالدهناء [2]جاء ومعه عسكره، إلا أن بني إبراهيم لاذوا بالفرار[3] ، ولكن بنى إبراهيم وجدوا أنه لا مفر من المصالحة، يقول العز عبدالعزيز: " وفي أوائل شهر رجب عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م ـ جاء لمكة بعض جماعة الشريف بركات من الينبع، وأخبروا أنه صالح كثير من بنى إبراهيم"[4]. لم تكن ينبع تحت تهديد بني إبراهيم بل نجد عرب زبيد، إلى جانب الصيادلة، لذلك كان حاكم ينبع دائماً يستعين بمماليك من مكة ليتقوى على تمرد الصيادلة وذلك كان في شهر صفر من عام ٩١٦هـ/ ١٥١٠م[5] إلا أن الصيادلة كانوا دائماً يرفضون دفع مال مقابل الأمان لسلطان قانصوه الغوري؛ لذلك جاء بمنشور من قبل السلطان الغوري إلى الشريف بركات يطالبه بما فرض على القبائل من مال، لذلك يقول العز عبدالعزيز: "وتخلص لنا المال الذي عند الصيادلة"[6] وغالباً ما كان أغلب القبائل ترفض دفع هذه الأموال نتيجة ظروف الحجاز التي لا يوجد بها من

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٥٤٥.

(٢) الدهناء: قرية من نواحي ينبع كانت عامرة، كثيرة النزل وبها عدة بساتين، وكان يسكنها بنو إبراهيم الأشراف فتعرضت لغزو وسلاطين ذلك الزمان فهجرت بعد أن دمرت وأهلك نخلها وهدمت بيوتها كانت محطة للحجاج تعرف اليوم بالسانية. عاتبق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٣، ص ٢٤١-٢٤٣.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٥٤٩-١٥٥٠.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٥٩٤.

(٥) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٧٢٠.

(٦) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ج٣، ص ١٧٨٨.

زراعة أو غيرها لدفع ما يفرض عليهم، ولذلك كان الشريف بركات يقوم بغزو تلك القبائل لسلب ما لديهم مقابل رفضهم، يقول العز عبد العزيز: "وفي يوم الأربعاء ثاني ـ شهر ربيع الثاني عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م ـ جاء البشير من السيد بركات أن جماعة الشريف ـ عسكره ـ ومعهم القواد من أهل ينبع ركبوا على الصيادلة وأخذ جميع مالهم من الخيل والإبل، وأمر الشريف بزينة مكة سبعاً"[١]. وبذلك نخلص إلى شيء مهم وهو أن القبائل خلال فترة الصراع والنزاع سواء بين الشريف بركات والشريف جازان أو الشريف هزاع أو ثورات الأشراف الجنوبية والشمالية انقسم ولائهم ما بين هذه الأطراف، وكل من هؤلاء الأشراف كان يستخدمهم في سبيل تدعيم أركان سياسته، ويستخدمهم في انتزاع الإمارة من الأشراف الآخرين.

ج- علاقة القبائل بالسلطنة المملوكية وتأثير ذلك على طريق الحاج:

بحلول القرن العاشر الميلادي فقدت السلطنة المملوكية سيطرتها على القبائل في طريق الحج والدليل على ذلك في عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م أرسل نائب السلطان قانصوه الغوري فى الكرك إلى السلطان رسالة تفيد بأن العربان قد قطعوا طريق الحاج واعترضوا الحجاج[٢] وكان أمير هذا الركب الأمير أصطمر بن ولي الدين[٣]. وأيضاً الأمير محمد بن العلائي علي بن خاص بك[٤]. وعن الأهوال

(١) عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى، ج٣، ص ١٩٤٧.

(٢)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص ١٢٢٢، ١٢٢٣،ج٣، ص ١٥٠١،الجزيري: درر الفرائد، ج٢، ص٧٨١.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٢٣. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٢٨.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٢٣، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٢٨. الجزيرى: الدرر، ج٢، ص٨٧١.

التي عاناها الحجاج فقد كانت كبيرة[1]، فما أن غادر الحجاج ينبع حتى وقعوا في براثن لقبائل بلي[2] الذين قاموا بردم الآبار في تلك المنطقة، ومنع الحجاج من النزول بالإزلم[3] وكان قائد تلك الأحداث شيخ قبيلة بلي الشيخ عامر بن مشعل. هذا وقد حاول الحجاج في محاولة الخروج من ذلك بمحاولة حفر الآبار، فقد هلك الكثير منهم من شدة العطش، ولم تكتف قبائل بلي بما حدث فقد ألزمهم شيخهم عامر بن مشعل بدفع مبالغ من المال، وما كان من الحجاج إلا أن رضخوا لهذا الأمر. ولم يتوقف الأمر على ذلك ولم يقتصر ذلك على قبائل بلي، فما أن واصل الحجاج مسيرهم حتى بلغوا منطقة المويلح[4] أغار عليهم عرب بني لام وغيرها من العربان، ومنهم عرب بني عقبة[5] ، وبني عطية[6]

---

(١) الجزيرى: الدرر، ج٢، ص٧٨١- ٧٨٥.

(٢) قبيلة بلي بن عمرو قبيلة عظيمة من قضاعة القحطانية، مساكنها بين المدينة ووادي القرى على شاطئ البحر، وتنقسم بلي إلى ثلاث قبائل بلي الحجازية، بلي مصر، بلي بير السبع، وبلي الحجازية تسكن جنوبي حويطات التهم وتمتد منازلها إلى جهة الشرق. ولبلي عدة فروع. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، ج١، ص١٠٤ - ١٠٦، عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز،ص ٤٨ - ٥١.

(٣) الأزلم: محطة لركب الحج بعد محطة المويلح على ساحل البحر الأحمر، وكان لها خان الإيداع متاع الحجاج لأخذها عند انتهائهم من الحج وهم في طريق العودة وهي في مدينة الوجه اليوم . انظر عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج١، ص٩٢- ٩٣.

(٤) المويلح: ميناء على ساحل البحر الأحمر شمال ضبة، يصب عليها وادي صُر، من الشرق من جبل الجم، والمسافة بين المويلح وضبه قرابة ٥٠ كم، وسكانها من الحويطات، وكان المويلح يسمى (البنك) وأتاه هذا الاسم من ملوحة مائه. انظر عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٨ ، ص١٦٩٠ .

(٥) بنو عقبه: هم بطن من جزام القحطانية، تسكن على الساحل الشرقي لخليج العقبة بين حقل والشيخ حميد وهم أهل زراعة، وباديتهم قليلة كانت ديارهم قليلة وديارهم من الأزلم في الحجاز الى الكرك في الأردن، وكان عليهم درك الطريق إلى حدود غزة الشام . البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص٣١٨- ٣١٩.

(٦) بنو عطية: قبيلة كبيرة تبدأ ديارها من السفوح الجنوبية لحرة الرهاة ومحطة الحمراء، ثم تمتد شمالاً مارة شرق تبوك وغربها، تختلط مع قبائل حويطات الشمال إلى قرب مدينة الكرك، وقد كانوا أصحاب الدرك بعقبة

وبعض القبائل الأخرى. وطلبوا منهم دفع المرور ليضمنوا سلامتهم ويحفظوا أنفسهم من النهب، ولذلك انطلق بعض من الحجاج في التفاوض مع تلك القبائل، وأفضى الاتفاق على حصول تلك القبائل على دينار عن كل جمل، وبالفعل تم جمع الأموال منهم ومن عجز عن الدفع يبعث رحله وبضائعه، وقد بقي ركب الحجاج في منطقة المويلح لمدة خمسة أيام، انطلقوا من بعدها، وهناك علت نبرات حزنهم وصراخهم على ما فقدوه من أشخاص وأموال، كذلك أوعزوا للسلطنة المملوكية وشكوا ما حل بهم خلال الطريق، وذكروا في طيات رسالتهم للسلطنة أن ما حدث لهم جاء نتيجة لجهل أمراء الحاج، وعدم درايتهم بصواب الأمور. ونتيجة لهذا الاستصراخ قام قانصوه الغوري بإلقاء القبض على أمير الحاج، وأمير الركب الأول، وتم نفي أمير الحاج لثغر دمياط[1]، ونتيجة لما حدث لركب الحجاج عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م من مصاعب وأهوال كانت في بعض منها بسبب القبائل والبعض الآخر بسبب قلة دراية أمراء الحاج؛ لذلك حاولت السلطنة المملوكية من استعادة السيطرة مرة أخرى. ولهذا قام السلطان الغوري بإرسال قوة مكونة من ستمئة من المماليك برفقة أمير الحاج قيت الرجبي[2] وذلك في عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، وأنفق على كل شخص من هذه القوة مئة

= تبوك وغربها، تختلط مع قبائل حويطات الشمال إلى قرب مدينة الكرك، وقد كانوا أصحاب الدرك بعقبة إيله، وينقسم بنو عطية إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: العطيات: والعقيلات، والخميسات، ولكل منها فروع عديدة. البلادي: معجم قبائل الحجاز، ج٢، ص٣١٥- ٣١٧، القثامي: معجم المواضع، ص٣١٥- ٣٧١.

(١) ثغر دمياط: مدنية قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل وهي ثغر من ثغور الإسلام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٧٢- ٤٧٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٣٧، ٣٨. الجزيري: درر الفرائد: ج٢، ص٧٨١/ ٧٨٥.

(٢) قيت الرجبي استقر في الولاية بعد قيت الأشرفي الوالي أحد العشرات. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، =

دينار، في حين أنفق على أمير الحاج الأول مائتين أو ثلاثمئة مملوك [1]. ورغم ما قامت به السلطنة المملوكية من إجراءات كان من الممكن أن تكفل لها السيطرة وتكفل للحجاج الأمن؛ إلا أنه سرعان ما تعرض الحجاج للأهوال، وفقدوا الأمن في العام التالي عام ٩٠٩ هـ/ ١٥٠٣م، وربما كان ذلك بدوره راجعاً إلى حالة الصراع التي كانت قائمة بين الشريف بركات والشريف حميضة على إمارة مكة المكرمة؛ مما خلق وجود بعض التوترات والتي تؤثر بدورها على الحجاج، وقد كان أمير الحاج في ذلك العام أنسباي أحد المقدمين[2]، في حين كان أمير الركب الأول تاني بك النجمي أحد المقدمين[3]. ومن الملاحظ في تلك الفترة هو تطور وضع العربان وزيادة قوتهم بشكل ملحوظ، وكانت قد شكلت خطراً على الحجاج وعلى طريق الحاج، وليس أبلغ مثال على زيادة قوتهم وما أثروا فيه أن قامت السلطنة المملوكية ممثلة في السلطان قانصوه الغوري عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥م بإبطال الحج من القاهرة والشام، وتم إرسال مرسوماً بذلك للشريف بركات، وتم إرسال مائتي مملوك رام بالبندق، ومائتين من العبيد والمغاربة[4]، وهذا يدل على مدى عجز السلطنة المملوكية من ردع القبائل ووقوفها

= ص٢٦٦، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٥٠.

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٦٩، ابن إياس: بدائع الزهور، ص٤٩ - الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٦

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٧٥. ابن اياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦٢. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٨.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢. ص١٣٢٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦٢، الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٨. ذكر اسم أمير الحاج تاني بك النجمي.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج ٣، ص ١٤٨٠.

موقف المتفرج من ذلك. وعندما بلغ السلطان المملوكي أن العرب مجتمعة حيث وصل إليه يحيى بن سبع يسأل السلطان جنوداً، وأن يزيد عشرين ألف دينار، فقال السلطان للقاصد: أصدقني الحق العرب مجتمعون أم متفرقون؟ فقال: هم مجتمعون، وما للترك عليهم قدرة، فإنهم تجمعوا بكثرة، وأن هجار الذى جعله السلطان على ينبع بدلاً من يحيى بن سبع ليس له قدرة على العرب، وهو عاجز لا مال له، لذلك أمر السلطان بإبطال الحج لتلك السنة، فلم يحج أحداً من أمراء الحج؛ لعدم وجود الدراهم التي تكفي للحملة .[1] وبحلول عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م بعث السلطان قانصوه الغوري فرقة من العسكر بقيادة الأمير فايز بك كاشف الغربية أحد أمراء الطبلخانات[2] السلطانية، والأمير ثاني بك بن شاد بك رأس نوبة[3] ومعهم المحمل الشريف، ويلاحظ أن هذه المرة الوحيدة التي بعث فيها المماليك المحمل الشريف إلى الحجاز وفي غير موعده، ولم يكن يحمل الكسوة الشريفة التي بعثت عن طريق البحر. وتستمر بعض بطون بني لام في التمرد على الشريف أبو نمى بن السيد بركات؛ مما اضطره إلى السفر إلى جهة الشرق ومعه عسكره لتأديبهم، وذلك في شهر ربيع الثاني

---

(١) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القري، ج٢، ص ١٤٨٨، ١٤٩٧، ١٤٩٨،الجزيرى: الدرر، ج٢، ص٧٩٠. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص١٤٨.

(٢) أمراء الطبلخانات، كان عملهم دق الطبول وهذه تميز وتشريفً لهم، وسمي أمراء الطبلخانات بعدد المماليك الذين يملكونهم. زين العابدين شمس الدين، معجم الألفاظ، ص ٧١.

(٣) رأس نوبة: تعتبر الوظيفة الثالثة من الوظائف التي كان يشغلها عسكريون بحضرة السلطان في عصر المماليك البالغ عددهم خمسة وعشرين وظيفة وكان موضوعها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم ويرأسهم رأس نوبة الأمراء. انظر الجزيري:الدرر، ج٢،، ص٧٩٠. زين العابدين شمس الدين نجم: معجم الألفاظ، ص ٢٧٩.

عام ٩٢١هـ / ١٥١٥م، وانضم إليه من وافقوا للخروج معه كل أهل الخليصة [١]، فجاسوا بخيلهم ودروعهم وسلاحهم، وغزا الشريف عرب من بني لام فلاقى بعضهم وهرب الباقي، وصالح بعض العربان على فرسين أو ثلاثة، وكسبوا منهم بعض الإبل وغنم، فأخذ غالب الإبل من عتيبة، وتقاسموا الباقي، وجاء الخبر لمكة ففرح المسلمون بذلك [٢] للحد من شر عرب بني لام.

وكان نزول الحجاج بمنى محل نزاع دائم، فكثيراً ما نجد صراع على المكان حيث يقول العز عبد العزيز: "ولما نزل الناس بمنى جاء التكاررة [٣] ليجلسوا مكان بني حسن، فوقع بينهما قتال قتل منهما جماعة من التكارره، وخرج بعض بني حسن، فلما سمع الشريف أرسل يعتذر لأمير الحاج عن ذلك "[٤].

ولحسن سيرة السيد أبو نمي بن السيد بركات مع بعض القبائل كانت تأتي للمشاركة في احتفالاته، يقول العز عبد العزيز: " في يوم الأحد شهر رجب ٩٢١هـ -

(١) الخليصة،هم أهل خليص وهو وادي من أشهر الأودية كثير الماء والزرع، يقع في شمال مكة المكرمة ويعرف بأمج على بعد ١٠٠ كم منها، وسكانه قبائل حرب، وبه ثلاثون قرية وبه عينه المشهورة بعين خليص، وقد اشتهرت بلدة خليص في الوقت الحاضر وفيها مدارس ومحكمة ومركز للحكومة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٧، عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، ج١، ص ١٣٨.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٩٨٨.

(٣) التكاررة، شعب من شعوب إفريقيا الغربية، ينسبون إلى بلاد التكرور، وهي مملكة تقع في أقصى جنوب المغرب على الساحل الغربي لإفريقيا، وتنسب إلى قبيلة من السودان وأهلها أشبه بالزنوج، وهي بلاد السنغال وغينيا ومالي. انظر: ياقوت الحموي:معجم البلدان، ج٢،ص٣٨ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة (د.ت)،، ج٥، ص٢٧١-٢٧٥.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣،ص ١٩٣٢.

جاء إلى مكة ثقيف [1] من أهل الحجاز بخيل ورجال كثير لأجل العرضة [2]، وتوجهوا لبيت الشريف وتغدوا فيه ثم عادوا ثاني يوم " [3] . ومن الواضح أن الشريف أبو نمي استطاع جمع شمل القبائل، فيخبرنا العز عبد العزيز بقوله: "وفي شهر رمضان يوم الثلاثاء ٩٢١هـ جاءت قافلة من حلي... وبها صاحب حلي الأمير قيس بن محمد بن دريب، جاء بسببه الصلح مع الشريف بركات بن محمد فأمر الشريف بإكرامهم " [4].

---

(١) ثقيف، والنسبة إليهم ثقفي، إحدى القبائل الحجازية، لازالت في مساكنهم القديمة حول الطائف، ولهم تاريخ عريق، وتنقسم ثقيف اليوم على سبعة بطون هم: طويرق، وعوف، بني سالم، وبني سفيان، الحمدة، وثمالة.عاتق البلادي، معجم قبائل الحجاز،ص٦٦-٧٠.

(٢) العرضة. اجتماع العسكر في مكان وتدق الطبول والنقط ونشور الجيوش وآلة الحرب من السيوف والرماح وغيرها. عبد العزيز بن فهد:، بلوغ القرى، ج١، ص ٢٧٨ ماش

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ٢٠٠١-٢٠٠٢.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص٢٠٠٩.

الفصل الثاني

أحوال إمارة مكة المكرمة السياسية الخارجية

أولا - العلاقة مع أشراف وأمراء مكة مع السلطنة المملوكية:-

أ-علاقة الشريف محمد بن بركات بالسلطنة المملوكية:

ب-علاقة الشريف بركات بن محمد (بركات الثاني) بالسلطنة المملوكية:

جـ-:العلاقة المملوكية الحجازية وسط الصراع بين أشراف مكة

ثانيا - العلاقات مع موظفي ونواب السلطنة المملوكية:

أ-حملات موظفي السلطنة المملوكية على الحجاز:

١- قيت الرجبي وحملته على مكة عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م.

٢- خاير بك إينال وحملته على مكة عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م:

ب -آثار الحملات على الاوضاع العامة : أ- اجتماعياً. ب- اقتصادياً جـ- أمنياً

ج- مظاهر العلاقة بين أمراء الحاج والأشراف:

أولاً: العلاقة مع السلطنة المملوكية

أ-علاقة الشريف محمد بن بركات بالسلطنة المملوكية:

نتيجة لتعاقب السلاطين على كرسي السلطنة المملوكية الجراكسة[1] في مصر، فلقد عاصر الشريف محمد بن بركات العديد من السلاطين منذ أن تولى إمارة مكة المكرمة، حيث كان أي من السلاطين المماليك لا يستقر في كرسيه سوى أشهر قلائل، ولم يلبث أن يتركه حينما يقتل[2] أو يخلع من منصبه[3]، وربما كان ذلك راجعاً إلى طمع

(١) الجراكسة: جنس من الترك كانوا تابعين لسلطان خوارزم، وكان ملوك هذه الطوائف لملك سراي كالرعية يقاتلونهم ويسبون منهم النساء والأولاد، ويجلبونهم إلى الأطراف في البلدان والأقاليم، وقد استكثر الملك المنصور قلاوون صاحب مصر وولده وبنوه من شراء المماليك الجراكسة، وأدخلوهم في الخدمة الخاصة، ودخلوا السلطنة، وغلبوا عليها واستقلوا بها، ومن ثم استكثروا من جنسهم، وعملوا لها قوانين وقواعد انتظمت بها دولتهم، فتولى منهم وأولادهم من بعدهم السلطنة بمصر اثنان وعشرون ملكاً، أولهم السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص العثماني سنة (٧٨٤هـ)، وآخرهم الملك الأشرف طومان باي بن قانصوه الناصري، أبو النصر سنة (٩٢٣هـ) فبلغت مدة ملكهم حوالي ١٣٩ سنة. ومن أبرز أعمالهم: قيامهم بحماية ساحل البحر الأحمر والهند من عبث البرتغاليين. وكذلك العمائر والترميمات التي قاموا بها في المسجد الحرام والمسجد النبوى، وغيرها من العمائر في كل من الشام ومصر. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، هامش رقم (١)، ص٢٠٨.

(٢) قانصوه الاشرفي قايتباي ويعرف بخمسمائة كان اميرا جليلا موصوفا بالشجاعة، وافر العقل، اشتراه الاشرف قايتباي ةاعتقه، تولى عدة وظائف حتى تولى السلطنة لمدة ثلاثة أيام وقتل في سنة ٩٠٢هـ. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ٧٤٤، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٤٠٣، ٤٠٠. الملطي: نزهة الأساطين، ص١٤٧.

(٣) هناك أمثلة كثيرة لسلاطين خلعوا بعد فترة وجيزة من توليهم نذكر على سبيل المثال لا الحصر السلطان محمد بن قايتباي، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص٩٩١. الملطي: نزهة الساطين، ص١٣٦ -١٤١.

السلاطين المماليك في سدة الحكم، [(1)]. وكان أول من ارتبط مع الأشراف من السلاطين المماليك كان السلطان قايتباي مع الشريف محمد بن بركات والذي حاول أن يبرهن مدى اهتمامه بالشريف وبإمارة مكة والاهتمام بأمنها، ولهذا قام السلطان قايتباي بإعلان تأييده للشريف وإرسال الخلع؛ وذلك ليمنع الفوضى والصراع على تلك الولاية. وبذلك تكللت بداية تلك العلاقة بالتحسن؛ حيث كان الشريف محمد بن بركات يرسل القصاد ليعلم السلطان قايتباي بكافة خطواته، واظهار الطاعة للسلطان. يقول عبدالعزيز بن فهد: "جهز السيد الشريف محمد بن بركات قاصداً إلى السلطان قايتباي يعلمه بموت نائب جدة – الشمس محمد بن عبد الرحمن الصيرفي – ويسأله ماذا يفعلون"[(2)]. وبذلك نجد مدى احترام الشريف محمد بن بركات للسلطان قايتباي، واحترام أقواله وأفعاله؛ لحرصه على تثبيت حكمه، فكان يرسل له الخلع السلطانية ليقره ويعلنه شريفاً على إمارة مكة المكرمة كل عام[(3)]. وهذا يوضح مدى العلاقة الحسنة بين الشريف والسلطان. يقول عبدالعزيز بن فهد: " أن السلطان طيب وأشيع بمكة غير ذلك"[(4)] وإن كانت تلك العلاقة في بعض منها قائمة على الأطماع المادية؛ لذلك أمر السلطان بتعشير جميع ما يدخل من البندر (جدة) حتى من ودائع أرباب الدولة[(5)] وهذا دلالة واضحة على حاجة السلطان لجمع الاموال لمواجهة الاخطار من حوله . ، ثم نجد السلطان يطلب من أموال تجار مكة، والتي كانت مكة

(1) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص٩٩٤.

(2)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٢٨٤.

(3) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٤٥٦.

(4) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٥٦٩.

(5)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ج١ ص٥٧٩- ٥٨٠.

بحاجة إليها نظراً لظروفها الجغرافية والبيئية يقول العز عبد العزيز: "وشي إلى السلطان بأن ملك التجار له بالحجاز، ومصر، والشام وغير ذلك أموال جمة، منها بمكة لآلئ، فتشوق السلطان لذلك"[1]، وعلى الرغم من ذلك طمع السلطان في تلك الأموال، وبدل أن يقوم بإرسالها من مصر إلى مكة لظروفها الاقتصادية حاول الاستيلاء عليها، والطمع في مكوس ميناء جدة منذ عام (٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م)، وفي ذلك العام قام والي جدة تنم الفقيه الصوفي[2]، بجمع الأموال بشتى الطرق؛ نظراً لمعاناة الخزائن المملوكية من الإفلاس[3] ، ونرى المؤرخ عبد العزيز بن فهد يعلق على مسألة طمع السلاطين المماليك في أموال الأموات قائلاً: "أن الأموات يموتون بجدة ومكة ومعهم أموال كثيرة... وأنك غير ملتفت لخزائننا الشريفة ولتعميرها"[4]. هذا، وقد كان المال هو السبيل لضمان استمرار العلاقة مع السلطنة المملوكية، فتارة يرسل الشريف للسلطان الأموال؛ وذلك للحصول على تأييده، يقول العز عبد العزيز: "ضبط المتحصل بمكة المشرفة للسلطان"[5] ومن حين لآخر كان السلطان قايتباي يطمع في أموال الحجاز؛ بل تعدى ذلك الأمر، وساوره الطمع في مال الشريف محمد

(١) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ج١ ، ص ٢١٧- ٢١٨.

(٢) أرسله السلطان قايتباي لتولي نيابة جدة، فوصل إليها في الرابع عشر من شهر جمادى الثانية عام ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م، ومعه الشمس محمد بن البزادرة، وكريم الدين الصيرفي، وجاء في التوصية للشريف محمد بن بركات بأن عليه مساعدته على مقاصده، وأنه لا يظلم أحداً، ويسير كمسيرة الأمير شاهين الجمالي، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٦٢٨- ٦٢٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٤٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٧٠..

(٣) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ج١، ص ٦٢٩.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١ ، ص ٤٥٧، ج٢، ص١٠١٠.

(٥) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٣٦٨.

بـن بركـات، يقـول العـز عبـد العزيـز: "أن المراكـب القاصـدة لجـدة إذا دخلـت غيرهـا ووصل حملها يكون للسلطان خاصة"(١) ، لذلك قام نائب جدة برد بيك (٢)ولم يكتـف السلطان قايتباي بذلك؛ بل قام باحتكـار بعـض السـلع التجاريـة، وغـالى في أسـعارها، مثال على ذلـك: تجـارة الفلفـل، وقـد أدى ذلـك إلى غـلاء المعيشة عـلى النـاس، وتكبـد التجار المزيـد مـن الأضرار، ولكـن لمـا صـادف السـلطان قايتبـاي مـن علاقـة ومعاملـة حسنة من الشريف محمد بن بركات؛ مما حدا بالسلطان قايتباي لإصدار مرسوم في عام ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠بعودة جميع العشور اليمانية (٣). وعلى الرغم من ذلك ظلت العلاقة حسنة بين الشريف محمد بن بركات والسلطان قايتباي، والتي تجلـت في قيـام الـسلطان بالسماح للشريف محمد بتولى حسبة مكة(٤). وهذا الأمر يبرز مدى ثقة السلطان قايتباي بالشريف محمد بن بركات، وربما لو حاولنـا معرفـة خبايـا الأمـور، فـربما نستـشف مـن

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص٨٣٤.

(٢) عين بردبك في نيابة جدة بأمر من السلطان قايتباي في يوم ١٤ جمادى الثانية عـام ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م، وأمر تنم الصوفي بإخراج الخلعة وإلباسها لبُردبك، كـان أول عمـل قـام بـه أن ختـم عـلى تركـة الخـواجا شـمس الدين بن الزمن المتوفى في مكة، فقام بحصر أموالـه التـي بجـدة، والحفـاظ عليهـا لإرسـالها إلى مـصر. عبـد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص٧٤٣ – ٧٤٧.

(٣) العشور : ضريبة تفرضها الدولة على البضائع الواردة من بلاد أجنبية .عبد العزيز بن فهد: بلـوغ القـرى، ج٢، ص ٧٩٠.ج٣، ص ١٥٦٥.

(٤) الحسبة: أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله. المـاوردي: عـلى بـن محمـد بـن حبيـب: الأحكام السلطانية،بيروت، دار الكتب العلمية،١٣٩٨هـ، ص٢٤٠. فالحسبة لا تقتصر على مراقبة شـأن واحد من شئون الحياة، وإنما تقتضي مراقبة النواحي الدينية والاقتصادية والثقافية، وأغلب من تولى الحسبة في مكة من عائلة آل ظهيرة القرشي. ضيف الله يحيى الزهراني: أسعار المواد الغذائيـة بمكـة، مكـة المكرمـة، جامعة أم القرى،١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٩٦.

ذلك محاولة السلطان الإيهام للشريف باهتمامه بمصالحه؛ مما يجعل الشريف يجزل بالأموال للسلطان، ولو سلمنا بمسألة الثقة لوجدنا السلطان قايتباي في عام(٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) يصدر مرسوماً للشريف محمد يشيد فيه بالشريف محمد وقيامه بخدمة الحجاج، وتوفير الأمن لهم [١].

ب- علاقة الشريف بركات بن محمد (بركات الثانى) بالسلطنة المملوكية:

لم يدم الاستقرار والطمأنينة التي كان ينعم بها الحجاز في عهد الشريف محمد بن بركات، وذلك نتيجة للصراع الذي دار بين الشريف بركات بن محمد وإخوته على السلطة. ويمكن القول أن للدولة المملوكية في مصر يداً في إثارة هذه الفتنة بين أبناء محمد بن بركات؛ وذلك لخوفها من استقلال الحجاز عن التبعية وسيادة الدولة المملوكية، وبخاصة بعد ازدهار التجارة الشرقية المارة بالموانئ الحجازية، وما تدره من أرباح، في ذلك الوقت الذي تدهورت الأوضاع الاقتصادية في الدولة المملوكية؛ مما ينعكس على النواحي السياسية. فعمل المماليك على جلب أكثر قدر من المال حتى يستطيعوا فرض سلطانهم على الدولة، سواء من الأراضي المصرية والشامية، ومن التجارة الشرقية المارة بالبحر الأحمر والأراضي الحجازية، فعندما رأوا بعض التضجر من حكام الحجاز؛ وخاصة الشريف بركات بن محمد قاموا بتحريض إخوته عليه ليضمنوا لأنفسهم الأرباح الاقتصادية والسياسية من جراء الاضطرابات بين الأخوة على سلطة الحجاز، مثل الصراع بين الشريف أحمد بن محمد (جازان) وأخيه بركات عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م [٢]؛ مما سبب الكثير من القلاقل والاضطرابات داخل مكة

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص٩٧٧. عمر بن فهد: الدر الكمين، ج١، ص١١٠.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٠٣، الجزيري: الدرر، ج٤ ص٧٨١،السنجاري: منائح =

المكرمة والحجاز عامة، بإيعاز من الدولة المملوكية التي لم تر من مصلحتها تولى الشريف بركات سلطة الحجاز، لما رأته من ميوله الاستقلالية بالحجاز، وعدم ارتياحه للضرائب التي بالغت الدولة المملوكية في فرضها على التجارة الشرقية المارة بموانئ البحر الأحمر الحجازية، وكان على هؤلاء الأخوة النظر في مصلحة البلاد في كل شيء، وتقديمها على مصلحتهم الذاتية، والمحافظة على بلادهم ومصالحها، بدلاً من إثارة الصراع في مكة المكرمة وغيرها من المناطق، وكان عليهم أن يولوا السلطة من يرون جدارته للحفاظ على مصلحة البلاد والتمسك بالشرعية، وبخاصة أن أخيهم تولى السلطة مشاركاً لوالده لبعد نظر والدهم الشريف محمد، لاكتسابه الخبرة لولاية العهد.

من المؤكد أن أطماع هزاع بن محمد أكبر من منصب نيابة أخيه؛ بل تتعداها إلى الإمارة نفسها، ففي سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٨م[1] حاولت السلطة السياسية في مصر تدارك الأمر قبل أن يستفحل وذلك بالإصلاح بين الأخوين، فقامت بإرسال القاضي كاتب السر في دولة المماليك، فقدم إلى ينبع واجتمع بهزاع ثم سافر إلى مكة، وفي الوقت نفسه زحف هزاع بأتباعه من ينبع بعد سفر كاتب السر، في محاولة للضغط على أخيه بركات بعرض القوة، وفي نفس الوقت جمع بركات قواته وجميع أتباعه وخرج بهم جميعاً إلى وادي مر، وقام كاتب السر بجمع عدد من وجهاء مكة منهم قاضي مكة، وهو قاضي

= الكرم ج٣ ص١٠٦، الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٩٢.

(١) كان الأمير يحيى بن سبع على خلاف سابق مع الشريف بركات، واستطاع أن يتولى إمارة ينبع من قبل السلطة في مصر في شعبان سنة ٩٠٣هـ، وقدم من مصر الأمير شاهين الجمالي مع يحيى بن سبع لكي يصلح بينه وبين بركات، ولكن الأمير يحيى بن سبع لم يقدم إلى مكة، مما يدل أنه كان يحمل حقداً كبيراً على بركات. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٦٩.

القضاة الشافعي[١]، وقاضي المالكية بالمسجد الحرام[٢]، والقاضي الحنفي[٣] لمساعدته في الإصلاح بين الأخوين، واجتمعوا جميعاً ببركات بوادي مر، ثم أرسلوا إلى هزاع بأن يأمر الجموع التي قدمت معه وأمير ينبع يحيى بن سبع بالانصراف، ويأتي بمن معه فقط من أهل مكة حتى يتم الصلح بينه وبين أخيه، وتم اللقاء بهزاع، ووافق في البداية، ولكن أتباعه[٤] ألحوا عليه بعدم الموافقة ورفضها، وضرورة إنهاء الوضع عسكراً بين الأخوين[٥]. وأمام هذا الموقف من قبل هزاع لم يكن أمام القاضي كاتب السر إلا أن يحرص على سلامة الحجاج في هذا الموسم، فقام بمفاوضة هزاع وأخيه بركات على عقد هدنة بعدم الاعتداء حتى انتهاء موسم الحج لهذا العام ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م، وعودة الحجاج إلى أوطانهم، فوافق الأخوان على هذه الهدنة، وأخذ القاضي كاتب السر أيمانهم على حفظها وعدم الاعتداء[٦]. بعد ذلك حدث استقرار نسبي في العلاقة، ولكنها ما لبثت أن عادت مرة أخرى لما كانت عليه حين خالف الشريف بركات

---

(١) القاضي الشافعي: هو الجمالي أبو السعود. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٢١.

(٢) القاضي المالكي: هو النجمي بن يعقوب، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٢٤.

(٣) القاضي الحنفي: هو النوري علي بن أبي الليث بن الضياء الحنفي، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٢٨.

(٤) كان أتباع هزاع من قبائل ينبع، وأكثر أتباعه من قبيلتي بني إبراهيم من الأشراف، وجهينة، وقبيلة زبيد في وادي خليص، وهاتان القبيلتان كان محمد والد بركات قد أوقع بهم وقتل زعمائهم وعدداً كبيراً منهم، وكان ولده بركات هو اليد اليمنى لوالده محمد في الأعمال العسكرية، ولذا كان لهاتين القبيلتين ثارات مع بركات بن محمد، لذا أجبرتا هزاع على عدم الموافقة والصلح مع أخيه بركات. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٤٣٣، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٤٩٣، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٥١٣، ٥٥٠، ج٢، ص٩٦٦، الجزيري: الدرر، ج١، ص٧٥٠.

(٥) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٨٩، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٨٣.

(٦) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١٠٩١.

أخويه هزاع وجازان، وعندئذ جمع هزاع قواته وتوجه إلى ينبع، وأحدث بها مذبحة كبيرة[1]، وعندئذ اتصل بالسلطان المملوكي وطلب منه أن يوليه على الحجاز مقابل مئة ألف دينار[2]، وقد حاول السلطان محمد بن قايتباي من رأب الصدع بين الأخوين؛ ولهذا قام بإرسال كاتب السر البدري بن مزهر ليوقف تلك الفتنة[3]. واستطاع كاتب السر في أن يجمع عدد من وجهاء مكة، وتمكن في نهاية الأمر من الإصلاح بين الأخوين عن طريق صلح مؤقت أو هدنة تقضي بعدم الاعتداء على الحجاج خلال ذلك الموسم في عام ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨، وعقد الأيمان على ذلك[4]، هذا بالإضافة إلى أنه يصرف بركات لأخيه هزاع راتباً، هذا وقد انتظمت الأمور نوعاً ما، ودليل ذلك أنه في شهر ذي القعدة سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨ نجد الشريفين بركات وهزاع يرتديا الخلع الواردة من السلطنة المملوكية وممثلها جان بلاط[5]. وفي شهر ذي الحجة من العام ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م اجتمع أمير الحاج المصري ومعه بعض الأعيان، واتفقوا كذلك في إصلاح الحال بين الشريفين بركات وهزاع، وبالفعل تم ذلك، ففي ذلك التاريخ طلب الجميع من هزاع أن يكون مطيعاً لأخيه الشريف بركات في حله وترحاله، ويشاركه في

---

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص١٠٩٧، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣ ص٨٨، ابن الحمصي، أحمد بن محمد بن عمر: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، ج٢، ص٧٨.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٨٦.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٠٩١، ريتشارد مورتيل: الأحوال السياسية، ص١٦٢.

(٤)عبد العزيز بن فهد:بلوغ القرى،ج٢، ص١٠٩١أ١٠٩٢،عبد العزيز بن فهد:غاية المرام،ج٢، ص٣.

(٥)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ج٢ ص١١٠٢، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٩٠. الصباغ: تحصيل المرام، ص١٩٢، موريتل : الأحوال السياسية، ص٦١٢.

جميع غزواته ما عدا منطقة حلي، وتم عقد الصلح على ذلك[١]، وبهذا الصلح لم يعد سوى الشريف جازان وأتباعه، والذي طلب الصلح من الشريف بركات؛ ولكن الشريف بركات كان قد رفض، كذلك قام في الوقت نفسه بإيفاد شكوى للسلطنة المملوكية بمصر بين لها خطورة وضع جازان وأنصاره على الحجاج، وما يدل على ذلك مرسوم السلطان المملوكي الأشرف جان بلاط للشريف بركات في عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠. وفحوى ذلك المرسوم: "جعل السلطان للشريف الجازاني نفقته على أخيه السيد بركات صاحب مكة، ثلاثمئة دينار، وسبعمئة على أمير [حاج] المحمل"[٢]. ولكن سرعان ما تمرد الشريف هزاع مرة أخرى ضد الشريف بركات في شوال عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠[٣]، وهناك سببين لذلك التمرد، أولهما: قيام السلطان طومان باي الأشرفي بإرسال مرسوم للشريف بركات ويتضمن ذلك المرسوم: "أنه لا يخرج من مكة إلا بمرسوم، ويقال أنه به أيضاً، وأن الحجاز كله له المدينة ومكة وينبع، وأنه يفعل في أخيه هزاع ما أراد، والله أعلم"[٤]. والسبب الثاني في التمرد قيام السلطان طومان باي بنفي الأمير قانصوه البرج إلى مكة ليقيم بها إقامة جبرية، وأوصى بأن يكون الشريف بركات مراقباً له[٥]، وقد كان قانصوه البرج (المحمدي) عارفاً بأوضاع إمارة مكة والصراع على السلطة بين أبناء الشريف محمد بن بركات، وخلال فترة نفي

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٠٣. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣،ص٩٠.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ١١٤٣.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص١١٥٤،عبد العزيز بن فهد:غاية المرام، ج٣، ص١٠١..

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ١١٥١، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠١..

(٥)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٥١. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٠. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٤٦٩. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٦.

قانصوه البرج بمكة زادته معرفة بأحوالها أكثر، وبما فيها من خلاف سياسي بين الشريف بركات وهزاع، ومن ناحية قانصوه البرج لم يكن راضياً عن الشريف بركات، وإدارة الشريف بركات لإمارة مكة المكرمة، وذلك لتعدي المماليك على أموال التجار والسكان دون أن يحرك الشريف بركات ساكنا(١) ؛ ولهذا كله مال الأمير قانصوه البرج إلى الشريف هزاع، وحاول مساعدته في تولي الإمارة في مقابل أن يقوم الأخير بتعيينه في منصب رفيع في مصر. وفي تلك الآونة تغيرت الأوضاع، وتم عزل السلطان طومان باي وتولية السلطان قانصوه الغوري عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م، فأمر في شوال من نفس العام بعودة قانصوه البرج من مكة(٢) ، هذا وقد أرسل الأمير قانصوه البرج للسلطان الجديد يشرح له أوضاع وأحوال إمارة مكة المكرمة، ويسأله تعيين وتولية هزاع لإمارة مكة المكرمة، وبالفعل أمرت السلطنة المملوكية ممثلة في السلطان قانصوه الغوري بتعيين هزاع أميراً لمكة وإعطاءه ما كان مقرراً لأخيه بركات من المال، وقد أرسل بذلك مرسوماً وخلعة للشريف هزاع. ووصل المرسوم يوم الاثنين السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م، "وفي صبح يوم الاثنين، سابع عشر الشهر وصل أحد قاصدي الأمير قانصوه البرج اللذين أرسلهما إلى ينبع، وأحضر أوراقه للأمير قانصوه وللأمير خاير بك(٣)، ولنائب جدة بورقة من أمير الحاج المحمل سودون العجمي(٤)

---

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٥٣، ١١٥٥.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٥٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٩٠.

(٣) خاير بك: هو خاير بك السيفي إينال ويعرف بالكاشف ولي إمرة الركب الأول أكثر من مرة. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص١١٦٣، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٢٤٤،

(٤) سودون بن جاني بك العجمي، أحد المقدمين/ كان أمير المحمل المصري عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م، عبد =

أحد المقدمين، وورقة من أمير الحاج الأول دولات باي قرموط الوالي [1]، وورقة من السيد هزاع، وفي كل ورقة الإخبار بأن السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري، أنعم على السيد هزاع بولاية مكة المشرفة، عوضاً عن أخيه السيد بركات، وأنه لبس الخلعة بينبع، وأن السيد بركات على عادة أخيه من المرسوم، [فخاض] الناس [وفاضوا]"[2]. وقد يكون السلطان الغوري قام بذلك لكي يجعل حالة عدم الاستقرار تسود في منطقة الحجاز؛ خوفاً أو إحساساً منه بأن الشريف بركات بن محمد كان ينوى الاستقلال عن السلطنة المملوكية، أو نتيجة للعروض المالية التي بذلها الشريف هزاع للسلطان الغوري ولكبار دولته، وبخاصة أمراء الحج، وعلى العموم، لم يرضخ الشريف بركات؛ لذلك استعد لملاقاة أخيه هزاع، وجمع الجموع، وأتته مساعدات من ناحية شرق إمارته، من بني حسن[3] ، وعدوان، وبني سعد وغيرهم. هذا وقد أعلن أمراء الحاج ولائهم للشريف هزاع وساعدوه ضد الشريف بركات[4] وفي الحقيقة لم يكن أمراء

= العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص ١١٦٣،الجزيري: الدرر الفرائد، ج٢، ص٧٨٠.

(١) دولات باي بن ولي الدين قرموط: تولى عدة وظائف منها أمير أول، ومقدم ألف، وتولى إمرة حجاج الركب الأول عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص١١٦٣، اعبدالعزيز بن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦، الجزيري: الدرر الفرائد، ج٢، ص٧٨٠، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٧.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص ١١٦٣. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٢. الجزيرى: الدرر الفرائد، ج٢، ص٧٨٠. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٥. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٩٠.

(٣) بني حسن: هم بنو حسن بن أبي نمي بن بركات. من أشراف الحجاز، وتفرع من حسن هذا: الأشراف العبادلة، والأشراف ذوو زيد، والأشراف الشنابرة، وغيرهم وهم منتشرون بين مكة والطائف ومر الظهران ونخلة، وغيرها.عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ١١٢- ١١٣.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٤، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٢..

=

الحاج يساندوا الشريف هزاع على أخذ سلطة مكة المكرمة بدلاً من أخيه الشريف بركات إلا بإيحاء من السلطان قانصوه الغورى؛ لاستفادته من حدوث صراع بين الأخوين على المستوى السياسي يجعل حالة عدم الاستقرار تسود بلاد الحجاز، لكي لا يفكر حكامها من إبداء عدم رضاهم على تزايد الضرائب المملوكية على التجارة الشرقية المارة بالأراضي الحجازية، وبخاصة في الوقت الذي ازدهرت فيه الموانئ الحجازية بالتجارة الشرقية. ويحتفظ المماليك مما يأتيهم من الدولة لجانب من يدفع أكثر من الأموال والهدايا بغض النظر عن أيهم أصلح وأحسب إلى الناس، ويستطيع المحافظة على الأمن والطمأنينة. وحدث الكثير من المعارك بين الشريفين بركات وهزاع. ولم تخف أخبار مكة على السلطان قانصوه الغوري، ولذلك قامت السلطنة المملوكية بإرسال مرسوم إلى بركات، تعتذر فيه عن تصرف أمراء الحاج، وأن تعيينهم لهزاع هو من تلقاء أنفسهم وليس بأمر من السلطة السياسية في مصر، كما أرسلوا له بخلعة الإمارة وعشرة مماليك وخمسين قواساً، وأنه نائباً عن السلطان في جميع الحجاز، له حق التصرف في توليه من يريد على مناطقه، يقول ابن فهد: "وفي ليلة الثلاثاء سابع الشهر، جاء الخبر إلى مكة، بأنه وصل إلى السيد الشريف بركات بن محمد صاحب مكة، وهو بالبحرة ثلاثة هجانة [1] ظهر اليوم الذي قبله، وأخبروه برضا السلطان عليه، وأنهم تقدموا عن عامر شيخ [بلي]، وهو في ركائب [2] ستة في دغيم، وأن بني

= السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٥.

(١) هجانة: جماعة من الجنود يركبون الهجن، ويكلفون عادة بحفظ حدود البلاد،كما يكلفون ببعض المهام السريعة، والهجن: في الإبل السريعة. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص ١١٧٨،عبد العزيز بن فهد: غاية المرام،٣ج،ص ١١١. إبراهيم أنيس ورفاقه: المعجم الوسيط، ج٢، ٩٧٤- ٩٧٥.

(٢) ركائب: هي الإبل التي يسار عليها والمعدة للركوب. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص١١٧٨، =

إبراهيم الذين بمصر مسكوا وحبسوا، وأنكر السلطان على أمراء الحاج ذلك، وأن ألماس الخاصكي[1] واصل بحراً بالخلع والمراسيم، ومعه عشرة مماليك وخمسون قواساً للسيد بركات، ثم وصل عامر للسيد الشريف ووصلت المراسيم التي معه، والأوراق لمكة صبح يوم الثلاثاء، ويقال: إن جميع الحجاز للسيد بركات يولى فيه من يشاء"[2].

والملاحظ لدور السلطان قانصوه الغورى أثناء الصراع بين الشريف بركات والشريف هزاع يرى أنه لم يكن حازماً في تصرفه، وأنه كان مجبراً أن يفعل ذلك الفعل، وكان ذلك راجعاً إلى عدة أمور، وهي اضطراب الوضع الداخلي في السلطنة المملوكية بمصر؛ وذلك لكثرة ثورة الجلبان من ناحية، وغارات البدو من ناحية أخرى، وكذلك تواجد البرتغاليين في البحار الشرقية، والتخوف من ضياع جدة مما يعني التدمير الاقتصادي لمصر إلى جانب قلقه وخوفه من تلك المسئولية أنه حينما تولى تلك السلطنة بكى عندما أجبروه على ما يريدون، وأحضروا له الشارة والشعار[3]، ونتيجة لذلك يمكن أن نعد الجلبان هم من كانوا يملكون السلطة، فقد تصرفوا في شئونها كما أرادوا، وكثر

= محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح،تحقيق: محمود خاطر، بيروت،دار الفكر(د ت) ص١٣١، إبراهيم أنيس ورفاقه: المعجم الوسيط ج١، ص ٣٦٨.

(١) الخاصكي، حرس السلطان، جماعة من حاشية السلطان يأتون في ترتيب البروتوكول المملوكي بعد الأمراء المقدمين، وقد تمتع الخاصكية بمكانة كبيرة فكانوا يدخلون على السلطان في أوقات فراغه وفي خلوته بغير إذن وخصص لهم السلاطين الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة، ويسيقون المحمل الشريف ويرسلهم السلطان في مهماته. زين العابدين شمس الدين. معجم الألفاظ، ص ٢١٢ – ٢١٣.

(٢)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٧٨، ١١٧٩، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١١١.

(٣) شعار السلطنة: مظاهر السلطنة، أي أنواع الملابس والأدوات والترقيات التي كان يظهر بها السلطان في المواكب، سواء داخل القلعة أو خارجها، سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في العصر المملوكي، القاهرة،مكتبة النهضة العربية، ١٩٧٦م، ص٣٣٤.

فسادهم وغزوهم. ومثال على ما سبق رأينا أمير الحاج سودون العجمي بأن ساند الشريف هزاع في عام (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠)، وأعطاه الخلع، وذلك لأن الخوف ساوره من جهة هزاع، وطمعاً في الأموال أيضاً[١]، كذلك أمير الحاج أصطمر سنة (٩٠٧هـ/ ١٥٠١) والذي أضر بالحجاج نتيجة لعودته لمصر بعد انقضاء موسم الحج دون اكتمال قوات الشريف بركات، ولهذا تعرض الحجاج للمصاعب من الشريف جازان [٢] ، وهذا ما سيدرس بالتفصيل فيما بعد. على أية حال سارع السلطان الغوري في سبيل درء ذلك، وعدم ترويع الحجاج وحتى يحفظ ماء الوجه، ولهذا، قام السلطان الغوري بإيفاد حملة بقيادة قيت الرجبي [٣]سنه (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م) في ستمئة مملوك للقضاء على الفتنة[٤].

ونعود لمسألة الصراع بين الشريف بركات والشريف هزاع والتي انتهت بوفاة الشريف هزاع في رجب سنه ٩٠٧هـ/ ١٥٠٠م في منطقة السمرات[٥]، وتم دفنه بالمعلاة[٦]، وعقب وفاة هزاع تم اختيار أخيه جازان أميراً لمكة، وذلك الاختيار كان

---

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص١١٦٣، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٠٣.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص ١٢٢٣، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٢٣، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٣٧،٣٦، الحمصي: حوادث الزمان، ج٢، ص١٥٧. السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص٥٣.

(٣) من الأمراء قيت الرجبي حاجب الحجاب، واطمر من ولي الدين أحد المقدمين، وسودون الدواداري أحد المقدمين، والأمير قاني بك قرا الرماح أمير أخور كبير، والأمير قانصوه الغوري رأس نوبة النوب، والأمير أزدمر من علي باي أحد المقدمين، والأمير أنسباي أحد المقدمين، ابن إياس: بدائع الزهور ج٣، ص٤٤٦، ٤٥١.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١٢٦٩،ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٤٩.

(٥) السمرات، تقع بين وادي الآبار والعد في جنوب جدة. الجزيري، درر الفرائد، ج٢ ص ٧٨١.

(٦)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٠٢. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨١. ابن ظهيره: الجامع اللطيف، ص٢٨٢. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٦. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٩٢.

بدعم من القوات التي ساعدت أخاه هزاع في قتاله لأخيه بركات؛ وخصوصاً قبيلة زبيد، والقاضي أبي السعود بن ظهيرة[1] ، وحدث اجتماع حضره الأعيان والأشراف والقبائل كافة، وأفضى ذلك الاجتماع باختيار جازان أميراً لمكة، وعندئذ تم عمل محضر وقع عليه القضاة والأعيان وأمراء الجند المماليك، وأرسل إلى القيادة السياسية في مصر لطلب التعيين الرسمي[2]. وحينما علم الشريف بركات بوفاة أخيه الشريف هزاع رأى أن الفرصة قد حانت له، وعندئذ أعد الشريف بركات قواته وانطلق صوب مكة المكرمة، ووصلها في شعبان ٩٠٧هـ/ ١٥٠١ م، ودخلها، وعندئذ وجد الشريف جازان أنه غير قادر على مواجهة أخيه، ففر من مكة متوجها إلى ينبع، وحينما دخل الشريف بركات مكة وردت عليه المراسيم والخلع، كما هي العادة، وفيها الاعتذار عما حدث، وأن ما تم وما فعله الأمراء كان لمخافتهم من الشريف يحيي بن سبع، يقول ابن فهد: "وقرأ ابن الحناوي المرسوم، وفيه بعد السلام والتحية والإكرام الاعتذار عما وقع من الأمراء من تولية السيد هزاع، وأنهم ما فعلوا إلا لما رأوه هو وابن سبع في جمع كثير، فخافوا على الحاج، ولم يكن هذا عن أمرنا، وساءنا موت ولدك، وكان ينبغي لك لما سمعت جميعهم توجهت لهم، وقد جهزنا لك خلعة، ومرسوما على يد الأمير الماس

---

(١) أبي السعود بن ظهيرة: هو قاضي القضاة محمد بن إبراهيم بن علي، أبو السعود بن ظهيرة قاضي قضاة مكة المكرمة، تولى قضاء مكة المكرمة بعد أبيه، قبض عليه الشريف بركات بن محمد مقابل ساحل مدينة القنفذة بعد تعذيبه أمام أهل بيته في شهر ذي الحجة سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص١٢٠٢، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢،ص ١٢٠٧،انظر ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص٣٦، السخاوي: الضوء اللامع، ج٦ ص٢٦٤، المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص١٠٤.

(٢)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٠٣. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨١. يحي بن الحسين: غاية الأماني، ص٦٢٨. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٦. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٩٢.

أحد أمراء الطبلخانات [1]، والتوصية به وشافهناه بما يشافهك به، فلتقر عينا ولتنشرح صدرا، بتاريخ ثامن ربيع الأخر"[2].ومهما تكن الأسباب والاعتذارات فلابد للشريف من إظهار قبول ذلك مقابل عودته حاكماً على مكة المكرمة مرة أخرى، ثم بعد حين بدأت فترة صراع رهيب بينه وبين أخيه الشريف أحمد، لم يقتصر تأثيرها على الأخوين فقط. بل نراه يمتد إلى سكان مكة المكرمة وغيرها من المناطق، مما جعلهم يعيشون في اضطراب نتيجة لصراع الأخوين على السلطة، وانعكاس ذلك على من يقدم المساعدة للطرف الآخر، ظنّاً منه ميلهم للطرف الآخر عن طيب خاطر، أو عن إرغام لهم فيها. ولقد مر الصراع بين الأخوين بركات وأحمد بالعديد من المعارك. على أية حال حاول الحاضرون في مكة لحظة دخول الشريف بركات فيها أن يحصلوا على العفو منه ولكنه رفض. كذلك أمر الشريف بركات أن يغرق القاضي أبو السعود بن ظهيرة في البحر فحدث ذلك[3]، وكان القاضي ابن ظهيرة قد حاول هو والشريف

(١) الطبلخانات: لفظ مركب من طبل العربية، وخانة أو خانات الفارسية معناه العام، بيت الطبل، دخل العربية في بداية العصر الأيوبي فأطلق بادئ الأمر على المكان المعد لحفظ الطبول والأبواق والصنوج التي يستخدمها الجيش في الموسيقات العسكرية، اختص هذا اللفظ بالفرقة الموسيقية الخاصة بالسلطان، والتي كانت تقوم بدق النوبة في أوقات محددة على أبواب السلطان، ولها مشرف إدراري يعرف باسم إمهتار الطبلخانات ومرتبته أعلى من مرتبة أمير أربعين وغلب عليه الوظائف الإدارية داخل القصر السلطاني. للمزيد انظر مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٣٠٣ـ ٣٠٤، زين العابدين شمس الدين: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ص٣٦٣.

(٢)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٠٧. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١١٧. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٥. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٠٩، الجزيري: الدرر الفرائد، ص٣٤٩. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٨٤.

(٣)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٢٦، الجزيري: الدرر الفرائد، ص٢٤٩. العصامي: سمط =

جازان من القبض على الشريف بركات، وبالتالي يرسلون للسلطان قانصوه الغورى يطالبونه بتولية الشريف جازان والاعتراف به، وذلك نظير مبلغ من المال يدفعه الشريف جازان للسلطان المملوكي، ولكن وضحت تدابير تلك المكيدة، وفطن الشريف بركات لما يحاك ضده[1] ؛ ولكن حينما تمكن الشريف بركات من الاستيلاء على مكة، ودارت المناوشات وبينه وبين الشريف جازان، أرسل الشريف جازان صوب أمير الحاج المصري أصطمر ابن ولي الدين في شهر ذى القعدة سنه ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، يطلب منه المساعدة في صراعه مع الشريف بركات، وأنه لم يصلح للبلاد إلا هو، فرفض أمير الحاج [2].وهذا الرفض يبين لنا مفهوم السياسة المملوكية في الحجاز، والتي سبق أن أشرنا إليها. وهي تولية الشريف الذي يستطيع الاستيلاء على السلطة بالقوة، ويدفع أكبر قدراً من الأموال للخزانة السلطانية؛ بغض النظر عن معاملته للرعية وحفظه للأمن، وعندما يئس من الإغارة على حجاج الشام، وقتل منهم جماعة، والنهب والسلب لم ير الأمير أصطمر إلا أن يهادن الشريف جازان، ويطلب منه مبلغ خمسين ألف دينار يدفعها للخزانة السلطانية إذا قام بمساعدته ضد أخيه الشريف بركات، وكان غير راضي على عصيان الشريف جازان. ولقد دارت العديد من المعارك بين الشريف جازان وبين الشريف بركات تعرض فيها الحجاج لمزيد من التعديات، هذا إلى جانب انتصار الشريف جازان في الكثير منها، كان أحد تلك الانتصارات في

= النجوم العوالي، ج٤، ٢٨٤. ابن الديبع: الفضل المزيد، ص٢٦٩. السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص٣١٠.

(١)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٢٢،موريتل، ريتشارد: الأحوال السياسية، ص١٦٣.

(٢)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٢٢، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٣٧.موريتل، ريتشارد: الأحوال السياسية: ص١٦٤، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٣٧.

الرابع والعشرين من شوال سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م[١] حيث تمكن الشريف جازان من سحق الشريف بركات في تلك المعركة. وحينما علم السلطان الغوري بما دار من صراع بين الشريف جازان وبركات، قرر اتخاذ خطوات حاسمة، كان منها إرسال قوات عسكرية لوضع حد لتلك الأزمة، وإنهاء حالة النزاع بين الأخوين جازان وبركات، وتولية من هو أجدر وأقوى على تولي الحكم. وفي العام نفسه أرسل السلطان الغوري بخلعة للشريف جازان وتوليته على إمارة مكة؛ مما يدل على أن السلطنة المملوكية وسياستها قد رأت في الشريف جازان قوة عسكرية متنامية يصعب التغلب عليها، وفي الوقت نفسه لم يحز بركات على أية تقدمات تذكر. وفي مقابل تلك الخلعة طلب السلطان قانصوره الغوري من الشريف جازان دفع رسومها ورسوم الولاية، وتقديم الدية، وقدرها مئة ألف دينار لمن قتل في تلك المواجهات من جنود الدولة الذين شاركوا مع بركات، وقتلوا على يد الشريف جازان[٢]. خلال ذلك الوقت كان الشريف جازان بمكة ولكنه هرب منها لأسباب منها: خوف الشريف جازان من الحملة العسكرية، والقوات العسكرية التي أرسلها السلطان قانصوه الغوري، وخاف أن يكون هدفها القبض عليه وتعيين بركات. والأمر الثاني: أن خروج الشريف جازان مبكراً من مكة إلى ينبع يمكنه دون غيره في مقابلة أمير تلك الحملة؛ وبالتالي يمكن مفاوضته على منصب الإمارة، وإن أحس بشرٍّ من أمير تلك الحملة يمكن أن يهاجمه،

---

(١)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٥٨-١٢٦٧. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٣٧-١٣٥. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٠٩. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٠٩. ريتشارد، مورتيل: الأحوال السياسية، ص١٦٧.

(٢)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٥٠.

وعند ينبع تمكن الشريف جازان من مقابلة أمير الحملة قيت الرجبي، واتفق معه على أن يدفع له مقدار من المال على أن يقوم بالقبض على أخيه بركات، ويعين على الإمارة، وكان لابن القاصد جلال الدين بن جوشن[1] دور في ميل الأمير قيت الرجبي لصالح جازان، فقد أرسله والده الذي كان موالياً لجازان لكي يقابل الأمير قيت الرجبي، ويبين له أن الأفضل للبلاد تولية جازان وليس بركات[2]. وتمت الحيلة بين الشريف جازان وبين قيت الرجبي، والتي تمكنوا فيها من القبض على الشريف بركات[3] ومعه العديد من أعوانه، وتمَّ سجنهم بعد انقضاء موسم الحج، وتولية جازان الإمارة بعد أن تعهد للدولة بمبلغ من المال في عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣[4]. وانتهى أمر ذلك الصراع في تلك المرحلة بمقتل الشريف جازان على يد بعض من الجنود المماليك في رجب ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م[5]. وبعد انتهاء حملة قيت الرجبي على مكة عاد ذلك الأمير ومعه الشريف بركات عام ٩٠٩هـ، وعندما وصل أحسن السلطان استقبال الشريف بركات، وأمر بفك قيوده وإيداعه في بيت الأمير قيت الرجبي[6]. وكان ذلك الفعل الذي قام

---

(١)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٥١.

(٢)عبدالعزيز بن فهد: المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٧٠.

(٣) الذين تم القبض عليهم مع الشريف بركات، أخوه قايتباي، ورميثة، ومشهون بن عجل النموي وعنقا بن وبير، وعلي بن ريحان الحسني، ومسعود فتى فارس بن شامان. ابن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٧٦.

(٤)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص،١٢٨٢. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٣٨، ١٤٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٤٧، ٤٨. الجزيري: الدرر الفرائد، ج٢، ص٧٨٦. يحي بن الحسين: غاية الأماني، ص٦٣٠. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١١٠.

(٥)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٠١أ١٣٠٢. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٦٦. الجزيري: الدرر الفرائد، ج٢، ص٧٨٦. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٣٠١. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١١٠. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٣٢.

(٦)عبدالعزيز بن فهد، بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٢٦، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٥٧. السنجاري: =

به السلطان هو جعل الشريف بركات تحت رقابة قيت الرجبي وتحت سيطرة رجال الدولة يرصدون أخباره وتحركاته؛ وبالتالي يطلعون السلطان علماً بذلك. وعلى الرغم مما فعله السلطان في الشريف بركات إلا أن الشريف بركات استفاد مما فعله السلطان به؛ حيث تمكن الشريف بركات من التعرف على رجال الدولة وإقامة الصدقات معهم، والتحالفات التي تحقق له أهدافه المستقبلية، وفي تلك الفترة لم يكن ليهدأ أعداء الشريف بركات ليستكينوا، بل أخذوا يرسلون للسلطنة المملوكية ويؤلبوها عليه، ذاكرين لها بأن الشريف بركات يمتلك أموالاً ورثها عن أبيه الشريف محمد، ولم يكتفوا بذلك، بل أخذوا أيضاً في تقديم الأموال لرجال الدولة وإقناعهم على تغيير مكان سجن الشريف بركات ونقله إلى الإسكندرية[1]. وعندما علم الشريف بركات بمقتل أخيه الشريف جازان راودته الآمال مرة أخرى، ورغب في العودة لبلاده وتولي الإمارة، ولهذا فكر في الهرب، وقد أشار له البعض في ذلك، وأعدوا له ما يحتاجه في سفره[2]، وهرب الشريف بركات ولم تعلم السلطنة المملوكية بهروبه إلا بعدها بيومين، فقد كان قد فر وهرب في السابع من شوال لعام (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م) [3]، وخلال

= منائح الكرم، ج٢٣، ص١١٠. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣١٠.

(١)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص١٣٢٧.عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٦٥.

(٢) قيل أن الأمير الذي أشار عليه بالهرب هو أمير سلاح قانصوه. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٦٦.

(٣)عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٢٧. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٦٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦٢. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١١٠. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣١٠. ويدل هروب الشريف بركات على أن الأمير قيت الرجبي والذي كان سببا في القبض عليه أيضا من ساعد في هروبه والدليل على ذلك أنه كان في منزله، وقد حدث وأن اتهمت السلطنة المملوكية الأمير قيت الرجبي في ذلك مما أدى إلى حدوث الخصام بين الأمراء في مجلس السلطان. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦٢.

هروب الشريف بركات التقى بركب الحجاج، واطمئن أمير الحاج أنسباي[1] من أن بركات لا يرغب في قتال ركب الحاج في مقابل أن يرسل أمير الحاج إلى السلطان بإعادة توليته، في ذلك أرسل الشريف بركات رسائل للسلطان الغوري وفيها يعتذر للسلطان عن هروبه، وأنه لا يريد شراً بركب الحاج، وخلصت تلك المراسلات في أن يرسل السلطان أنصار بركات وأهله له، يقول ابن فهد: "واتفق مع أمير الحاج أن يرسل للسلطان يولى هو وأخوه قايتباي، فأرسلوا عراراً بأوراق أمير الحاج وهو يسأل في ذلك بأوراق الشريف بركات، وفيها أنه طائع لله ورسوله ولمولانا السلطان، وأن ما أخرجه من مصر إلا ضيق الحال من النفقة، والخوف على نفسه، وهو في خدمة السلطان، ومهما أمر به السلطان، فالسمع والطاعة، ويسأل فضل السلطان في إرسال أهله، وأنه وجد بطاحاً وقتله، وأراد أهله المجيء مع الحاج فلم يتيسر، وجاءوا"[2].

توجه الشريف بركات بعد ذلك إلى مكة، ولم يرغب في دخولها خوفاً من السلطان الغوري، وخاف أن يقبض عليه كما فعل من قبل[3]، وبعد مناوشات قليلة بين الشريف بركات والشريف حميضة، وفي تلك الظروف أرسل الشريف بركات للسلطنة المملوكية ممثلة في السلطان الغوري، وطلب منه أن يوليه إمارة مكة المكرمة، وفي تلك الأثناء حاول أمراء الحاج في محاولة التقريب بين الأخوين، وتضييق الهوة ما بينهم،

(١) أنسباي: هو أمير الحاج أمير الركب الأول تاني بك النجمي أحد المقدمين، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢،ص١٣٢٧،ابن إياس: بدائع الزهور ٤/ ٥٨.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٢٨. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٦٨. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٨. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١١١. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٢١.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٢٨،عبد العزيز بن فهد:غاية المرام، ج٣، ص١٦٩.

واتفقوا على أن يكون للشريف بركات ثلث دخل الإمارة من ميناء جدة؛ على أن يتوقف زحفه على مكة أو جدة، ويكون هذا حتى يصل مرسوله من مصر، فوافقه بركات على أن يكون له نصف الدخل، ويسمى الثلث فقط[1]، وفي النهاية تم اختيار قايتباي بن محمد [2] أخو الشريف بركات أميراً لمكة[3] في يوم الثالث من شهر صفر سنه ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م[4]. إلا أن الخلاف قام بين الأخوين علي تولي الإمارة، وفي عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م تم الصلح بين الأخوين قايتباي وبركات، وذلك بناء على أمر من السلطنة المملوكية، وتولي قايتباي ولاية مكة حتى وافته المنية عام ٩١٨هـ/ ١٥١٢م[5]

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢،ص١٣٣٧،عبد العزيز بن فهد:غاية المرام،ج٣، ص١٧١أ١٧٢،.

(٢) قايتباي بن محمد بن بركات الحسني المكي، كان حليفاً لأخيه بركات ضد إخوته المتبقيين وبينهما صداقة حميمة، جعلت من بركات يقبل بتعيينه بدلاً منه أميراً لمكة، توفي في ربيع الأول سنة ٩١٨هـ. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٣٤٧. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٢٤٧.

(٣) ذكر السنجاري في منائح الكرم، ج٣، ص١٥٤. والعصامي: سمط النجوم العوالى، ج٤، ص٣٠٢. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٢٢. أن بركات تنازل عن إمرة مكة لأخيه قايتباي، وأشرك معه ابنه علي بن بركات، وهذا القول لم يذكره ابن فهد في بلوغ القرى، وابن فهد في غاية المرام ولهذا لم نأخذ به لأن ابن فهد لم يذكر تعيين علي شريكاً لقايتباي، وهذا هو الأصح؛ حيث إنه كان حياً ومتواجداً في مكة أثناء الحدث، ولهذا يكون ما ذكره هو الأقرب للصحة، مع أن بركات تنازل لأخيه قايتباي فهذا صحيح يدل على حنكة بركات، فقد كان أخوه قايتباي صديقاً حميماً له؛ بخلاف جميع إخوته فكان قايتباي لا يبرم أمراً دون مشورة بركات لما يحمله من رصيد سياسي وعسكري في معالجة الأمور لما مر عليه من أحداث جسام.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٣٤٧، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٧٣.. ابن ظهيره: الجامع اللطيف، ص٢٨٢. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٥٤. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٢٢.

(٥)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى: ج٣، ص١٨٣٥. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٢٤٧. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٩٤. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٣٠٢. ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٢٨٢. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٣٠.

وعندئذ قامت السلطنة المملوكية بتنصيب الشريف بركات أمير لمكة مناصفة ومشاركة مع ابنه محمد أبو نمي. ولكن ما لبث أن دبَّ الصراع بين الأشراف وحلفائهم؛ حتى تمكن الشريف بركات من هزيمة الأشراف وقبيلة الصيادلة هزيمة نكراء، ومثَّل ببعضهم، وشردَّ الآخرون، ومن بقي من الأشراف توجهوا لمحاولة الوقيعة بين السلطان قانصوه الغوري والشريف بركات. ولكن آمالهم ذهبت أدراج الرياح؛ وذلك لقوة العلاقة بين السلطان الغوري والشريف بركات. فما كان من السلطان إلا أن استقبلهم، ولم يعطهم شيئاً، وفرَّق أماكن سكنهم، وأوفد يخبر بركات بأنه متحفظ عليهم[1] ، مما يوضح جلياً مكانة الشريف بركات المرموقة عند السلطنة المملوكية.

ج- العلاقة المملوكية الحجازية وسط الصراع بين أشراف مكة:

إلى جانب ما سبق، فإن الشريف محمد بن بركات حاول طيلة حياته ،وسعى بشتى الطرق في كسب رضا السلطان قايتباي[2] عليه[3]، ولهذه العلاقة، طلب السلطان الشريف عما يريده، فكان رد الشريف: "أن الموسم العدني لنا نصف عادة قديمة،

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٤٧. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٢٨٢-٢٨٣. ابن اياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٣٨٣.

(٢) ولهذا قام بتولية الشريف محمد بن بركات على كافة الأقطار الحجازية وكذلك الوقوف كحائط صد في وجه كل من يحاول إزالة السلطة المملوكية بالحجاز أو إصابتها بالتدهور. وكان من أبرز الأمور والتي أوضحت كيف كانت العلاقة بين الشريف محمد بن بركات والسلطان قايتباي:هي حج السلطان قايتباي سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م وكيف حاول الشريف محمد بن بركات أن يبرهن له مدى اهتمامه به. وفي ذلك العام انطلق السلطان قايتباي لأداء الحج ويعد السلطان قايتباي هو السلطان الوحيد من السلاطين والمماليك الجراكسة الذي قام بتأدية هذه الفريضة العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٤٥، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٥٣٣، مورتيل: الأحوال السياسية، ص١٥٧.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ١٤٧.

وللسلطان نصفه، فإن سمح السلطان بما يخصه كان ذلك أوفق أنعام، وأوفر وأجل مكرمة تشتهد عنه وتذكر"[١]، فصار العدني من حق الشريف كاملاً من سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) والسلطان قد أخذ منه النصف من سنتين[٢]. ومنذ تلك اللحظة بدأت المراسيم تفد من السلطنة المملوكية بمصر معلنة استمرار تأييد السلطان قايتباي للشريف محمد بن بركات، ومن أمثلة تلك المراسيم: أحدها مؤرخ بتاريخ يوم الجمعة السادس والعشرين من ربيع الآخر (٨٨٧هـ/ ١٤٨٠م) ويتضمن المرسوم: "أن الحاج وصل سالماً، وهم شاكرون منكم[٣]، ويشكره علي وصل المبلغ المرسل به، وأظنه من جهة سبع[٤]، كان أخذه في بلده لبعض التجار، وبقي بقية المبلغ، فإن تأخرنا فهو من ضمان سبع، وأن جميع ولايات الحجاز تتعلق بك فتولى فيها من تشاء. وأن الخواجا جمال الدين الطاهر وصل سالماً، وقابلناه بالإكرام، وألبسناه خلعة لما وصل إلينا، وخلعة لما سافر، وأرسلنا لأخيه الخواجا نور الدين [٥]خلعة فليلبسها. والمبلغ الذي قبضه الأمير شاهين الجمالي من الخواجا هبة الله لمحمد بن القاضي يحيى قبضه وبينه

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٢، ص ٧٩٠، الجزيري: الدرر الفرائد، ج٢، ص١٧٢٣.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص١١٤، الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٧٥٨.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٢٠٧.

(٤) سبع بن هجان بن محمد بن مسعود الحسيني أمير ينبع، وليها مرة بعد أخرى إلى ان مات في ذي الحجة عام ٨٨٧هـ واستقر بعده دراج بن معزي بتقرير من صاحب الحجاز لتفويض إمرة الحجاز إليه. انظر السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص ٥٣٧. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٢٠٥

(٥) الخواجا نور الدين: هو علي بن حسن بن محمد بن قاسم بن علي بن أحمد نور الدين ابن الخواجا بدر الدين الطاهر أخو الجمال محمد وهو أكبر، ولد عام ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م، نشأ بمكة فقرأ القرآن وصلى به وسمع على التقي بن فهد وغيره، سافر عام ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م إلى القاهرة ثم عاد، مات في اوائل صفر سنة ٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٢٠٧، السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٢١٣-٢١٤.

وبينه الشرع، إن زاد عليه شئ قبض منه – وأنه بلغنا أنه يؤخذ المكس على الحجاج الواصلين إلى جدة من الشام، وزاد المكس في هذه الأيام، وأننا أرسلنا لكم في ذلك، فذكرتم أنه ليس على ذلك شئ، وحلفتم بالله أنكم ما تأخذون شيئاً، وأن الآخذ له العسكر، وإن طلبتم تركه تركناه. وقد طلبنا ذلك، وأنه بلغنا عن بعض طلبة العلم، أن بمكة يصرف المحلقة بمساعيد[1]، وينادى على ذلك جهاراً: ويقال: محلق بمساعيد. وهذا حرام (وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال.: [....] وقال أيضاً [...]. والمقصود ترك ذلك] وأنك مقرب عندنا وما عندنا أعز منك"[2] وهذا المرسوم يبين كيف منح السلطان قايتباي الشريف محمد بن بركات السلطة، وأقره على ولاية الحجاز، وامتدت سلطاته إلى توليه جميع المناصب في الحجاز. وهناك مرسوم آخر مؤرخ بتاريخ ثالث عشر صفر من عام (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م)، وقرئ هذا المرسوم يوم الجمعة العاشر من شهر ربيع الآخر وفيه: "الثناء عليه من السلطان، وإنك مقرب عندنا، وإن أمر جميع الحجاز إليك، وأن الحجاج وصلوا سالمين، وهم شاكرون، وأمير الحاج وصل عادته بمكة والينبوع، وغير ذلك من نحو هذه المقولات"[3]، وهذا المرسوم تعترف فيه

---

(١) المساعيد (الدرهم المسعودي): وينسب إلى الملك المسعود يوسف ابن الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب صاحب اليمن ومكة، ويرجح أنه أمر بضربه بمكة خلال فترة حكمه لها بين سنة ٦١٩هـ -٦٢٦هـ. والدرهم المسعودي من فضة خالصة، مربع الشكل يساوي في المعاملة ثلثي الدرهم الكاملي وظلت الدراهم المسعودية يتعامل بها في مكة إلى نهاية العصر المملوكي وقد ضربت بها في سنوات ٨٤٨هـ، ٩٠١هـ، ٩٠٩هـ. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج١،ص ٢٠٨، الفاسي: العقد الثمين،ج٧، ٤٩٢، ٤٩٥، مورتيل: الأحوال السياسية، ص١٩٤.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى: ج١، ص٢٠٧: ص٢٠٩.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص٢٦٤، ٢٦٥.

السلطنة المملوكية ممثلة في السلطان قايتباي بسيادة الشريف محمد بن بركات على إقليم الحجاز. وهناك مرسوم ثالث بتاريخ الثاني عشر من جمادى الآخرة من عام (٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م)، وقرئ بتاريخ الثالث والعشرين من شهر رمضان من العام ذاته، ويتضمن "مكاتيبك وصلت إلينا، وبلغنا الشريف زين الدين عنقاء الرسالة التي معه وفهمنا ذلك، وأنك عندنا معظم وإن بعدت المسافة، وصاحب الأقطار الحجازية، ولتقر عيناً، ولتبسط يدك، وأرسلنا لك خلعتين أطلسين"[1]، وهذا المرسوم تضمن إقرار السلطان قايتباي لشريف مكة الشريف محمد على بلاد الحجاز كافة. ومن خلال تلك المراسيم السابقة التي أرسلها السلطان قايتباي للشريف محمد بن بركات نستطيع أن نستشف منها تلك العلاقة الحسنة التي كانت بين الاثنين، والتي كان لها أثرها الإيجابي الكثير، من تلك الآثار: أنها أدت إلى تحقيق الاستقرار والأمن في ولاية الحجاز طيلة عصر الشريف محمد بن بركات، كذلك أدت إلى طمأنة الشريف بمنصب الشرافة، وكذلك طمأنة السلطان قايتباي، والذي يضمن بذلك استمرار السيادة والسيطرة المملوكية على الحجاز عامة، وإمارة مكة خاصة، وكذلك ضمان مورد مالي وقت الحاجة للسلطة المملوكية. ونتيجة لعملية الدعم التي قدمها السلطان المملوكي قايتباي للشريف محمد بن بركات تمكن الشريف من أن يقوم بشن الغارات على قبائل الحجاز مدعوماً بمراسيم السلطان قايتباي ففي عام (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م) قام بالإغارة على قبيلة مطير، وفي عام (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م) غزا ابنه الشريف بركات عرب

(١)عبد العزيز بن فهد: المصدر السابق، ج١، ص٥٨٩. والأطلسين، مفردها أطلس، وهو نسيج من الحرير، عبارة عن وشاح يلبس علي الكتف. انظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية القاهرة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٥٦١.

الحنيش[1]. وفي عام (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م) قاتل الشريف محمد بن بركات وابنه بركات بني إبراهيم وانتصر عليهم[2]. وفي عام (٨٩٣هـ١٤٨٧) نازل بني لام وانتصر عليهم. ونختتم ذلك العصر بعام (٩٠١هـ/ ١٤٩٥م)، حيث قام الأمير حسن بن زبيري من آل نعير أمير المدينة المنورة بالاعتداء على المسجد النبوي، وعلى قدسية مسجد الرسول الكريم ﷺ، وكان ذلك من الأمور التي أزعجت الشريف محمد بن بركات والسلطان المملوكي قايتباي[3]، وقد حاول حسن بن زبيري إجبار بعض الفقهاء أن يقولوا أن الشريف محمد هو الذي دفعه لفعل ذلك، وحينما علم السلطان قايتباي بذلك طلب من الشريف محمد بن بركات بالقبض على حسن بن زبيري أمير المدينة.

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٢٥٢. عرب الحنيش: هم فخذ من ناصرة عرب بجيلة ويقطنون جنوب غربي مكة واسم شيخهم بريمان. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج ٢، ص ٥٤٢. عاتق البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص ١٢٦.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ٤٤٣.

(٣)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ج٢، ص٩٣٠-٩٣١، السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص١٠٠.

ثانياً: العلاقات مع موظفي ونواب السلطنة المملوكية:

أ- حملات موظفي السلطنة المملوكية علي الحجاز:

على الرغم من أننا أشرنا إلى تلك الحملات في سياق حديثا السابق إلا أننا رأينا أن نفرد لها عنصراً خاصاً بذاتها، وذلك لأهميتها في التاريخ المكي. فقد كانت السلطنة المملوكية المصرية تسعى من أجل السيطرة على مكة؛ لما لها من مكانة دينية بصفة من يسيطر عليها يصبح راعي الحجاج، وأهمية اقتصادية في كونها مرتبطة بالتجارة العالمية، ولهذا رغبت مصر في السيطرة عليها، وذلك من أجل حرية التجارة بين مصر والحجاز وبلاد الشام، وكذلك سلامة الحجاج من مصر والشام من أي رسوم جمركية عليهم، وتأمين مغادرتهم ووصولهم.

١-قيت الرجبي وحملته على مكة عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م.

كان الصراع على أشده بين أبناء الشريف محمد بن بركات، ذلك الصراع الذي عاد بنتائجه الوخيمة على الحج، فقد أصبحت طرقه غير آمنة من ينبع إلى مكة، ونتيجة للهزائم التي كان يمنى بها كل خصم من الخصوم، احتارت السلطنة المملوكية في تعيين الشريف. فعندما تعين السلطنة المملوكية أحد الأشراف، لم يمر الوقت إلا ويقوم منافسوه ويتمردون عليه، ويتمكنون من سحقه؛ مما يجعل السلطنة في موقف حرج، ومضطره إلى اختيار شريف جديد في أسرع وقت؛ لضمان سلامة الحاج. وخلال عملية الصراع بين الشريف جازان والشريف بركات، استطاع الشريف جازان أن ينتصر أكثر من مرة، كان منها واحدة عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، وفيها تمكن الشريف جازان من الانتصار على الشريف بركات، وتبع ذلك أن عاث أتباع الشريف جازان فساداً في مكة، تلك الأمور التي أثارت غضب السلطنة المملوكية عامة، والغوري خاصة، ولهذا

أراد درء تلك الأمور، وإزالة ذلك الشيء من على كاهل أهل مكة؛ ولذلك أرسل حملة عسكرية بقيادة قيت الرجبي[١]، وفي ذلك الوقت جعله أميراً لركب المحمل إلى جانب الأمير أنسباي، إلى جانب ستمئة من المماليك السلطانية، وجعل لكل جندي منهم مئة دينار ذهب، إلى جانب إمدادهم بآلات الحرب، وقد اتخذت السلطنة المملوكية تدابير أخرى لحماية ركب الحج بأن أمرت بعدم حج النساء في ذلك العام، وذلك حتى لا يتعرضن للسبي والقتل إذا ما منيت تلك الحملة بالفشل[٢]. وفي شهر شوال من ذلك العام غادرت الحملة مصر، وكما ذكرنا من قبل أن الشريف بركات كان قد علم بأمر الحملة، ولهذا فضل الفرار من مكة وتحاشى مقابلتها؛ لأنه ظن أن الحملة قد أرسلت للقبض عليه. وبالتزامن مع ذلك راسل الشريف بركات الأمير قيت الرجبي، وبدأ يفاوضه بشأن توليه الإمارة، وحاول أن يقنعه بذلك؛ ولكن ما أن ترامى إلى سمع الشريف بركات وعلمه بمغادرة الشريف جازان لمكة حتى سارع الشريف بركات لها، وأخذ يعد العدة لاستقبال ركب الحاج المصري، وذلك في شهر ذى القعدة من العام ذاته[٣]. وقد كان الأمير قيت الرجبي يحمل هدفاً واحداً وهو في طريقه إلى مكة، وهو

(١) هو الأمير قيت الرجبى أتابكي الدولة المملوكية عين عام ٩٠٨هـ. كان يشغل أمير سلاح في عهد السلطان العادل طومان باي، عين أميراً لركب الحاج المصري، وأميراً لحملة عسكرية مصاحبه للركب بهدف تهدئة الأوضاع في مكة المكرمة، قبض عليه السلطان قانصوه الغوري سنة ٩١٠ وصادر أملاكه. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٦٩، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٧٣، ٤٨.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٦٩. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٧. ابن اياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٤٨. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٦. ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٢٨٣. يحيي بن الحسين: غاية الأماني، ص٦٣٠. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٩٩. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٣٣. مورتيل ريتشارد: الأحوال السياسية، ص١٦٧.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٧١. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٧. ابن إياس:
=

القبض على الشريفين بركات وجازان المتنازعين على السلطة، ولم يكن يحمل البشرى لأحدهم يتولى إمارة مكة. ولحسن حظ الشريف جازان الذي تمكن من مغادرة مكة وفرق قواته حتى لا يسهل القضاء عليها، وفي الوقت نفسه قام الأمير قيت الرجبي بإيفاد المراسيل، ومضمونها مساندته للشريف جازان ومساعدته في تولى إمارة مكة مقابل مقدار من المال، وقد وافقه جازان على ذلك؛ وذلك خوفاً من جازان، وخوفاً من هجومه على ركب الحجاج. وكان تفاوض الأمير قيت الرجبي مع الشريف جازان تعول عليه السلطنة آمال كثيرة، فكان الأمير قيت الرجبي يحاول تحقيق عدة أهداف، منها: سلامة الحجاج في المنطقة من ينبع لمكة، والمعروفة بولائها للشريف جازان، وكذلك يهدف من ذلك التفاوض للحصول على مكسب مادي مقابل مساعدته لجازان في تولي الإمارة، وكان ذلك الربح المادي يبلغ ستون ألف دينار للخزانة السلطانية، إضافة لعشرة آلاف دينار هي نصيب قيت الرجبي[1]. وبعد أن أبرم ذلك الاتفاق، أراد قيت الرجبي أن يرسم لنفسه دوراً ويحقق مكسباً أكبر، ويعلو في نظر السلطنة المملوكية؛ ولهذا قام بالتخطيط للقبض على الشريف بركات، وعلم أن ذلك لن يتم إلا بالخديعة، ولهذا أرسل قيت الرجبي إلى الشريف بركات يطلعه علماً بأن غرض تلك الحملة هو القضاء على الشريف جازان والقبض عليه، وتعقب أنصاره،

= بدائع الزهور، ج٢، ص٤٨. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٦. ابن ظهيره: الجامع اللطيف، ص٢٨٣. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٩٩. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٣٤. مورتيل، ريتشارد: الأحوال السياسية، ص١٦٧.

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٧٣، ١٢٨١، عبد العزيز بن فهد: غايه المرام، ج٣، ص ٧. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٣٤. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣١٠. ريتشارد، موريتل: الأحوال السياسية، ص١٦٨.

وظل قيت يمنِّي الشريف بركات بالإمارة، ولهذا قام الشريف بركات وتشاور مع أتباعه من الأشراف والذين أملوا عليه بمقابلة ركب الحاج باعتباره الأمير الشرعي لمكة، ولذا قام الشريف بركات بملاقاة ركب الحاج وتقديم كل ما يرغبون فيه من طعام وشراب، كذلك قام الأمير قيت الرجبي بإلباس الشريف بركات خلعة لإمارة مكة، وبذلك بدأ شعور الاطمئنان يدخل إلى قلب الشريف بركات، كما أخذ يتردد على منزل الأمير قيت الرجبي، وهنا انطلت عليه الخديعة، ودبر الأمير قيت مؤامرته هو وأتباعه، واستطاع القبض على الشريف بركات وعلى أتباعه، وذلك في شهر ذي الحجة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، ومعه أخوه قايتباي ورميثة، وكانوا مقيدين، وعند مروره بينبع اتفق الأمير قيت الرجبي مع أهلها نحو تولية الشريف جازان بن محمد إمرة مكة، وكان أهل ينبع من أنصاره، فعاد جازان إلى مكة في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م[1]. وفي مستهل ربيع الأول من عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣ سافر الأمير قيت الرجبي من ينبع إلى مصر، وعرض على السلطان ما قام به، فرفض السلطان وغضب مما فعله من اعتقال بركات وتولية جازان، وعندئذ تم فك جميع المأسورين من قيدهم، ولا يسمح لهم بالرحيل إلا بإذن السلطان[2]، وذلك حتى يمنع السلطان

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٧٥، ١٢٨٨، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٧٨. ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٢٨٣. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٩٩. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٣٥. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣١٠. موريتل ريتشارد: الأحوال السياسية، ص١٦٨.

(٢) عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٢٦، عبد العزيز بن فهد، غاية المرام، ج٣ ص١٥٨، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٥٦. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٧. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٣٠١. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣١٠.

الفتنة والصراع أن ينشب من جديد برجوعهم لمكة.

٢- خايربك إينال وحملته على مكة عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م:

لم يكن تولية الشريف جازان إمارة مكة المكرمة هو نهاية الصراع على السلطة، بل إن توليته كانت بداية لتصارع الأوضاع السياسية من جديد، فسرعان ما دب الصراع بين الشريفين جازان وحميضة على إمارة مكة المكرمة؛ والذي أفضى في النهاية بنهاية حياة الشريف جازان وقتله في عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م، وتولى الشريف حميضة إمارة مكة المكرمه[(١)]. ونحن نعلم أن الشريف بركات كان مسجوناً بمصر حيث قد أتى به الأمير قيت الرجبي والذي فكر في الهروب، وبالفعل تمكن من الهروب إلى الحجاز في شهر ذو القعدة سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م[(٢)] وكان ذلك الهروب يعني احتدام عملية صراع جديدة بين الشريف بركات والشريف حميضة، وقد كان أتباع الشريف جازان وخاصة من قبيلة بني إبراهيم وزبيد يكرهون الشريف حميضة؛ لأنه سبب في مقتل الشريف جازان؛ ولهذا خرجوا عن طاعته، فقام الشريف حميضة بالإغارة عليهم وتبديدهم، وقد ساعدته في ذلك القوة العسكرية القائمة في مكة. وكان سبب الهجوم على تلك

---

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٠١. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٦٥ـ١٦٦. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦٢. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٧. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٣٠١. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٤٩. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٢٢.

(٢)عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى، ج٢،ص ١٣٢٦، عبد العزيز بن فهد :غايه المرام، ج٣، ص١٦٥ـ ١٦٦. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦٢. الجزيرى: الدرر الفرائد، ج٢، ص٧٨٧. العصامي: سمط النجوم العوالى، ج٤، ص٣٠١. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٤٦. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٢٠. موريتل، ريتشارد: الأحوال السياسية، ص١٦٩.

القبائل هو الخوف الذي ساور الشريف حميضة من أن تقوم تلك القبائل بالانتقام للشريف جازان وتقوم بقتل الشريف حميضة[1]، ولقد كان أثر ذلك خطير حيث إنه لم يحاول أن يأخذ منهم أعوان ولكن قاتلهم؛ مما سبب له أن قاموا بالسلب والنهب في مكة، وقاموا باعتراض القوافل التجارية القادمة لها، وعندما وصل الشريف بركات إلى إمارة مكة أخذ يعد نفسه، ويعد العدة، فأعدَّ أعوانه، وأخذ يهدد القادمين لمكة كافة، من تجار وحجاج، والإغارة عليهم كلما سمح له الأمر بذلك، وبذلك تأزم الموقف، واضطربت الأوضاع في إمارة مكة المكرمة[2]، وبهذا الأمر أصبحت مكة وما جاورها ميداناً للصراع والنهب، فساد المنطقة الفوضى، وهذا بدوره كان يؤثر على موسم الحج نفسه من عدم القدرة على ممارسة الشعائر الدينية، وكذلك ممارسة التجارة. لم يمض طويل إلا وقد قام الشريف حميضة بالتحالف مع قبيلة بني إبراهيم ممثلة في زعيمهم يحي بن سبع، وقبيلة زبيد ممثلة في أميرها الشيخ مالك بن رومي، وربما كان هذا التطور يتضمن يداً مملوكية، ففي تلك الآونة قامت السلطنة المملوكية ممثلة في السلطان الغوري، بتعيين قايتباي بن محمد أميراً لمكة، وقد قبل بركات هذا الأمر؛ لأنه كان بإيعاز منه، ولم يمر ذلك الأمر على خير، فقد أعلن الشريف حميضة غضبه، وهذا ما دفعه للارتباط بقبيلتي بني إبراهيم وزبيد، والاستيلاء على ما يقدر عليه من القوافل القادمة لمكة[3].

---

(١) كانت والدة الشريف جازان زينة بنت رومي زعيم قبيلة زبيد، وأخوها الأمير مالك بن رومي أمير خليص. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣١٤..

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٠٢، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣٣٢، ١٣٣٨. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٨، ١٦٦. مورتيل، ريتشارد: الأحوال السياسية، ص١٧٠، ١٦٩.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٢٨، ج٣، ص١٣٤٨، ١٣٥٢، ١٣٥١. عبدالعزيز ابن =

وفي عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م في شهر رجب حاول الشريف حميضة في عمل نوع من الحيلة أو الخديعة، فقد دخل مكة، وخوفاً من قوات الشريف بركات والشريف قايتباي وخوفاً من عدم حدوث استعداد ضده ذكر بأنه لم يأت لمكة سوى للتزود بالمؤن، ولكن كان مقصده غير ذلك، فما إن تيقن الشريف حميضة من عدم وجود الشريف بركات وقايتباي بمكة حتى انضم إلى الأتباع من قبيلة زبيد وبني إبراهيم، وعاثوا فساداً في مكة، وأجبروا أهل مكة على دفع المال، وهدد أهل مكة بأنه في حالة عدم دفع الأموال سوف ينهب هو وأتباعه مكة، ولكن لم يتسن للشريف حميضة فعل شيء، سواء أخذ الأموال أو الهجوم على القوافل، فقد مني بهزيمة نكراء على يد الحامية المملوكية الموجودة في مكة، وبذلك تبددت أمال الشريف حميضة(١). هذا إلى جانب رغبته في تأديبهم، ولهذا قام بإرسال حملة عسكرية لتعديل أوضاع إمارة مكة، وعزل أمير ينبع يحي بن سبع وتولية الأمير هجار بن دراج(٢)، ولكن تأجل خروج تلك الحملة لفترة؛ وذلك لحدوث وانتشار الطاعون في مصر(٣)، فقضى ذلك الطاعون على

= ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٢٨٣. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٣٠٢. السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٥٤. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٢٣.

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى: ج٣، ص١٣٧٠-١٣٨٢. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٩. ريتشارد، مورتيل: الأحوال السياسية، ص١٧٠، ولم تكن هذا الأوضاع بخافية عن السلطان الغوري والذي حينما علم بالأمر وما قدم عليه الشريف حميضة وأتباعه سارع بالقبض عليه وعلى محل أعوانه من رجال قبيلة بني إبراهيم ولم يكتف بذلك بل أمر بإيداعهم بالسجن الجزيري: الدرر، ج٢، ٧٨٩

(٢) الأمير هجار بن دراج ويقال هجان بن دراج، تولى إمارة ينبع بدلاً من يحيى بن سبع بعد تمرد الأمير يحيى وعصيانه للسلطان قانصوه الغوري. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٣،ص١٤٠٩،ابن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٤٤، ص١٨٧.

(٣) الطاعون: داء معروف وهو مرض يصيب الإنسان بسبب فساد الهواء، ويسمى وباء خبيث؛ وذلك لأنه =

عدد كثير من أهل مصر، ولذلك تم تأجيل الحملة[1].

ولقد انطلقت الحملة من جديد في عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م حيث أوكل السلطان قانصوه الغوري قيادتها للأمير خايربك، والأمير قاني بك، وتحت إمرتهم ستمئة جندي، ولم يكتف بذلك السلطان؛ بل راسل الشريف بركات وأخيه قايتباي للانضمام للحملة واستقبالها لحماية قوات السلطان، وذلك لقدرة الشريف بركات على تعقب المعارضين في المناطق التي يجهلها جنود الحملة. وفي حقيقة الأمر ربما يعود سبب إرسال تلك الحملة لخوفه من تجمع قوات الشريف يحي بن سبع، ومالك بن رومي، والشريف حميضة، وتعرضهم للحجيج المصري والشامي، وتعرضهم للمصالح المملوكية؛ إضافة إلى إظهار حسن علاقاتهم بالسلطة الشرعية بالحجاز بعد أن تمكن الشريف بركات من إعادة السيطرة على مكة. وخوف السلطنة المملوكية على ميناء جدة الذي كانت تجني منه القدر الكبير من أرباح التجارة الشرقية.

واصلت الحملة المملوكية زحفها وتمكنت من الاتصال بقوات الشريف قايتباي وما إن سمع الخارجون بذلك، يحيى بن سبع، وقبيلة زبيد، وبني إبراهيم اجتمع الجميع لمطاردة الحملة، واحتدم الصراع في ينبع، وتمكن قايتباي في أن يسحق يحيى بن سبع وأتباعه؛ مما اضطرهم للفرار من ميدان المعركة، وقد أخذ جميع من في الحملة في تعقبهم، وأنزلوا بهم خسائر فادحة، وقتلوا البعض منهم، وحصلوا منهم على غنائم لا

= يفتك بالبشر. ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص١٦٩. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ص،١٠٩٣.موسوعة، المنجد في اللغة والأعلام، بيروت،دار المشرق (بدون تاريخ)، ج١، ص٤٦٦.

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٤٠٦، ١٤٠٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٨٩. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٤٩٠.

تقدر ولا تحصى. كما أرسلوا برؤوس القتلى إلى مصر برهاناً على ما أنجزته الحملة من مكاسب(١).

وبعد أن تمكن الأمير خايربك والأمير قاني بك من تحقيق أهداف تلك الحملة العسكرية من هزيمة الأمير يحي بن سبع وأتباعه، وقبيلة زبيد وبني إبراهيم، توجه الأمير خايربك وأتم مناسك الحج وبعد انتهاء موسم الحج عاد إلى مصر(٢).

ب- آثار الحملات: على الأوضاع العامة -

ولقد كان لكل من حملتي قيت الرجبي عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م وحملة خايربك عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦ العديد من الآثار التي أثرت في المجتمع المكي على مختلف الأصعدة، بل وأثرت على أوضاع ذلك المجتمع ومن تلك الآثار:

أ- اجتماعياً: أثرت تلك الحملات على المجتمع المكي من الناحية الاجتماعية، فالغالبية المكية غالبية إسلامية، وهو بطبيعته مجتمع يكره القتل بغير وجه شرعي، فجميع من يقدم لتلك المنطقة همهم الرغبة في التقرب إلى الله، وعلى الرغم من فإن ذلك المجتمع به طوائف يستغلون الاضطرابات والصراعات، فينضمون لكل محارب بهدف السلب والنهب، في حين الغالبية كانوا عزَّل ويأتون إلى مكة بغية التجارة. ولهذا فإن قدوم أية حملة عسكرية لمكة وحدوث حالة من المقاومة لها تعم الفوضى من

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٥٤٥-١٥٥٠. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٨٧-٢٠٢. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٩٩. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٩٠. عبد الكريم الخطيب: تاريخ ينبع، ص٢٤٠.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٥٥٦، ص١٥٦٢، ١٥٦٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص١٠٩. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٩١. موريتل، ريتشارد، الأحوال السياسية، ص١٧١.

الناحية الأمنية في أرجاء البلد الحرام، فيتعرض السكان للنهب والسلب.

وفي عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م قام السلطان الغوري بإرسال حملة عسكرية بقيادة الأمير قيت الرجبي على مكة، وحينما علم أهل مكة شعروا بالفرح والسرور لذلك، وربما كان ذلك السرور راجعاً إلى ما فعله الشريف جازان من سلب ونهب، وهذا الأمر يبين أن المجتمع المكي تعرض لعملية ضغط اجتماعي، فقد كان أتباع الشريف جازان يعتبرون جيشاً من قطاع الطرق والسراق، حيث كان يتألف من قبائل بني إبراهيم، وزبيد إلى جانب المرتزقة التي عاشت على موارد المجتمع المكي[1]. وبعد أن عم أهل مكة الفرح والسرور، عمَّ الحزن سريعاً، فقد تفاوض الشريف جازان مع الأمير قيت الرجبي على تنصيبه أميراً مقابل مبالغ مالية، وقدم الأمير قيت الرجبي، وقام بالقبض على الشريف بركات وأتباعه، وكل ذلك أصاب أهل مكة بالحزن والفزع من جنود الحملة، وخوفهم من أن يصبح الشريف جازان شريفا لمكة[2]. وقد أدى ذلك الأمر إلى حدوث اضطراب في المجتمع المكي، فقد أدت الحملة إلى حدوث نوع من الهجرة السكانية، فقد غادر الكثير من أهل مكة خوفاً على أنفسهم وأرواحهم وأموالهم، كذلك أثر ذلك على الحجاج، فقد أصيب الحجاج بحالة من الخوف نتيجة اهتمام

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٦٩.

(٢) كان الكثير من أهل مكة قد عزموا على الرحيل منها عندما دخل الشريف جازان مكة بعد إخراج الشريف بركات في أوائل عام ٩٠٨هـ فكان بعضهم قد قرر السفر إلى المدينة المنورة، وأن المجاورين قد عزموا على السفر بحرا والعوده إلى ديارهم وأعدوا لهذا ٤٠ مركبا للسفر من مدينة جده، وعندما علم الشريف جازان بخبرهم أمر بنهب كل من عزم على الرحيل من مكة، فترك الناس السفر وقرروا الاستسلام لقدر الله، وهذا يدل على مدى ما وصلت إليه الأمور في مكة من التردي والخوف والفزع على النفس والمال والأهل. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٣٩. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٦.

الجنود بحماية الشريف بركات وغيره من المأمورين، دون الالتفات لحماية الحجاج[1]. وبعد أن رحلت الحملة لمصر في عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م ترك الكثير من الأهالي مكة، وتوجهوا نحو مصر واليمن والهند[2]. وكانت حالة الهجرة التي أصابت المجتمع المكي سببها خوف الجميع من الشريف جازان والذي قدم هو وأتباعه فيها بعد وخاصة بني زبيد، وعاثوا فساداً في مكة ونهبوا أهل مكة، وكانوا في صدام مع الحامية العسكرية التي كانت ترابض في مكة، مما يدل أن نفوذهم كان قوياً على السلطة في مكة[3]، وبذلك لم تحقق الحملة المأمول منها في استقرار المجتمع المكي؛ بل أدت إلى اضطراب الأمور، فقد تناقص عدد السكان، وكثرت أعداد الأرامل والأيتام، وكثرقطاع الطرق والمرتزقة من القبائل الموالية للشريف جازان، وخاصة قبيلة زبيد وبن إبراهيم[4].

ب-اقتصادياً: أثرت تلك الحملات على الأوضاع الاقتصادية للمجتمع المكي ونرى ذلك في الآتي:

فعندما أرسلت حملة قيت الرجبي عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م أصابت المجتمع المكي بتدهور اقتصادي كبير، فقد تضرر التجار من ذلك كثيراً، وكانوا أكثر الفئات تضرراً من غيرها، وذلك نتيجة لما كان يحدث لها عقب انتصار أحد المتصارعين فيقوم بابتزاز التجار، وفرض المبالغ المالية على التجار، مما أدى إلى تدهور التجارة وكسادها. [5]

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٦٩، ١٢٧٣-١٢٨٤. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٤٤، ١٤٨، ١٨٧. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٦. السنجاري: منائح الكرم، ج٣ص١٣٥. العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٣١٥.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٨٦.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٩٨. ١٢٩٩

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٥٥، ١٢٤٦، ١٢٩٨.

(٥)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٧٠، ١٢٠٣، ١٢٣٠. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٤٧.

والأمير قيت الرجبي في حملته تمكن من القبض على الشريف بركات، وتولية الشريف جازان إمارة مكة المكرمة، وذلك في مقابل مبلغ مالي يقدر (بـ٦٠) ألف دينار، وكذلك قام رجال الحملة بنهب منزل الشريف بركات والأعيان والتجار، واستولوا على المصاغ [(١)] بما يساوي عشرون ألف دينار. ونتيجة لحالة السلب والنهب تخوف التجار والناس من جنود الحملة، وامتنعوا عن القدوم لمكة، مما أدى قلة النشاط التجاري والتبادل الاقتصادي إلى حدوث حالة من الغلاء في الأسعار وخاصة القمح[(٢)]، والذي يعد من أكثر المحاصيل التي يعتمد عليها الناس. ولهذا نستطيع القول بأن حملة قيت الرجبي لم تهتم بالنواحي الاقتصادية، فقد قامت الحملة بتحقيق أهدافها السياسية دون محاولة تنظيم النواحي الاقتصادية. ما عدا ما أخذه من جازان مقابل ما أخذه جنده عندما اقتحموا مكة في المرة السابقة في قتاله لأخيه الشريف بركات من قيمة تجارة الفلفل التي تقدر (بـ١٠) آلاف دينار[(٣)]، ويدل ذلك أن حملة قيت الرجبي أرادت الحفاظ على انتصارها السياسي فقط دون غيره؛ لذلك قرر الخروج منها سريعاً. وحينما عاد الصراع من جديد بين الشريف حميضة والشريف جازان، وقتل على إثر ذلك الصراع الشريف جازان في رجب عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م[(٤)]، ونتيجة لذلك

---

(١) المصاغ: مصدر صاغ يصوغ، وهو ماسك من الحلي والأواني. عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢. ص١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٨٠، ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٤٤٢.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٤٩.

(٣) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٨٢. ا عبدالعزيز بن فهد: غايه المرام، ج٣، ص١٤٨.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٠١. عبد العزيز بن فهد: غايه المرام، ج٣، ص ٨. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦٢. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٧. ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٢٨٢. يحي بن الحسين: غاية الأماني، ص٦٣٠. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٢٢.

الصراع عاد التدهور والاضطراب؛ مما أثر على الحالة الأمنية، وأثر بدوره على الحالة الاقتصادية لذلك المجتمع، فقام كل من الشريفين بجمع الأتباع وتعقب التجار وخطفهم، والاستيلاء على أموالهم، وعندما دخل الشريف حميضة لمكة في رجب عام٩١٠هـ/ ١٥٠٤م قام رجاله بالسلب والنهب والتعرض للتجار[١]. وقد سعت السلطنة المملوكية للمحافظة على الاستقرار في إمارة مكة المكرمة، ولذلك قامت بتولية الشريف قايتباي على إمارة مكة، وأنه المتصرف في إدارة شئون الحجاز، أما الشريف حميضة فقد عاث فساداً بعدها، ولهذا حاول السلطان المملوكي القضاء عليه لتحقيق الاستقرار[٢].

ومن أجل الهدف السابق سارع السلطان المملوكي بإرسال حملة الأمير خايربك والأمير قاني بك في عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م والتي نجحت في إنزال الهزيمة الساحقة بالشريف حميضة[٣] وجعلته يفر من مكة[٤]، وبهذا الأمر تمكنت الحملة المملوكية من القضاء على خطر القبائل والتي شكلت عقبة خطيرة في وجه الاقتصاد المكي. وساعدت الشريف بركات في التخلص من المفسدين واللصوص، والذين شكلوا

---

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ١٣٧٠-١٣٧٥٠. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٨، ١٦٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦٢، ٨٩. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٨.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ١٣٤٧، عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٨، ١٦٥. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٩.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٥٤٢-١٥٥٢. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص ١٨٧-٢٠٢. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٩٩. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٩٠. عبدالكريم الخطيب: تاريخ ينبع، ص٢٤٠.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٥٥٦، ١٥٦٢. ابن اياس: بدائع الزهور، ج٤، ص١٠٩. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٩١.

خطراً على الواقع الاقتصادي للمجتمع المكي، وبذلك تمت عملية تهيئة للاقتصاد المكي وإزالة الأخطار التي تكتنفه؛ مما ساعده في المضي إلى الازدهار.

جـ-أمنياً: كما أثرت تلك الحملات السابقة على الناحية الاقتصادية والاجتماعية أثرت أيضاً على الناحية الأمنية. فبعد الحالة التى انتابت الناس في مكة عقب النزاع مع الأشراف من انعدام الأمن، فخلال الصراع قام الشريف بركات وأتباعه بتعقب كافة خصومه، وهؤلاء الأتباع لم يكتفوا بتتبع الخصوم فقط؛ بل قاموا بالسلب والنهب، وقتل كل من يحاول أن يعترض سبيلهم، إضافة إلى ذلك الخطر الذي أصبح محدقاً بالحجاج وبركبهم، فكل من ينتصر يحاول أن يحصل على ولاء أمير الحاج، وفي حالة رفضه تكون العواقب وخيمة من مهاجمة الحجاج وقتلهم وسلبهم الأموال وغير ذلك الكثير[1].

ومن مظاهر الحالة الأمنية المضطربة أن المنتصر في الصراع كان يترصد أولئك الذين كانوا يؤيدون ويوالون خصمه، ومثال على ذلك: ترصد الشريف جازان لأهل مكة والذين اتخذوا موقفاً مويداً للشريف بركات، ولهذا حينما انتصر الشريف جازان على الشريف بركات، قام بإحضار أهل مكة وسؤالهم واستفساره عن موقفهم وعن تأييدهم للشريف بركات، ولذلك قام الشريف جازان وفرض عليهم بعض الأموال، ومن لم يدفع هدمت منازله، ولهذا هرب الناس خوفاً على أرواحهم، فأمر بنهب كل

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٧١، ١١٩٨، ١٢١٦،، ١٢١٧، ١٢٣٠، ١٢٤٠، ١٢٤٦. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام: ج٣، ص١٢١، ١٢٥. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨١. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٢٩٠. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٤٨. ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٢٨٢.

من يحاول الفرار[1] ، وهذا يبين مدى تدهور الحالة الأمنية في المجتمع المكي في ذلك الوقت، ونتيجة للحالة الأمنية الرثة التي عاشها المجتمع المكي سعت السلطنة المملوكية لوضع حد لذلك الأمر، ولهذا أرسلت حملة قيت الرجبي عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، فجاءت الحملة وقامت بالقبض على الشريف بركات وتولية الشريف جازان، ولذلك شعر الناس بالحزن، وتوقعوا تدهور أحوالهم أكثر وأكثر. وخلال موسم الحج في ذلك العام، فإن الطريق بين جدة ومكة كانت غير آمنة من اللصوص الذين ينهبون كل من يمر به من الحجاج وقتلهم. هذا وعندما غادرت حملة قيت الرجبي، تركت مكة بدون حماية عسكرية ولهذا ساد الاضطراب، وانتشر قطَّاع الطرق واللصوص، وكثرت عمليات السلب والنهب[2]. وسبب ذلك كله كما ذكرنا أن الحملة رغبت في الانطلاق إلى مصر، والحفاظ على مكسبها السياسي دون غيره.

على أية حال لم يلبث أن قتل جازان على يد المماليك[3]. فعادت الاضطرابات مرة أخرى لمكة. وخاصة بعد فرار الشريف بركات وعودته إلى مكة في ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م[4] وهذه العودة كانت تعني تأجج الصراع من جديد بين الشريف بركات وبين الشريف

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى: ج٢، ص١٢٣٨.

(٢) عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢،ص١٢٧٨ – ١٢٨٥. عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٤٤-١٤٩

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٠١.عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص٨، ١٦٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦٢. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٧. ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص٢٨٢. يحي بن الحسين: غاية الأماني، ص٦٣٠. الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ج١، ص٣٢٢.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢ ص١٣٢٨، اعبدالعزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص ١٧٠. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦٢.

حميضة، وكلاً من الشريفين سعى إلى اكتساب مزيد من الأتباع والأعوان، وهذا الأمر جعل من الأحوال الأمنية في مكة أكثر تدهوراً، ولذلك كانت القبائل وخاصة زبيد وبني إبراهيم تمثل تهديداً كبيراً، وأصبح طريق الحجاج أكثر خطورة؛ ولهذا قامت السلطنة المملوكية في عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م بمنع النساء من القيام بالحج في ذلك العام، وذلك إلى جانب كثرة عدد اللصوص الذين انتشروا في الحركات، وأتعبوا أهل مكة بالسلب والنهب، فكانوا يهاجمون المنازل ويسلبونها[١].

وقد حاولت السلطنة المملوكية في مصر رأب الصدع الحادث في إمارة مكة المكرمة، وكذلك حفظ ماء الوجه بعد ما أصاب مكة من وراء مغادرة حملة قيت الرجبي، ولذلك قامت بتولية الشريف بركات مرة ثانية، وأرسل الشريف بركات باعتذاره عن هربه، وطلب السماح في ذلك[٢]، وفي تلك الآونة كانت إمارة مكة تعيش نوعاً من التدهور الأمني، وفي هذه الأثناء توجه الشريف حميضة وتعاون مع قبيلة بني إبراهيم وأخذ الجميع في مهاجمة القرى التابعة لمكة[٣]. وفي عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م قام الشريف حميضة بالهجوم على مكة، وكانت من أقوى الأحداث التي تمت؛ حيث فرَّ الكثير من الأفراد خوفاً منه، وخوفاً على أرواحهم، ومن بقي فرض عليه الأموال، ولذلك حدث قتال بين الأهالي وحميضة وأتباعه بداخل المسجد الحرام[٤].

---

(١) عبدالعزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣١٤، ١٣٣٢، ١٣٣٨،ج ٣، ص ١٣٤١ عبد العزيز بن فهد: غاية المرام، ج٣، ص١٦٥،٨. ابن اياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٦٢، ٨٩. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٨.

(٢)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٣٥.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٣٥٣.

(٤)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٣٧٠-١٣٧٩. الجزيري: الدرر، ج٢، ص٧٨٩.

ج- مظاهر العلاقة بين أمراء الحاج والأشراف:

تعددت مظاهر العلاقة بين أمراء الحاج والأشراف، وتنوعت طبقاً للظروف التاريخية، فقد تنوعت تلك العلاقة ما بين مظاهر تعاون ومظاهر أخرى للتدخل في الشئون المكية الحجازية، أو في مظاهر لغرض السيطرة خلال مواسم الحج، وفي الصفحات التالية سوف نوضح كيف كانت هذا العلاقة، حيث كانت أغلب العلاقات تتركز في مجيء أمير الحاج بالمحمل ويستقبله الشريف في وادي الزاهر، ثم يطوف طواف القدوم، ويقدم الخلعة للشريف، ويتمم أمير المحمل باقي مراسم الحج ثم يسافر.

يقول: عبدالعزيز ابن فهد: "وفي هذا اليوم – الاثنين ثاني عشر ذو القعدة ٨٨٥هـ – دخل أمير أول يشبك بن حيدر ومعه الشريف محمد بن بركات بعد أن لاقاه في وادي الزاهر[١] وخلع عليه خلعة[٢] "[٣] وما أن انتهت مراسم الحج سافر أمير الحاج يشبك إلى القاهرة[٤].

(١) وادي الزاهر، وهو علي نحو ميلين من مكة علي طريق التنعيم، وهو موضع علي جانبي الطريق وبه أثر دور وبساتين وأسواق وكان الناس يعتنون به لأنه ممر الحجاج والمعتمرين، ويقال له "فخ" وبأسمه المعركة التي حصلت به عام ١٦٩هـ. والآن به مستشفي الملك عبد العزيز المشهور بالزاهر، ومعظم سكانه من قبيلة حرب بعد نزوحهم إليه جماعياً. عاتق البلادي، أودية مكة، ص ١٩.

(٢) الخلعة، هي عباءة تصنع لهذا الخصوص من قماش الأطلس وبألوان مختلفة عليها نقوش حريرية بديعة وطرز ذهب وغيره، ويضاف لها بعض الأحزمة أو القلانس وفي بعض الظروف كانت تتضمن أسلحة، وارطبتت الخلعة باسم الوظيفة أو المناسبة المترقي إليها صاحبها، وكانت تصنع في المصانع السلطانية برقابة ناظر خاص. ماير، الملابس المملوكية، ترجمة ومراجعة عبد الرحمن فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٠١– ١٠٥.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ١٠٩ – ١١٠.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج١، ص ١١٨.

ويتوالى مجيء أمراء المحمل المصري فيدخلون مكة ويطوفون ويسلمون علي الشريف، ويخلعون عليه الخلعة، ويستكملون الحج، ويرحلون إلى القاهرة، والأمثلة على ذلك كثيرة[١]. ويوجد تعاون آخر وهو حماية مكة من المشكلات التي يثيرها بعض الأشراف، ويضطر أمير المحمل للتدخل لحماية شرعية الشريف، أو تتدخل الأغراض الشخصية والمنافع لصالح بعض الأمراء، فمن هذه المنافع بين أمراء الحاج والأشراف نراها في عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م عندما أختلف الشريف هزاع مع أخيه الشريف بركات، فتدخل الأمير قرقماس واصلح بينهما بعد أن كادت تقع بينهما الحرب[٢]. إلا أن النزاع تجدد وجاء أمير الحج الأول دولت باي قرموط[٣] مع المحمل المصري عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م، وكانت معه رسالة من السلطان قانصوة الغوري أنعم علي السيد هزاع بولاية مكة المشرفة عوضاً عن أخيه السيد بركات، وأنه لبس الخلعة في ينبع، إلا أن السيد بركات لم يرض بذلك، فاستعد للحرب ضد أمير المحمل وأخيه هزاع، ودارت المعركة، وانتصر هزاع وأمير المحمل، وهرب السيد بركات إلى جهة الشرق، ودخل هزاع مكة وعليه الخلعة، ومعه أمير الحاج دولت باي قرموط[٤].

ويستمر دور أمراء الحج المرسلون من قبل السلطة المملوكية في إصلاح الأمور في مكة، حيث كان عام ٩١٩هـ/ ١٥١٢م، وفي ذلك كان الشريف بركات قد اتخذ موقفاً

---

(١) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص٧٦٧، ٨٨٩، ٩٠٥،ج٣، ص ١١٠١- ١١٠٣، ١١٤٩.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص ١١٠٢ – ١١٠٣.

(٣) دولت باي قرموط، تولي عدة وظائف منها: أمير أول، ومقدم ألف، وتولي إمرة حجاج الركب عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م، العز بن فهد: غاية المرام، ج ٣، ص ١٠٢. ابن إياس: مصدر سابق، ج ٤ ص ٦.

(٤) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١١٦٣ – ١١٦٧.

من الخلاف والنزاع بين أميري الحاج المصري قانصوه كرت[1] وأمير الحاج الشامي شنطباي حاجب الحجاب [2]، وسبب ذلك الخلاف هو قيام أمير الحاج الشامي بالتقدم على أمير الحاج المصري، ولذلك قام أمير الحاج المصري بعقر جمل المحمل الشامي، فعرض طومان باي الأشرفي أمير الركب الأول المصري بجمل من عنده يوضع عليه المحمل الشامي، وكان دور الشريف بركات في ذلك الأمر أن قام بمحاولة الصلح بين الأميرين[3]، وهذا الموقف يوضح مدى تعاون الشريف بركات أو الأشراف عموماً، والذين كان موقفهم متأرجح في التبعية والعلاقات بأمراء الحاج. وثاني مظهر من مظاهر العلاقة بين الأشراف وأمراء الحاج هو تدخل أمراء الحاج في مسألة الصراع بين الأشراف، فمنذ القرن العاشر الهجري كانت نار الصراع والفتن بين أبناء الشريف محمد بن بركات متأججة، وذلك تنافساً ونزاعاً على ولاية العهد، وقد كانت الفتن والصراعات مستعرة، وخاصة بعد وفاة الشريف هزاع بن محمد؛ حيث دار الصراع بين الشريفين بركات وجازان فيمن يتم تولية إمارة مكة المكرمة. وفي ذلك اجتمع الأعيان والقضاة للاختيار، وقال مالك بن رومي: إن سلطان مكة لجازان وليس لبركات إلا بالسيف، فأعلن ذلك للعامة، ونؤدي في البلاد بالملك له، كذلك فقد التقى

(١) قانصوه كرت: أحد الأمراء المقدمين، فقد خلع عليه السلطان الغوري في ٢ ربيع الآخرة من هذا العام ٩١٩هـ/ ١٥١٢ م، وقرره في إمرة الحاج بالركب الأول، وكان من أمراء الطبلخانات. انظر عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣ ، ص١٩٣٠، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤ ص٣٠٩- ٣١٠، الجزيري: الدرر الفرائد، ج٢، ص٧٩٦.

(٢) شنطباي حاجب الحجاب بدمشق، عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى،ج٣،ص١٩٣١. ابن طولون: مفاكهة الخلان، قسم ١، ص٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨٦، ابن الحمصي، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، ص٤٩٤، ٥٠٠، ٥٠١، ٥١٠، ٥١٤، ٥١٧.

(٣)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٩٣١، الجزيرى: الدرر، ج٢، ص٧٩٦.

الشريف جازان يحي بن سبع أمير ينبع وذلك في حج عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١هـ بالأمير أصطمر بن ولي الدين أمير الحاج المصري، وسألاه أن يحل الشريف جازان محل أخيه الشريف بركات في مكة؛ وبالتالي أن يعطيه أمير الحاج الخلعة والتأييد؛ فما كان من أمير الحاج إلا أن رفض، ولكن لم ييأس الشريف جازان والأمير يحيى بن سبع من ذلك الرفض، وطالبوا أمير الحج بإلباسه الخلعة السلطانية وإعلان التأييد له، وهدداه بأن إن لم يتم ذلك فسوف يتم نهب ركب الحجاج، وتحت هذا التخويف والترهيب اضطر أمير الحاج أن يلبس الشريف جازان الخلعة الشريفة، وقد أكن أمير الحاج في نفسه ذلك الأمر، ونوى أنه عندما يدخل مكة سوف يقبض على الشريف جازان ويكاتب الشريف بركات[1]. في تلك الأثناء جاء قاصد الشريف بركات، ولهذا تصرف أمير الحج المصري بقدر من الفطنة والذكاء لمحاولة التخلص من الشريف جازان وأتباعه، ولذلك قام بالقبض على القاصد فاطمئن الشريف جازان وأتباعه لذلك الأمر، وانطلق صوب مكة هو وأتباعه من العربان، وهنا أظهر أمير الحاج ذكائه، حيث قام بإطلاق سراح قاصد الشريف بركات؛ وذلك حتى يتعقب الشريف جازان ويقاتله، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فسرعان ما انكشف الأمر للشريف جازان، وذلك لما علم من أعوانه الذين يتحسسون له هنا وهناك، ووصله هذا الأمر وهو عند مر الظهران، فتوجه إلى بدر[2] ، وهناك وجد ركب الحاج الشامي فطلب منهم المال،

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٢١. الجزيري: المصدر السابق، ج١، ص٧٨١،٧٨٦.

(٢) بدر، ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار، وهو ساحل البحر الأحمر ليلة، وتنسب إلى بدر بن قريش، وكانت بها الموقعة المباركة والتي فرقت بين الحق والباطل في شهر رمضان عام ٢هـ/ ٦٢٣م. ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج ١ ، ص ٣٥٧ – ٣٥٨.

فرفض الركب إعطائه أي شيء، ولذلك احتدم القتال بينهم، وكانت الغلبة في البداية لصالح الشاميين، ثم انتهى الأمر بانتصار الشريف جازان على ركب الحاج، والذي لم يصل منه سوى قلائل[1]. هذا بالنسبة لركب الحاج الشامي، أما بالنسبة للحاج المصري فإنهم طلبوا من الشريف بركات أن يحميهم، وخاصة بعد أن أنجزوا مناسك الحج، وطلبوا منه أن يجاوز معهم ينبع، ولهذا أعد الشريف بركات أعوانه ورجاله وعدته، وسار مع ركب الحاج المصري، وعند بدر طلب الشريف بركات الانتظار حتى قدوم باقي أعوانه، فما كان إلا أن رفض أمراء الحاج، واستعدوا للقتال، وتوجهوا إلى الدهناء مع السيد بركات[2].

ومما سبق يتضح مدى ما تعرض له ركب الحاج ومدى ضرر الفتن بإمارة مكة مما انعكس بدوره سلبا على موسم الحج.

---

(١)عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٢، ص١٢٢٣، ١٢٢٤. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٣٦-٣٧. الجزيري: الدرر، ج١، ص٧٨١-٧٨٦.

(٢) عبد العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص١٥٤٩.

الخاتمة

من خلال الدراسة التي شملت الحياة السياسية بمكة في الفترة ٨٨٥-٩٢٢هـ / ١٤٨٠ – ١٥١٦م يتضح لنا أنه فترة لشريفين . الأولى في عهد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، التي امتازت بالهدوء السياسي والأمن وذلك نتيجة تصرفه السليم في إدارة شؤون البلاد على الصعيد الداخلي والخارجي، وكذلك تصرفه السليم تجاه الدولة المملوكية التي كانت لها السيادة الإسمية على الحجاز، بحيث كان يرضي الأطماع المملوكية ببذل العطايا والأموال لتلك الدولة على شكل هدايا في حين كان يحافظ لها على السيادة الإسمية على الحجاز. لذلك كان عهد شبه مستقر ولم تكثر فيه الإضطرابات، وإن جرت اضطرابات فقد استطاع الشريف محمد بن بركات بذكائه وحسن تصرفه في معالجة الأمور بحكمة مكنته من البقاء في سلطة الحجاز، واستطاع أن يقضي على تلك الفتن ويبقى مدة طويلة في الوقت الذي أظهرت الدولة المملوكية أطماعها المادية من جمع الأموال لخزانة خاوية مضطربة. أما الفترة الثانية التي مرت بمكة في فترة بحثنا هذا كانت فترة مضطربة، مما أثر على سكان مكة وكذلك على الحجاج، وذلك حينما تولى الشريف بركات بن محمد بعد وفاة والده الشريف محمد بن بركات عام ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م، حيث كان مشاركاً لأبيه في إمارة الحجاز، فخرج عليه أخوه هزاع بن محمد الذي طلب التأييد من الدولة المملوكية بمصر، فتارة كانت تؤيده وترسل المراسيم والخلعة له .وتارة كانت تنحاز مع الشريف بركات لخبرته وقوة شخصيته وشعبيته لدى سكان مكة؛ ولكن الشريف هزاع خرج إلى ينبع لقطع الطريق بين مكة وجدة ومصر، ورحب بهذا التمرد الأمير قانصوه المحمدي أمير الشام؛ نتيجة حقده على الشريف بركات بن محمد الذي لم يلتفت إليه سابقاً عندما قدم مكة مطروداً

من السلطان طومان باي. ويذكرعبد العزيز بن فهد أن تأييد السلطان الغوري للشريف هزاع على سلطة مكة المكرمة نوع من عدم استقرار الأوضاع في الحجاز حتى لا تفلت من سلطة المماليك المتتبعين لسياسة فرق تسد، إلا أن السلطان الغوري رجع عندما رأى مدى الخطر الذي أخذ يهدد حجاج بيت الله فتراجع عن سياسته، ولكن وفاة هزاع أنهت الصراع بين الأخوين. وهذه المشكلات جعلت الشريف بركات بن محمد مطمع لدى أخيه الشريف أحمد الجازاني الذي لوح بالمال للسلطة المملوكية التي تعاني من اضطرابات مالية، كما استطاع الشريف أحمد الجازاني أن يجمع الكثير من القبائل وخصوصاً القاطنة حول ينبع، فأظهر قوة جعلت السلطة المملوكية تقر أن إمارة الحجاز لا تصلح إلا للأقوى، فأرسلت الخلع للشريف الذي يستولى على السلطة ويدفع أموال وهدايا بغض النظر عما سببه ذلك الصراع من اضطراب داخل الحجاز، وخصوصاً مكة؛ مما قلقل أحوالها. كما أن عدم تروي السلطة المملوكية أوقع الكثير من الحروب بين الأخوين بركات وأحمد الجازاني، ولهدايا الجازاني قبضت الدولة المملوكية على بركات بن محمد وأخذته إلى القاهرة عام ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م وجعلت البلاد بين الشريف أحمد الجازاني وأنصاره مثل الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع، ومالك بن رومي الزبيدي من أهل خليص، وبني إبراهيم، ولكن ما لبث الشريف أحمد الذي قتل على يد جماعة من المماليك المقيمين بمكة عام ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م في المسجد الحرام، وقد كان قتله بإيحاء من الدولة المملوكية لخوفها من زيادة نفوذه وما معه من قوة، أخذت في السيطرة على طريق الحج ومهاجمة جدة. وأمام هذا الاضطراب استطاع بركات بن محمد من الهروب والقدوم إلى مكة، ووصلته مراسيم التأييد له في الإمارة، وقد يكون ذلك لخوف السلطة المملوكية المترنحة تحت اضطرابات المماليك الجلبان وسلطان تحوطه المشكلات خصوصاً بعد ظهور المستعمر البرتغالي في بحر العرب ويحاول

دخول البحر الأحمر وتهديد عدن وجدة، ويهدد بقطع الطريق الدولي التجاري والتي تحصل السلطة المملوكية منه على الكثير. وباستعراض علاقات الحجاز الخارجية بالقوة الإسلامية في ذلك الوقت اتضح أن للحجاز وخصوصاً أشراف مكة علاقات مشتركة تقوم على روابط الأخوة الإسلامية، ويتضح ذلك من خلال أمراء الحاج القادمين مع حجاجهم؛ سواء من اليمن، أو الشام، وبلاد الأناضول . التباين في سياسة السلاطين المماليك تجاه أمراء مكة جعل تمرد أغلبهم محتملاً؛ وخصوصاً إذا نقصت موارده المالية المعتادة، وأيضاً عند وفاة سلطان ومجيء آخر، هنا تهتز سلطة الدولة تجاه الوضع الداخلي على مصر ومكة. أدى تنافس أمراء البيت الحاكم في مكة إلى ظهور مبدأ شراء المنصب من السلطة في مصر، فأصبح الأمير الذي يتكفل بدفع مبلغ أكثر من منافسه للسلطة يدعم في حصوله على منصب الإمارة كما جرى مع أحمد الجازاني ضد أخيه بركات. عدم وضع قاعدة نظامية لولاية العهد لدى أمراء مكة سهل قيام النزاعات بين أبناء الأمراء بعد وفاتهم مما كان له الأثر الكبير على جميع الجوانب في الحياة، وكثرة الصراعات بين الأشراف على منصب الإمارة أدى إلى ضعف اهتمامهم بالجوانب الأخرى التي تعتبر ضرورية لسكان مكة، مثل توفير المياه، عمارة المسجد الحرام، أمن الطرق والحجاج. وكثرة الصراعات بين الأشراف وخصوصاً في فترة بركات بن محمد أدت إلى تدخل الأطراف القبلية وخصوصاً بني إبراهيم وبني زبيد في الشؤون الداخلية للإمارة، فأصبح كل أمير يميل إلى وحدة سياسة تسانده في نيل مراده، معتمداً على علاقته بأحد الأشراف المتمردين على السلطة. اعتماد أمراء مكة على شريحتي الأشراف والقواد في مهامها العسكرية جعلتهم رهناً لهاتين الشريحتين، فأصبح لها دوراً في اختيار الأمير من الأسرة الحاكمة. ومناصبة أمراء مكة للقبائل في الحجاز العداء، ومهاجمتها بين الحين والآخر، واقتسام أموالها جعل هذه القبائل تشكل خطراً يهدد

البلاد في كل حين.

هذا، وبعد العرض لأهم نتائج الدراسة، أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في إيضاح جزء من تاريخ مكة، المتضمنة لأقدس وأطهر بقعة على وجه الأرض. والله من وراء القصد، إنه حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١- الأزرقي: أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد(ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م)

- أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، تحقيق رشدي ملحس، مكة المكرمة، دار الثقافة مكة المكرمة،١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م

٢- ابن إياس: محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ/ ١٢٠٥م.

٣- البخاري: محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور الرسول ﷺ و سننه و أيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، القاهرة، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٤- علي بن أبي بكر نور الدين (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)

- كشف الأستار عن فوائد البزار، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩م.

٥- البغدادي: إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الفنون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٨م.

٦- البقاعي: إبراهيم بن عمر(ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)

- إظهار العصر، دراسة وتحقيق محمد سالم بن شديد العوفي، الرياض،١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٧- أبي بكر العبادي: علي بن محمد الحدادي اليمني (ت ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م)

- السراج الوهاج لكل طالب محتاج، تحقيق محمود حربي عبد الفتاح، القاهرة، جامعة الأزهر، ٢٠٠٣م.

٨- ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: جمال الدين الشيال، فهيم محمد شلتوت، القاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٩ - الترمذي:عيسي محمد بن عيسي (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)

- جامع الترمذي المعروف بسنن الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

١٠- ابن جبير: أبي الحسن محمد بن أحمد الأندلسي البلنسي(ت٦١٤ هـ/ ١٢١٧م)

- رحلة ابن جبير، مصر، دار المعارف،١٩٩٥م.

١١- الجزيري:عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)

- در الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٨٤هـ

- نسخة أخرى، أعده للنشر حمد الجاسر، الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٢- أبو الحجاج، (جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

١٣- ابن حجر العسقلاني:أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)

- الإصابة في تمييز الصحابة، عمان الأردن، بيت الأفكار الدولية، (د- ت)

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر (د- ت)

- إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٩هـ.

- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق عبد الحميد بن قاسم الأعوج، بيروت، دار بن حزم، ٢٠٠٦م.

١٤- الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت٨٦٦هـ/ ١٤٦٣م)

- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ١٩٨٤م

١٥ - . ابن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل(ت ٢٤١هـ / ٩٥٢م)

- المسند، تحقيق حمزة أحمد الزين، القاهرة، دار الحديث،٢٠٠٤م

١٦- الدارمي: عبد الله بن محمد التميمي الدارمي(ت ٢٥٥هـ / ٩٦٥م)

- سنن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد، القاهرة، دار المغني للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٧- أبي داود:سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)

- صحيح سنن أبي داود،تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

١٨- ابن الديبع: عبد الرحمن بن على بن محمد (ت٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م)

- الفضل المزيد على بغية المستفيد، تحقيق محمد عيسى صالحة، الكويت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ونسخة أخرى تحقيق يوسف شلحد، صنعاء مركز الدراسات والبحوث اليمنية، بيروت دار العودة، ١٩٨٣م. ونسخة أخرى، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ١٩٨٢م.

١٩- الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م)

- مختار الصحاح،تحقيق محمود خاطر، بيروت،دار الفكر (د - ت)

٢٠- سبط ابن الجوزي:أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي(ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

- مرآة الزمان، الهند،دائرة المعارف العثمانية، ١٩١٥م.

٢١- السبكي: تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)

- معيد النعم ومبيد النقم، القاهرة، ١٩٨٤م

٢٢- السخاوي:محمد بن عبد الرحمن(ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م

- الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م

- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بطبعه أسعد طرابزوني الحسيني، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق لبيبة إبراهيم مصطفي، نجوى مصطفي كامل، مراجعة سعيد عبد الفناح عاشور، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٣- ابن سعد: محمد بن منيع البصري(ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)

- الطبقات الكبري، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٤- السمهودي، عبدالله (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)،

- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق وتقديم قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي فرع مؤسسة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢٥- السنجاري:علي بن تاج الدين بن تقي الدين(ت١١٢٥هـ/ ١٧١٣م)

- منائح الكرم فى أخيار مكة والبيت وولاة الحرم، مكة المكرمة، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية مركز إحياء التراث الإسلامي،١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.

٢٦- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

- ذيل طبقات الحفاظ، طبع على ذيل طبقات الحفاظ للذهبي القاهرة (د- ت)

٢٧- أبو شامة: أبي محمد عبد الرحمن إسماعيل المقدسي(ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)

- الذيل على الروضتين،بيروت، دار الجيل،١٩٧٤م.

٢٨- ابن شاهين: غرس الدين خليل (ت ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق و المسالك- تحقيق: بولس راويس، باريس،المطبعة الجمهورية.١٨٩١ م

٢٩- ابن الشماع:زين الدين عمر بن أحمد بن علي بن محمود(ت٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م)

- القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: حسن إسماعيل مروة، وخلدون حسن مروة، خرج أحاديثه وقدم له: محمود الأرناؤوط، بيروت، دار صادر

١٤١٨هـ.

٣٠- الشوكاني: محمد بن علي بن عبد الله اليمني (ت١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وضع حواشيه خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- فتح القدير، تعليق سعيد اللحام، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٧م.

٣١- الشيلي: السنا الباهر بتكملة النور السافر، صنعاء اليمن ، (د-ت) ، ص .

- فتح القدير، تعليق سعيد اللحام، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٧م.

٣٢- ابن الصباغ:محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي(ت١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م)

- تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٣٣- الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ/ ٨٢٦م)

- المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي القاهرة، ١٩٧٣م.

٣٤- الطبري: محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد المكي (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)

- القرى لقاصد أم القرى، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، المكتبة العلمية،١٩٨٣م

٣٥- الطبري: محمد بن علي بن فضل المكي(ت١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م)

- إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن،تحقيق محسن محمد حسن سليم،القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٦م

٣٦- ابن طولون: محمد شمس الدين الدمشقي(ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)

- متعة الأذهان من التمتع بالأقران بين تراجم الشيوخ والأقران، تحقيق صلاح الدين خليل الشيباني الموصلي، بيروت، دار صادر ،١٩٩٩م.

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة،المؤسسة المصرية العامة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

٣٧- ابن ظهيرة: جمال الدين محمد جار الله محمد نور الدين بن أبى بكر علي القرشى

(ت٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)

- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م

٣٨- ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله القرطبي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مجموعة من الباحثين، الرباط، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ٢٠٠٩م

٣٩- ابن عبد الهادي: محمد بن صالح الطاهر المكي (ت١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م)

- الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر، تحقيق محمد الجهني، الطائف، النادي الأدبي، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

٤٠- العصامي: عبد الملك بن حسين (ت ١١١١هـ/ ١٦٨٩م)

- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، القاهرة، المطبعة السلفية، (د- ت)

٤١- ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د – ت)

٤٢- ابن غازي: محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن غازي المكناسى (ت ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)

- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، دراسة وتحقيق عطا أبو ريه، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

٤٣- الغزي: محمد كمال الدين محمد (ت ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م)

- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، بيروت، دار الآفاق.

٤٤- الفاسي: محمد بن أحمد بن علي (ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)

- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد السيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، حققه ووضع فهارسه عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤٥- الفاكهي: محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي(ت بعد ٢٧٢هـ/ بعد ٨٨٥م)

- أخبار مكة في قديم الدهر و حديثه، تحقيق عبد الملك بن دهيش، بيروت، دار خضر للطباعة و النشر، ١٤١٤هـ

٤٦- ابن فرج، عبد القادر بن أحمد بن محمد الشافعي.(١٠١٠هـ/ ١٦٠١م)

- السلاح والعدة في تاريخ مدينة جُدة، حققه وقدم له علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٧م

٤٧- جار الله بن فهد:جار الله بن العز بن النجم بن فهد المكي (ن٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م)

- نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق، محمد الحبيب الهيلة، مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٠م.

- حسن القري في أودية أم القري، تحقيق وتقديم علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٤٨- ابن فهد: عبد العزيز بن فهد (ت٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)

- بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق صلاح الدين بن خليل إبراهيم، عبد الرحمن بن حسين أبو الخيور، عليان بن عبد العالى المحلبدى، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.

- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم شلتوت، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

٤٩- النجم ابن فهد: عمر بن فهد المكي (ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)

- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٩٨٣م.

- الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق عبد الملك بن دهيش، بيروت، دار خضر للطباعة، ١٤٢١هـ

- معجم الشيوخ، تحقيق محمد الزاهى، الرياض دار اليمامة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

٥٠- التقي ابن فهد: محمد بن محمد بن محمد الهاشمي المكي (ت٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)

- لحظ الألحاظ لذيل طبقات الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥١- الفيروز آبادي: مجد الين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م)

- القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

٥٢- القلقشندي: أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٧م.

٥٣- ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)

- تفسير ابن كثير، تحقيق سامي محمد السلامة، المدينة المنورة، دار طيبة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

٥٤- الماوردي: على بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)

- الأحكام السلطانية،بيروت، دار الكتب العلمية،١٣٩٨هـ

٥٥- مسلم: أبو الحسن بن حجاج القشيري (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م)

- صحيح مسلم، تحقيق نظر بن محمد الفاريابي، المدينة المنورة، دار طيبة، ١٤٢٧هـ

- ونسخة أخرى ، تحقيق محمد فؤاد، بيروت، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م.

٥٦- المحبي: محمد أمين بن فضل الله (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م)

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر طبعة مصورة عن طبعة بولاق سنة ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م.

٥٧- الملطي: عبد الباسط بن خليل بن شاهين (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)

- نزهة الأساطين فيمن ولي من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين علي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٥٨- ابن المقري: إسماعيل بن أبي بكر عبد الله (ت١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م)

- كتاب الإرشاد المسمى إرشاد الغاوي إلى مسلك الحاوي، تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الربيعي، جدة، دار المنهاج ٢٠١٢م.

٥٩- المقريزي:تقي الدين أحمد بن علي(ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٥ م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٥٦م.

- المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والأثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ٢٠٠٤م.

٦٠- الملوانى: يوسف ابن الوكيل(٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م)

- تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب.تحقيق: محمد الششتاوي، القاهرة، دار الآفاق العربية،- ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٦١- ابن منظور: جمال الدين، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)

- لسان العرب، بيروت، ،دار صادر، (د- ت)

٦٢- الموسمي:الحسني محمد بن عبد الله"ابن كبريت"(ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م)

- رحلة الشتاء والصيف: تحقيق: محمد سعيد طنطاوي، القاهرة،١٣٩٣هـ/

٦٣- النهروالى: قطب الدين محمد بن أحمد المكي (ت٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م)

- الإعلام بأعلام بيت الحرام تحقيق: هشام عطا،مكة المكرمة، مكتبة مصطفى الباز،١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- البرق اليماني في الفتح العثماني، منشورات المدينة، ١٤٠٧هـ / ١٩٦٦م

- الدارس في تاريخ المدارس، عني بنشره وتحقيقه جعفر الحسني، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٨م.

٦٤- النويري:أحمد عبد الوهاب(ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)

- نهاية الأرب في فنون الأدب،تحقيق محمد جابر عبد العال،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

٦٥- النووي: محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف بن مري بن حسين (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)

- الأربعون في مباني الإسلام و قواعد الأحكام، تحقيق الشيخ عبد العزيز السيروان، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠٤هـ/

٦٦- النعيمي:عبد القادر محمد(ت٩٧٨هـ/ ١٥٧١م).

٦٧ - ابن الوردي: القاضي عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)

- التحفة الوردية، تحقيق شرف الدين يحي العمريطي، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٩٦م

٦٨- ياقوت الحموي:شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله(ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، (د - ت)

٦٩- يحيى بن الحسيني: ابن القاسم بن محمد (ت١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م)

- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد عاشور، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

ثانياً: المراجع:

١- إبراهيم بن حمود المشيقح:

- تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال "الدر الكمين" لابن فهد(د - ت) ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

٢- أحمد السباعي:

- تاريخ مكة، مكة المكرمة، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

٣- أحمد زينى دحلان:

- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، مصر،المطبعة الخيرية، ١٣٠٥ هـ.

٤ - حسن الباشا:

- الفنون الإسلامية والوظائف على الأثار العربية، القاهرة ١٩٦٦م.

٥ - حسين باسلامة:

- تاريخ عمارة المسجد الحرام، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م

٦- حمد الجاسر:

- بلاد ينبع الرياض، دار اليمامة،١٩٦٥م.

- المعجم الجغرافي للبلاد السعودية،الرياض، دار اليمامة،

٧- خالد محسن الجابري:

- الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٨- خير الدين الزر كلي:

- الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٥م.

٩- روبرت بيركس:

- التاريخ الشفهي حديث عن الماضي، ترجمة عبد الله إبراهيم العسكر، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٣هـ

١٠- ريتشارد مورتيل:

- الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي،الرياض، جامعة الملك سعود، عمادة شئون المكتبات،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

١١- زامباور إدور دفون:

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامي ، القاهرة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م.

١٢- زين العابدين شمس الدين نجم:

- معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٣- سعيد عبد الفتاح عاشور:

- مصر والشام في العصر المملوكي، القاهرة،مكتبة النهضة العربية، ١٩٧٦م.

١٥- شفيق غربال:

١٤- السيد صالح بن عبد اللطيف عليانة:
- ملامح من تاريخ ينبع، ينبع، مطبعة الهيئة الملكية، ١٤٢٥هـ
- الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة ، ١٩٦٨م
١٦- صفي الرحمن المباركفوري:
- الرحيق المختوم، جدة السعودية، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١٧- ضيف الله يحيى الزهراني:
- أسعار المواد الغذائية بمكة،جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م
١٨- عاتق البلادي:
- معجم معالم الحجاز، مكة، دار مكة للطباعة،١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م
- معجم معالم مكة التاريخية والأثرية، مكة المكرمة، دار مكة للطباعة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.ونسخة أخرى طبع دار مكة، ١٩٨٠م.
- أودية مكة المكرمة،مكة المكرمة، دار مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م
- بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات مكة المكرمة، دار مكة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- الإشراف على تأريخ الأشراف، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- بين مكة اليمن: رحلات ومشاهدات (دار مكة للطباعة والنشر، مكة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)،
١٩- عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعلمي:
- أعلام المكيين، مكة، مؤسسة الفرقان مكة المكرمة والمدينة المنورة.
٢٠- عبد الحي الكتاني:
- فهرس الفهارس والإثبات، القاهرة، ١٣٤٦هـ
٢١- عبد الرحمن صادق شريف:
- جغرافية المملكة العربية السعودية، الرياض، دار المريخ،، ١٤٠٤هـ
٢٢- عبد الرحمن عبد الله الشيخ:
- المدخل إلى علم التاريخ،الرياض، دار المريخ، ١٤٠٥هـ -١٩٨٤م.
٢٣- عبد الصمد بن بكر بن إبراهيم عابد:

- المدخل إلى تخريج الأحاديث والآثار والحكم عليها، بيروت ٢٠٠٤م

٢٤- عمر رضا كحالة:

- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت،مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢٥- ماير:

- الملابس المملوكية، ترجمة ومراجعة عبد الرحمن فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م.

٢٦- محمد أحمد العقيلي:

- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية مقاطعة جازان، الرياض، دار اليمامة الرياض، ١٣٨٩هـ

٢٧- محمد أحمد الحجري:

- مجمع بلدان اليمن وقبائلها، صنعاء ، دار الحكمة، ١٤١٦هـ

٢٨- محمد الحبيب الهيلة:

- التاريخ و المؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٩٩٤م.

٢٩- محمد طاهر الكردي:

- التاريخ القويم لمكة المكرمة والحرم الشريف، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٨٥ هـ

٣٠- محمد عبد الله الغبان:

- فضائل مكة، الناشر، مكان النشر مجهول، مكتبة ابن الجوزي، عام ١٤٢١هـ

٣١- محمد على مغربي:

- ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، جدة السعودية، مكتبة تهامة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م.

٣٢- محمد عمر رفيع:

- مكة في القرن الرابع عشر الهجري، مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٣٣- محمد قنديل البقلي:

- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

٣٤- محمد محي الدين عبد الحميد:

- التحفة السنية بشرح مقدمة الأجرومية، دار الطلائع للنشر والتوزيع ٢٠٠٤م.

٣٥- محمد بن منصور بن هاشم آل عبد الله بن سرور:

- العيون فى الحجاز وبعض أوديته الطائف، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣٦- محمدين:

- أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، دراسة فى الدلالة وأنماط الاشتقاق، الرياض، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م.

٣٧- محمود رزق سليم:

- موسوعة عصر سلاطين المماليك،القاهرة، مكتبة الأدب،١٤١٧هـ

- المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية، (د – ت)

- موسوعة، المنجد في اللغة والأعلام، بيروت،دار المشرق (بدون تاريخ).

ثالثاً: الرسائل العلمية:

١- عبد الله بن زاهر عطية الثقفي،

- العمارة بمدينة جدة في العصر العثماني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢- علي بن حسن سليمان:

- علاقة مصر بالحجاز زمن سلاطين المماليك، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م.

٣- فهد بن عبد العزيز الدامغ:

- تقي الدين الفاسي و منهجه في التدوين التاريخي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٤١٢هـ/ .

٤- محمد أمين صالح:

- التنظيمات الحكومية لتجارة مصر في عصر المماليك الجراكسة، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، ديسمبر ١٩٦٩م.

٥- محمد عابد يوسف:

- التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن العاشر الهجري، ومناهجهم " رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة أم القرى، ١٤١٦هـ/

٦- محمد محمد القحطاني:

- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز، ١٢٩٧ - ١٣٢٣هـ، الكويت، رسالة ماجستير بجامعة الكويت، ١٤٢٢هـ

رابعاً: الدوريات:

١- ناصر بن سعد الرشيد:

- بنو فهد مؤرخو مكة المكرمة والتعريف بمخطوط النجم بن فهد " إتحاف الورى بأخبار أم القرى، بحث في دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثاني، الرياض ١٣٧٩هـ / ١٩٧٩م.

٢- لمياء أحمد عبد الله شافعى:

- حركات الأسطول البرتغالى حول جزيرة العرب في النصف الأول من القرن العاشر الهجرى كما رصدها مؤرخان مكيان، بحث نشر ضمن ندوة البحر الأحمر عبر العصور، القاهرة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.